

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

لرؤسائنا ابراهيم التريزى

كان التثريك ثم التغريب يخيما على مرافق الدولة وحياتها التعليمية والثقافية . .
في كل أرجاء الوطن العربى .

ومع صهوة الحركات الاستقلالية ، واسترداد قدرتها على مواجهة الاحتلال التركى .
ثم الأوربى ، واقتحامها المعارك صده فى جسارة وقوة وإصرار أخذت الدعوة إلى
تعريب الثقافة والتعالم تطهر على الصعيد العربى ، مع كل انتصار تُحرزه هذه الحركات
الاستقلالية ، فى كل قطر عربى

بدأت حركة تعريب التعليم تتجه إلى المراحل التعليمية التى تسبق مرحلة التعليم
العالى والجامعى . ثم أخذت تتلمس طريقها إلى هذه المرحلة منذ زمن يباهز حمسين
عاماً ، حتى فطمت أشواطاً محدودة فى مجالات بعصر العاوم ، وبخاصة فى مصر
وسورية والاردن والعراق

وقد أخذت حركة تعريب التعليم العالى والجامعى تنتشط ، وتزدهر ، وتمتد إلى
الكثير من العلوم العملية كما أخذت تلح إلحاحاً متواصلاً على المسئولين عن
التعليم العالى والجامعى ، حتى أصبحت حركة التعريب قضية قومية تحتشد لها
الطاقات ، وتتساند الجهود ، لتغمر ساحة التعليم العالى والجامعى

ولا ريب أن خير معين على ذلك ما في لغتنا العربية من قدرة فذة على التعبير عن
مختلف العواطف . يشهد لها بذلك تاريخها القديم ، حين كانت لغة العلم السائدة
لعدة قرون . في عصر ازدهار الدولة الإسلامية الكبرى .

ولنجمعنا في القاهرة أعظم إسهام في تعريب التعليم العالي والجامعي ، وحسبه
معماته العلمية المتخصصة التي يوالي إصدارها في كل دورة

وفي هذا الحراء من المحلة رحوت ضافية أولت هذا الموضوع حقه من الدراسة
والبيان . وقد كان هو الموضوع الرئيس لمؤتمر هذه الدورة

ابراهيم السزى

رئيس التحرير

كلمة الدكتور مصطفى كمال حلمي

نائب رئيس مجلس الوزراء

وزير التعليم العالي والبحث العلمي

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية
الأساتذة الأحلاء أعضاء المجمع
سيداتي . سادتي

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد
فإني ليشرفني أن أفتتح مؤتمركم السنوي
الذي يلتقي في رحابه أعضاء المجمع المصريون ،
وغير المصريين من الوطن العربي ، والعالم
الإسلامي والأجنبي ، وتحت خالصة لكم ،
وتهيئة طيبة بانعقاد مؤتمركم المجمع ، الذي
تعمهون فيه على ما أنجزه المجمع ، خلال عام ،
من مصطلحات علمية ، وألفاظ حصارية ،
وقرارات ومواد معجمية كما تقدمون إليه
بحوثاً تعالج قضايا علمية وتعليمية ، لغوية
وأدبية وغير ذلك من القضايا التي تسجل الباحثين
والدارسين ، بل تشعل العالم العربي ، وكل
دارس لأمتنا في الشرق والعرب .

أيها السادة الأحلاء

لقد أسعدني أن يكون الموضوع المقترح
لمؤتمركم « قضية تعريب التعليم » ، وهي قضية
طال عليها الأمد ، شغلت الأمة العربية ،
وما زالت تشعلها ، حتى صار علاجها أملاً
قومياً لكل عربي

وإني بوصي من العاملين في مجال
والتعليم . أشكر لكم هذه الالتمانة العلمية .
لمحت « تعريب التعليم » ، ورصد الجهود
التي تمذل لتحقيقه ، وبيان اسبل التي تصل
بها إلى غايته المنشودة

ولا يغوتني - في هذا المقام - أن أشير
بكل الإعزاز والاعتزاز إلى تراء لعنما العربية
في الميادين العامة . وإلى ما تمتاز به من قدرة
على التعبير العلمي ، في مختلف صورته
مصطلحاً وأسلوباً ، وفي مختلف مستوياته
وتحالاته يشهد بذلك ما صيها العريق .
حين كانت سيدة اللغات في العالم كله . بما
استوعبته من علوم نقاتها عن اليونانية
والمارسية والهندية ، وبما أبدعه العقل العربي
الخلاق من حضارة علمية وأدبية ودية .
ظلت مزدهرة طوال قرون عديدة وما كان
للهمزة الأوربية أن تظهر في ذلك الحين إلا بهذا
العطاء العامي الواهر لحضارتنا الأصيلة الخالدة
وإذا كان هذا شأن لغتنا في الماضي وهي
حديرة باستعادته في الحاضر ، وهؤلاء لأن
تكون في طليعة اللغات العالمية ، بالجهود
المتواصلة لأبنائها العلماء .

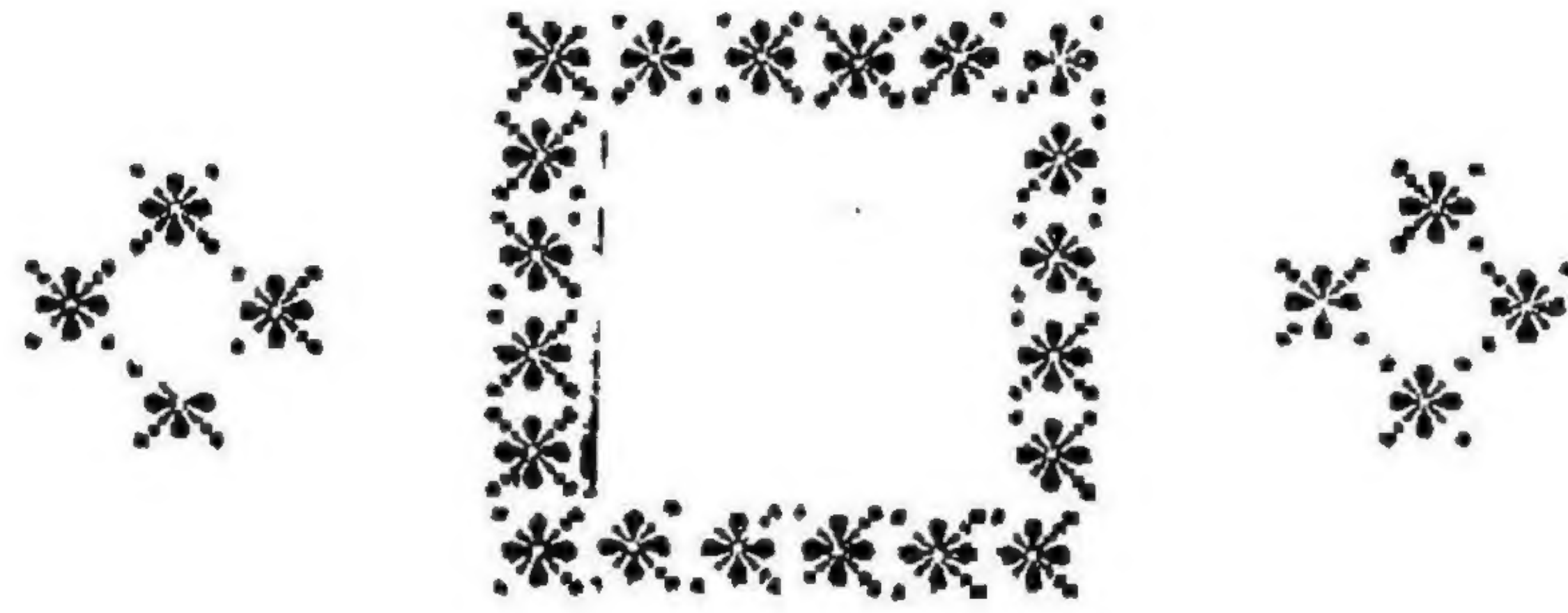
وكم أشعر بالسعادة والمخر حين أرى
مجمعكم قد أخرج - إلى جانب معجماته اللغوية -
عديداً من المعجمات العلمية المتخصصة، وهي :
المعجم الجيولوجي ، والمعجم الميولوجي ،
ومعجم الميزيقا الحديثة ، ومعجم الميزيقا
الموسوية ، والمعجم الجغرافي ، والمعجم
العماسي ، ومعجم ألماط الحضارة والفنون
هذه المعجمات العامة وما سيتلوها من
معجمات في الطب والهندسة ، والرياضة ،
والأحياء والزراعة ، والكيمياء والصيدلة ،
والتربية وعلم النفس ، والقانون ، والاقتصاد
والتاريخ ، وغير ذلك من المعجمات ، ستكون
الدعائم الراسخة للتعريب

ولهذا كان مجمعكم - منذ إنشائه - معقد
آمال أمتنا العربية في « تعريب التعليم » على
أسس عامية قومية .

ولعل اختياريكم لهذا الموضوع ، لمحت
مؤتمركم ، إيذاناً بالبداية في تعميم حركته التعريب
في وطنا العربي . . فقد آن الأوان لأن تؤتي
تمارها المرجوة على أوسع نطاق ، وفي كل
مستويات التعليم ومراحله . . وإني لأتطلع
إلى تأتي بحوثكم في موضوع « تعريب التعليم »
ولا يموتني التموه بحرصكم على عقد حلقة
علمية لجمهور المتقنين ، يلتقي فيها أرميل
الدكتور محمود حائط محاضرة صافية في هذا
الموضوع

أسأل الله تعالى أن يحفظكم سدة وحمة
لأختنا الخالدة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،



كلمة الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع

السيد فائق رئيس الوزراء ووزير التعليم
العالي والبحث العلمي .

سيداتي سادتي

يسعدني حقاً أن أرحب باسمي واسم زملائي
المصريين بضيوفنا الكرام ، من أعضاء
عاميين ومراسلين أرحب بهم جميعاً متمنيا
لهم طيب الإقامة خاصة بتعاونهم
الصادق وعطائهم السخي ، وقد عول مجتمعنا
منذ إنشائه على هذا التعاون ، فكون في
البداية من هيئة واحدة يلتقي فيها المصريون مع
زملائهم من العرب والمستعربين في دورة
سنوية تدوم نحو شهرين وتعتد ما يقرب
من خمس وثلاثين جلسة ، وفي هذه
الجلسات تدرس المشاكل اللغوية والأدبية
المختلفة ويرسم منهج العمل وتوضح تقاليد
البناء المجتمعي الذي أسهم فيه معاً إخواننا
من العرب والمستعربين. وسار الأمر على هذا
الحو حتى عام أربعين حين توقفت دورة
المجمع بسبب الحرب العالمية الثانية ، وكان
لابد أن نهبط السبيل لاستعادة الشمال. وفعلاً ،
رفع عدد الأعضاء من عشرين إلى اثنين
وثلاثين عضواً ، وتابعنا السير على الطريقة
المألوفة ، وأذكر أنه كان من أعضاء مجمع
اللغة العربية - أثناء الحرب العالمية الثانية -
ضباط في جيوشهم قعدوا إلى جانبنا

وجلسوا معنا في ريمهم العسكري ولم تمنعهم
الحرب ، ويلاتهما من أن يسهموا معنا .
وتخفيفاً وتيسيراً على الرملاء ، انتهينا إلى
تكوين هياتين لأحدهما مجلس المجمع ،
الذي ينعقد طوال ثمانية أشهر ، ويعقد
كل أسبوع جلسة على الأقل ، وفي خلال
هذه الأشهر الثمانية : يلتقي معنا أيضاً ضيوفنا
الأعضاء العرب والمستعربون ، يلتقون في
دورة تدوم شهراً أو نصف شهر على نحو ما
بدأنا ، ثم روي تقديراً لارتباطهم وأعمالهم في
بلادهم ، أن يهبط بهذه المدة إلى أسبوعين
كاملين ، على أننا ، إلى جانب هذا ، نحرص
دائماً على أن نبعث إليهم بما تنهى إليه
لجاننا المتخصصة ومحاسنا ، فهم على صلة
دائمة بنا طوال العام .

ومن مبدئنا : ألا يتخذ قرار لعوى ولا
يعتمد إلا إذا أقره المجمع في لقائه السوي .
ومطوعاتنا : محاتنا ، كتبنا ، تحقيقنا ، معجماتنا
لإخواننا فيها لإثراء وعطاء ملحوظ ولا نتردد
في أن نبعث إليهم مستفسرين ومستحويين
ومستوضحين ، وبخاصة فيما يتعلق ببعض
المسائل الإقليمية ، وأعتقد أن أسماء
الحريرة العربية - على سبيل المثال - مدينة
لزميل كريم وجايل ، هو الأستاذ حمد
الحاسر ، سعت إليه بها وسجل ما يقترحه

ليظهر في معجمها الكبير - على أمد إلى جانب
دراسات، المتخصصة درج مؤتمرا على أن
يعالج مشكلة من مشاكل العوية الكبرى .
وقد عالج من قبل - مثلا - أمة الصحافة .
كما عالج تعاليم أمة العربية . إلى غير ذلك
من موضوعات محرض دائما على أن تجتمع
فيها الكامة بين شيوخ العروبة في العالم العربي
جميعه . وها أنتم أولاء ترون - وقد
استمعتم إلى حديث السيد النائب - أنما في
هذه المرة يعالج مشكلة من مشاكل الكبرى .
وهي مشكلة تعريب التعليم في مختلف مراحلها .
وخاصة . التعليم العالي والجامعي ، ولست
في حاجة أن أقول لكم إن أهمية العالمية
الإسلامية الأولى . قامت على أساس
من تعريب . إنما اعتمدت على حركة ترحمة
دامت نحو قرين أو يريد . أحدثت عن
مصادر الأحذية المحتمة ، كما أشار السيد
النائب هذه الحركة العالمية التي بدأت في
نقرن ثمانى للهجرة ، واستمرت نحو قرين
مقتلين . وكنت له آثارها على الفكر الإنساني
بعامة علماءها مرة أخرى في بعضنا الحديثة ،
محين أنشأ محمد علي مدارس العالية
في طب والهندسة كان يقوم فيها
بمدرسون بلغات أجنبية . ولكنا التزاما -
من جانب هذا - أن نترجم دروسهم إلى
اللغة العربية . وما تزال بين أيدينا
مؤلفات عربية من تمار هذه الحركة
نعلمية في أوائل القرن الماضي ، وكان
من دعائهم . رفاة الطمطاوى ، ثم جاء

محمد عبده بعد ذلك ، وشدد الدعوة
لتقوم هيئة على العناية باللغة وتطويرها لتقى
بحاجات العصر ، ولقد اشترك في مجمع أهلى
في أحرىات القرن الماضي تم تتابع الأمر بعد
هذا بأن أنشأنا - في بدء هذا القرن - جامعة
أهلية هي الجامعة المصرية القديمة ، وليس
عريب أن يكون التعليم في هذه الجامعة باللغة
العربية . سواء أكان على أيدي مصريين أم
مستعربين . أذكر على سبيل المثال أن من
ثمار هذه الجامعة المصرية القديمة كتابا
للمستشرق فليبو في تاريخ الملك العربي ،
ما يزال يعد حجة للدارسين في تاريخ
الملك حتى اليوم ، وكان من آثار هذا
أن اتجه سعد رغال نحو الدعوة إلى التعليم
في مرحلة التعليم العام باللغة العربية ، وعلى
الرغم مما كان للاستعمار الإلحازى من
أثر في هذا ، وسرنا في هذا حتى اليوم .
وأستطيع أن أقول إن مرحلة التعليم العام
في مصر تقوم أساسا على أمة العربية ،
اللهم إلا أن خالطها حتى من العالمية أما
تعاليمها الجامعي . ودراساتنا الإنسانية كلها
من قانون وقاريح واسمه ، فكأنها تدرس
باللغة العربية وتؤلف فيها كتب تعد حجة
في موضوعها .

على أن الأمر يتطلب أن نتابع السير ،
ولا شك في أن الدراسات العالمية من ذلك
وطبيعة وكيمياء أخذت طريقها ، وأكأنها
لا تزال في حاجة إلى تعهد ومتابعة ، وربما كانت
دراسة الطب من الدراسات التي يقال إن العربية لم

تسميائها ، واسمحووا لي أن أقرر أن هذا ظالم
للاواقع والتاريخ ، فقد كتب الطب بالعربية
وعملته كتب قديمة ترجمت إلى اللغة اللاتينية
والعبرية معا كالقانون لابن سينا والحايي ،
لارارى .

وقانون ابن سينا بالذات ترجم إلى
اللاتينية وبقي عمله الدراسات الطبية في أوروبا
طوال أربعة قرون : من القرن الثالث عشر
الميلادى إلى القرن السابع عشر ولست في
حاجه أن أقول أيضا إن كتاب القانون هذا
نشر أول ما نشر باللغة العربية في روما
قبل أن ينشر في العالم العربي نفسه

كل هذا يثبت أن لغتنا حديره ومهيأة
لأن تؤدي رسالتها في أى مادة من مواد
العلوم الطبيعية أو الرياضية وأحب أن أشير
إلى تجربته بداتها كايه طب مصر به في جامعه
عين شمس ، أعتقد أنها تجربته هادئة متدرجة
تعالج الأمور في حكمه وتقبح أود العربية في
تدريس الطب وتعزز تدريس اللغة
الإنجائرية ، بدليل أنها ألزمت طلابها بدرس
إنجائري طوال ثلاث سنوات في مرحلة
الكالوريوس ، وفتحت الباب للغات أخرى
أحدثية في مرحلة التخصص التي تلى هذه من

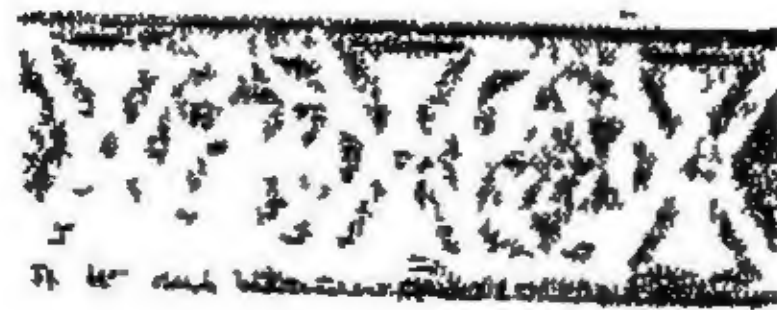
فرنسية أو إنجائرية ، أما العربية فإنهم
يدرسون الآن الطب المعسى باللغة العربية ،
وأحلاقيات الطب أيضا باللغة العربية ،
وكذلك الطب الإكائينيكي - كما يسمى -
يدرس باللغة العربية

وأنا إنما أعبر - في هذا كله - عن لوائح
وتطيمات وصعت منذ ثلاث سنوات ،
وكان من ثمارها أن رسالة الدكتوراة أو
الماستير إذا ما كتبت باللغة الإنجائرية لا بد
أن يعد لها ما حص باللغة العربية ولا أشك
في أن الطالب المصرى الذى يعد نفسه ليكون
طبيب المتقمل يسعه أن يعرف كيف
يحدث مريضه باخته وكيف ينقل إليه أفكاره
بلعته أيضا .

تلك تجربة أشرت إليها لأنها تدلنا على
الطريق ونحس ، ولا شك ، سائرون وأداواثق
كل الثقة من أن العربية ستستعيد مكانها كتابة
وتأليفا وتدرسا ستجد ذلك كله في أيادي
التخصص المختصة

وشكرا لكم جميعا على كريم استماعكم
والسلام عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مذكور
رئيس المجمع



كلمة الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع

سيد رئيس الوزراء ووزير التعليم
السيد محمد حامى
سيد رئيس المجمع
سيد رمادى لأجلاء من مصر وشقيقاتها
سيد يوسف الأشراف من مصر وسائر الوطن
مصر .

بسم الله عنيكم ورحمته وبركاته . وأثابكم
الله تعالى بعبادته وتصيب به قلوبكم من
برر ووداء . بعتكم أمريئة التي تجمع شعوبنا
على مدار واحد . وانكمم الواحد مهما
صوت . صوت الأرض في شرقها أو
غربها . وشاهاة وحويا
باعت . هي المممة عالية في أعماقنا ،
وهي في بلاد حبيب . ويعصب الله ويغضب
مروء . ويأثم من يمرض في حقها أو
يأثم في حبيب شهاة .

نحن جميعا نمد على لغتنا لغة القرآن ،
حرص على كيبها وعلى نقائها وتنمية
تصويرها . وعلى رفع شأنها في هذا الخضم
مروء من ثبات النفس في هذه الأرض .
وب من فضل عن منهجها المحكم . ومسلكها
باعت من سواد سليل .

باعت يوم وما نجمع في كل

عام للحج إلى هذا المؤتمر إلا لنجمع قلوبنا
المتزامنة في نضاتها ، وعقولنا المتناسقة في
خلجاتها . وآمالنا المتساوية في أهدافها
على خير ما يجمع هذا كله وهو الجلوس في
مؤتمرنا لتشاور ، يعاو فيه الحق ، ويبدحر
الماتل والشك إخلاص في البية ، ومسارعة
إلى انتباج أقوم السبل ، في خدمة لغتنا
الحالدة ، وأنتم صموة العلماء ونخمة الرجال ،
الذين يمثلون ثقاة بلادهم أصدق تمثيل ،
كما يمثلون عزة العام وساطان الحق النبيل .

هذه عودة كريمة أخرى نحظى فيها باللقاء
جميعا على مدى أسبوعين لتتدارس ما أجزته
لحال مجتمعكم الجامع ، وما أقره مجلس المجمع
في هذا العام بعد انفضاض الدورة السابقة
التي مرت كأنها الأمس . كما أن هناك محوثة
تلقى ، ودراسات تقدم فيكون موضع مناقشة
ومدارسة مثمرة إن شاء الله . وما ذلك إلا
رغبة منا جميعا في رفع شأن الفصحى
والبرهان على صدق طواعية كلماتها ومشتقاتها
وأساليبها للتعبير السليم في مجالات العلم
والآداب والفنون .

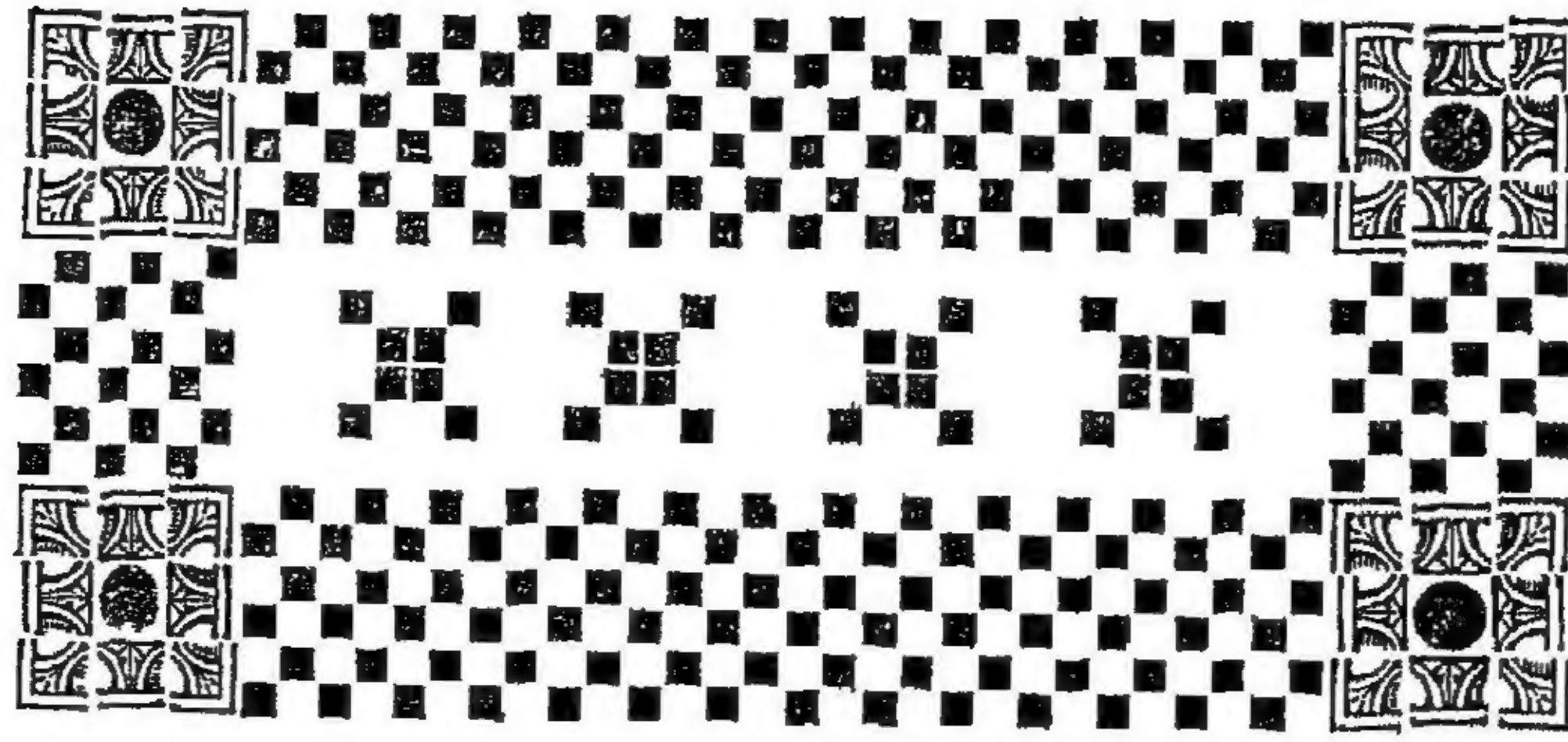
إن قرارات مجعنا ، وهي وليدة الشورى
والتحقيق الجماعى ، إنما تستمد شرعيتها من
هذا المؤتمر الذى هو بمثابة المحكمة العليا التي

لها السلطان الأعلى ، ولا فضل لها لرأى
على رأى إلا بما ينال من إجماع ، أو ما يحظى
به من رضوان .

إن مجامعنا كلها تقوم على الشورى المكرية
والعلمية ، وعلى إنكار الذات وإنكار الدوات
أيضا . ومن هنا كان لا بد للمخطئين أن يحاولوا
النيل من جهودكم السامية التي تسرى وحدها
إلى مساربها دون ضجيج أو هدير . وهل
القول بأن الجميع ليست له مجاة ناطقة مع أنه
قد صدر من أعدادها رهاء الخمسين مجلدا
ضخما ضخما ، إلا إنكار لا واقع بالعمد ،

أوهو ضرب من القول غير المستول ، وهل
هذه المعاجم التي أصدرها الجميع التي كادت
أن تربي على العشر ، هل هذه المعاجم العتيقة
إلا وليدة جهد حارق غير مصحوب كما قلت
بصحيح أو هدير إنما يعرف الفصل من
الاس ذووه وليس يموتى أر أعبر - بالديانة

عن محمديكم - عن عظيم شكرناو تقديرنا
لحضوركم أيها الرملاء العرب الأشقاء .
والرملاء المستعرون الأصدقاء . راحين
لكم طيب الإقامة في بلادكم هذا



المجمع بين مؤتمرين

الدكتور عبد الرارق محيي الدين عضو المجمع من العراق، والتأينة كانت لتأين المغفور له الأستاذ أحمد توفيق المدني، عضو المجمع من الحرائر .

أما الجلسات التسع الباقيات فكانت مغلقة عرض فيها على المؤتمر ما أعدته لجان المجمع وأقره مجلسه من مصطلحات في

— الميزيقا

— العلوم الطبية

— الفلسفة

— الكيمياء

— التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

— علم النفس والتربية

— التكليف

وبعد مناقشة في هذه الجلسات تواصلت على مدى تسعة أيام أقر المؤتمر أكثر ما عرض عليه من هذه المصطلحات العامة والألفاظ الحصارية والمواد المعجمية، كما أقر المؤتمر القصايا التالية من أعمال لجنة الأصول، وهي .

— حذف أن في بعض الأساليب المعاصرة

— إن وأخواتها المونييات إذا اتصل بها

الضمير « نا »

— جمع فعلة على فعل .

كان العام الماضي مناسبة طيبة للاحتفال بالعيد الخمسيني للمجمع . وقد وفد إلى هذا العيد من دعي إليه من الأعضاء العرب وجميع الأعضاء المراسلين من العرب وغيرهم والممثلون للمؤسسات العلمية والثقافية، والجامعات المصرية والعربية والإسلامية ومندوبو الإعلام

وقد استمر انعقاد الاحتفال بهذا العيد على مدى أربعة أيام نشر فيها ما كان مطويا من تاريخ المجمع وجلال أعماله وتطوره الوثاب على مدى نصف قرن، وألقى فيه من البحوث الحادة المستفيضة ما سيظهر منشورا في كتاب كما أصدر المجمع هذه المناسبة التاريخية كتابين .

أحدهما . مع الخالدين بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع والثاني . مجمع اللغة العربية في خمسين عاما للرميل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

المؤتمر السابق :

كان المؤتمر السابق — كما هو المعهود — حافلا بالنشاط، راجعا بالمواد التي قامت شاهد صدق على خصب اللغة العربية وحيويتها وثرائها، فانهقدت خلاله إحدى عشرة جلسة، منها اثنتان علميتان . إحداهما كانت لبسط يد الوفاء في تأين المغفور له الأستاذ

وأقر أيضا ما عرصته عاينه لجنة الألفاظ
والأساليب من ألفاظ وتعابير تناولت

— الحديد في دلالة التعبير .

— الشفرة

— عشر كلمات على صيغة فعيل بمعنى
مفعول

— ملحظ ، ملحوظة ، ملاحظه .

كما وافق على الموضوعات التالية من أعمال
لجنة اللهجات :

— ظواهر لغوية من لهجة طيء القديمة

— درسه في لهجة بني أسد

— الأحبال الصوتية

كذلك حمل المؤتمر ببحوث لغوية وأدبية
وفلسفية ، كما كان للشعر نصيب ملحوظ
في أعماله أيضا بقصيده «الوحود» للزميل
الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم ، وبقصيده
أخرى للزميل الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب
عصو المجمع من السودان التي حيا فيها المجمع
وهأه بعينه الذهبي

وفي الجلسة الختامية أصدر المؤتمر
التوصيات التالية :

— يوصى المؤتمر أن يتمحقق التعاون بين
الجامع العربي والجامعات والهيئات العلمية
لتوحيد المصطلحات العلمية حتى نصل إلى
لغة علمية موحدة .

— أن تغنى وسائل الإعلام جميعها بالترام
العربية المصحح نطقا وأداء مع وجوب تعيين
مصححين متخصصين لكل ما يكتب في
الصحف والمجلات أو يداع من أخبار ومواد
مختلفة ، يقومون بتقويم الألفاظ وضبطها
صبطا دقيقا . وأن يغنى في الإذاعة والتلفزيون
خاصة بتسميه المهارات والقدرات اللغوية
بمحاضرات يلقيها على المديعين متخصصون
في اللغة العربية

— يوصى المؤتمر بأن تلتزم مسارح الدوا
باللغة المصحح في تمثيلياتها ، ويطلب إلى
مسارح القطاع الخاص أن ترتقي ببلعه تمثيلياتها
إلى مستوى المصحح تدريجيا .

— يوصى المؤتمر بأن يلتزم أساتذة
الجامعات ومدرسو المدارس المختلفة باستعمال
اللغة الفصحى السهله في إلقاء المحاضرات
والدروس ، وكذلك في المناقشات والمحاورات
— يوصى المؤتمر أن تزود مكاتب مدارس
التعليم العام بتسجيلات المصحح المرتل
لتمكن الطلبة من محاكاة الفصحى والنطق بها
نطقا سليما ، وأن تهتم وزارات التربية بزيادة
رصيد الطلبة من حفظ القرآن الكريم ليزداد
وعينهم بالألفاظ والأساليب القرآنية .

— لاحظ المؤتمر تدهور مستوى المصو
التي تقدم إلى الطلبة ولا سيما نصوص الشعر
لذلك يوصى وزارات التربية والتعليم
بضرورة المعد عن المصو التي تصدر
عن أقلام غير معترف بها .

— يوصى المؤتمر بأن تقلل وسائل الإعلام من الاهتمام بالآداب الشعبية لتريد من ناحية أخرى اهتمامها بالأعمال الأدبية الرفيعة التي تلتقي الآن ترحيباً من مختلف الطبقات على امتداد العالم العربي.

١— وجوب مراقبة الخطب العامة على اختلاف أنواعها من جهة ألفاظها ، ومن جهة ضبطها لما لها من آثار خطيرة في توجيه لغة الجماهير ونطقها وأن تبلغ هذه التوصية إلى مختلف الجهات الرسمية ، ولا سيما وزارة الأوقاف التي تخاطب الجماهير أسبوعياً ، لتلقى العناية الواجبة .

أعمال الخامس واللجان في الدورة الحالية :

عقد مجلس المجمع تسعاً وثلاثين جلسة منها ثلاث جلسات علنية استقبل في إحداها ثلاثة من الزملاء الجدد فازوا بعضوية المجمع هم :

— فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب السجار

— الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجري

— الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

أما الجلستان الأخريان فكانتا لتأبين اثنين من أعضاء المجمع الراحين هما :

— المغفور له المهندس أحمد عبده الشرباصي

— المغفور له الشيخ أحمد هريدي .

كما فجع المجمع بفقد عضو آخر من أعضائه هو المغفور له الأديب الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حس الذي كان فقدته خسارة كبيرة لدولة اللغة والأدب والشعر، وسيقوم المجمع بتأبينه في إحدى جلسات هذا المؤتمر العلنية إن شاء الله .

أما سائر الجلسات فكانت مغلقة نظر المجلس فيها ما أجزته لجان المجمع من مصطلحات في :

— الجيولوجيا

— الكيمياء والصيدلة

— الفيزيكا

— الرياضة

— هندسة القوى الميكانيكية .

— علوم الأحياء والزراعة .

— العلوم الطبية .

— ألقاظ الحضارة .

وثمة لجان أخرى كان لها نتاج ووير من المصطلحات ، وسيتم عرضها على المجلس عقب انتهاء المؤتمر إن شاء الله ، وهذه اللجان هي :

— لجنة النفط

— علم المعن والتربية

— الاقتصاد

— الفلسفة :

— المعالجة الإلكترونية للمعاملات

مسابقات المجمع :

كان موضوع المسابقة الأدبية للعام الماضي هو « لغة الصحافة وتطورها من توره سنة ١٩١٩ حتى العصر الحاضر » وقد تقدم إليها كثيرون فاز من بينهم الأستاذ عبد العزيز أحمد موسى بالجائزة الثانية أما الجائزة الأولى فقد حجب هذا العام لعدم ارتقاء شيء من الإناح المقدم الى . نتواها

كما أعان عن مسابقة في إحياء التراث لعام ٨٤ - إلى ٨٥ يماول موضوعها إحياء كتاب في متن اللغة العربية أو أحد عناوينها أو تحقيق نص من مصونها الأدبية سعرا أو نثرا

وأعلنت لجنة الأدب بعد موافقة المجلس عن مسابقتها في هذه الدورة الحالية ، وموضوعها « القاهرة في الأدب العربي فائمه وحديثه » .

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع في هذه الدورة المطبوعات التالية :

-- المعجم البيولوجي .

-- معجم الكيمياء والصيدلة .

— معجم علم النفس والتربية

— معجم الفيزيكا الحديثه (الجزء الأول)

— الجزء السادس والأربعون من مجلات المجمع .

— الجزء السابع والأربعون من مجلات المجمع .

— الجزء الثامن والأربعون من مجلات المجمع .

— اتحاد الرابع والعشرون من مجموعة المصطلحات العلمية والنميه

— ماحق الدورة السادسة والأربعين

— الجزء الأول من كتاب عريب الحديث للهروي تحقيق الدكتور حسين شرف ومراجعة عبد السلام هارون

— الجزء الثاني من كتاب عريب الحديث للهروي بتحقيق الدكتور حسين شرف ومراجعته المرحوم الأستاذ محمد عبد النعي حسن .

هذا إلى أنه في قيد الطبع أيضا هذه الكتب والمجموعات

١ — محاضر جلسات المجلس للدورة ٤٨

٢ — محاضر جلسات المؤتمر للدورة ٤٨

٣ — محاضر جلسات المجلس للدورة ٤٩

٤ — محاضر جلسات المؤتمر للدورة ٤٩

٥ — الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط . وهي طبعه جديدة منقحة أضيف إليها الكثير من المواد التي استدركت على الطبعين السابقتين وبأسف لعدم وجود الفرصة الآن لتقديته كاملا إلى السادة الصيوف في هذا المؤتمر .

٦ - الطبعة الرابعة من معجم ألفاظ القرآن الذى أعيد تنقيحه وتسيقه على أيدي لجنة مختارة ، ويجرى العمل الآن على تقديم الجزء الأول منه إلى المطبعة

٧ - الجزء الأول والثانى من كتاب « التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة » من تأليف السيد مرتضى الربيدى بتحقيق الأستاذ مصطفى حجارى مراجعة الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام .

٨ - يشرح شواهد الإيضاح لآلى على النارسى . من تأليف العلامة ابن برى بتحقيق الدكتور عيد مصطفى درويس ومراجعته الأستاذ الدكتور مهدي علام

صلات المجمع الثقافية :

يحرص المجمع على ترويض طلابه بالادب والهيئات والمؤسسات التعاونية في مختلف المادان . وفي تبنى المناسبات . وفي إطار هذا اشترك المجمع في الاحتفال الذى أقيم في مدينته بدوانست بالبحر . احتفالاً بالذكرى المئويىساولد المستشرق المحجى الدكتور عبدالكريم حرمانوس وذلك بسحت للأستاذ الدكتور أحمد السعد سليمان

كما أسهم في الدورة التى أقامها الاتحاد الدولى الأكاديميات فأباب عنه في حضورها الرميل الأستاذ الدكتور محمدي وهـ .

كذلك شارك المجمع في الدورة التى أقامتها كايه الآداب ساهمة الإسمكدرية إحياء

للكرى المعفور له الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع

ولم تنقطع صاه المجمع بمكتب تنسيق التعريب بالرباط ، فقد تلقى المجمع من هذا المكتب مشروع « معجم الكيمياء العامة » كما تلقى مشروعات لثلاثة معاجم في « الترييه وعلم النفس » و « الفيريقا » والماط الحصاره وأحيلت جميعا على اللجان المختصة بالمجمع ارى رأيها فيها .

أعضاء جدد للمجمع :

سعد المجمع بضم عدد من العلماء الأكفاء إلى عضويته ، وكان هذا العام عاما حصبا مصمم إلى عضويته اتى عشر عضوا عاملا أربعة منهم من المصريين . وحشد من العرب وثلاثة من المستشرقين أما الأعضاء المصريون

١ - الأستاذ الدكتور حسين مؤنس - أستاذ التاريخ السابق بكايه الآداب - جامعة القاهرة

٢ - الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفى صابر أستاذ الصيدلة بجامعة القاهرة وهو من أوائل الخراء الذين دخلوا المجمع .

٣ - الأستاذ الدكتور محمود على مكى - أستاذ الآداب الأندلسى بكايه الآداب جامعة القاهرة

٤ - الأستاذ الدكتور كمال بشر - أستاذ

الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم .

ويسعدنا أن نعلن صدور قرار السيد
رئيس الجمهورية باعتماد انتخاب هؤلاء
أعضاء في مجمع اللغة العربية . فباسم
المجمع نقدم إليهم التهنئة بهذا التكريم أما
الأعضاء العرب فهم .

١ - الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار

الحواري من العراق

٢ - الأستاذ الدكتور حسني سبيح من سوريا

٣ - الأساتد الدكتور عبدان الخطيب من
سوريا .

٤ - الأستاذ الدكتور عبد الكريم حايمة ،

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني .

٥ - الأستاذ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي .

من الجزائر .

وأما الأعضاء المستشرقون فهم .

١ - رودلف زطاي (من ألمانيا)

عضو المجمع المراسل منذ عام ١٩٧٦

٢ - جاك بيرك (من فرنسا)

أستاذ التاريخ ، والتاريخ الاجتماعي

الإسلامي في الكوليج دي فرانس .

٣ - روبرت سرجانت (من بريطانيا)

أستاذ اللغة العربية بجامعة كمبريدج

وقبل أن أحتم كاسي هذه لا يبرئ
أن أبوه باعتدال بعض السادة الزملاء
الذين حالت ظروفهم دون تمكنهم من
الاشتراك في هذا المؤتمر :

وهم السادة .

١ - الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

٢ - الأستاذ الدكتور ناصر الأسد عضو

المجمع من الأردن

٣ - الأستاذ السادلي القايي عضو المجمع من

تونس .

٤ - الأستاذ عبد الله بن خميس عضو

المجمع المراسل من السعودية

وعسى أن يظهر بمشاركتهم لنا فيما

يستقبل بإذن الله

أيها السادة

إليكم حديداً تخياننا وشكرنا وتقديرنا

لتسريعنا لحضوركم وأتم أيها الإخوة الكرام ،

والزملاء الأعزاء من أعضاء المؤتمر ،

دوى النصبة العربية الواحدة والحقيقة الإسلامية

الواحدة ، والمطرة العالمية الواحدة ، إليكم

أيها الأشقاء الأصفياء من محمديكم حيه

الود أصدق ما يكون الود ، وأميته الأخوة

آن يحفظكم الله سبحانه ، وأن يرعى محاركم

ومواطنكم أيما يكونون منها ، وتشكرا

لاستجابتكم لدعوه الأم الواحدة والوطن

الواحد .

والسلام عايكم ورحمه الله

عبد السلام هارون

الأمين العام

كلمة الأعضاء العرب للأستاذ محمد باجة الأثري

السيطة . طاوعا ومعيبا ، لها في واقع الحال امواق حوالدي الأفعال ، شوارق على الرمن . لانطفأ لها أنوار كما تطفأ التجموع حين يحتفل المترفون بتوديع عام من العمر قدم . وستقبال عام جديد أقبل . واكبها تطل أبدا رواهر في سماء الحياه الأساسية تملأ التماوب والعقول صياء ونورا

وهذا المجمع العتيد الذي أبتى في كتابه العرب هذه . لواكمة النهضة العلمية والمكرية التي استأنفها العرب واصلين بها -صتهم الأولى الخالده الذكر ما أخاه . وله المهمة من مرقعه الرسمي على توحيه لسانها في علما وراعبه ما أحلته بأن يوسى أواصرده يهدد الحصاره ويهدد النهضة ومصادر تسميتها من المجمع العربية ببغداد ودمشق وعمان والرباط وبجميع مراكز العلم وقواعده في الوطن العربي كله ، فيجعل الشأن كله شركه دائمة مستمرة دمه وبينها يأخذ منها ويعطيها . ويجتهد في أن يوصل إنتاجه إلى كل ناحية وراويه ما استطاع إلى ذلك سبيلا

وما أمدته الدولة . وما أحرأها بأن تفعل . بكل عون وأن يرتصد وترتصد معه كل هذه القواعد العاميه - في الوطن العربي الكبير هذه الحياه الحيده التي يفرصها العصر فيمدها من تروه هذه المصالح الحيه الغنية بالراد الطيب الذي يحتاج إليه . وهي في صعودها لا تستعنى

حصرة سيد الخليل نائب رئيس الوزراء
ووزير تعليم العالي والبحث العلمي
حصرة سيد خليل رئيس مجمع اللغة
عربية

اسادة زملاء لأجله وشهد الاحتمال
تؤتمر مجمع اللغة العربية من سادة وسيدات
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
في مثل هذه نيوه من العام محوري
في مصر . وفي هذه القاعة . قاعة جامعة
لدول عربية . احتفل مجمع اللغة العربية
بعيده احدى . التقصاء حسن عاما على رهن
شبه في كتاب - عرب . وأطاما على آتواء
تلك من شرفات جهاده انتم في سبيل
مجمع العربية . دنا لا يعروده واء . وعمرها
لا يسوره حيرة . وراصلا عاما هصى
عمره . ويوره أدر نيوه مقتل وهو يحود
عظمته التي تدر متلاحقة متتابعة وعريده
ذوقه ومحد عربية هو محد العرب ما بين
عرق تسميح الدائح تاريخ الصمراء عن
سردته وكرامته وعمرته . ومن العرب
حار حيف اذار الخامل - كأمثاله من
تصمعه العربية - اتحاد اعروية والإسلام .
ولن نغمت تلك الأعوام الخيسون دواهب
ويات في حساب تقاب الشمس على وجه

عن مواكبه لها في حال من الأحوال
أن يصرف طاقاته العلمية واللعوية والهمية
في جميع نواحي هذه الحياة على طراى واحد
لازا نفسه معا في قرن إلى الآفاق العاليا
التي تتسامى إليها ، غير وان في عزمه .
ولا منحصر من عباده

ولسب أشك في أنه من يوم انشاى
فجره الاصادى قبل واحد وحمسين عاما
إلى ساعته هذه . قد وفق في معظم ما قدم
من راد الامة . أصولها وفروعها ، توفيقا
ملحوظا مشرق الوجه وواضح التسميات
وقد أعطى وأحرل العطاء ، وفطع أشواطا
بعيده مما أريد منه من راد للعصبي . لسان
الأمة والملة . ورادها كثير وغرير وهي
تستحب له وتعطيه عطاء من لا يحشى العاقبة
سمحه سحبه ، لا تحصن على طالب رملها
بشيء مهما كبر . وهو ما برح يستمد منها
الخير ، وسوف تظل سيرتاها على هذا النحو
من التعامل الكريم إلى ما يشاء الله

أعطته هذه العربية - لسان الأمة والملة
وموحدة الشمل وجامعته - الفيض الترم الألفاظ
المأنوسة ولأساليب السهلة الرشيقة . وطوعت
له أن يصنع من مادتها العنية آلافا بعد آلاف
من المصطلحات للمسميات الجديدة في مجالات
العلم والفكر والتمنون والصناعات كافة في
مطالب الحياة الاجتماعية ومطالب الحياة
السياسية والإدارية في التحاره والاقتصاد . في
الرياضيات والطبيعات والإعمار والفلك ،

في عالم الفضاء وعلم طبقات الأرض .
في الزراعة والنبات والحيوان والجماد .
في المنطق والمعادن . وما يزال يعمل متواصلا
واخهد دائما وسيصل الشك على هذا
المسار . والعربية في كل هذا تثبت اليوم
كما أثبتت في ماضيها حصري العريق
أما الامة الخيرة أو أود حق وصدق . نحتقت
من الحياة ويسرت . حياة مؤهله . به خص
بأثقل الأعباء وللاصطلاح . أحسن تكاميف .
لاتنوء حمل ولا تتكبر بعبء على كبر
الجليدين . وتحدد طور حياة وترتيب
مطالبها . وقد كتبت قديم وحديث . أمر هين
المعملية . دعاوى التعويية الشنت . عتسها
وقصورها عن نقل علوم عصر وثقافته .
هدفت في وجود الأركان عمها ففقت
ما أفكروا وستلقف ما يأفكون . وما أشبه
الليلة بالبارحة

وما على الجميع اسوقر ومراكز العلم
في الوطن العربي الكبير إلا الالتقاء الدائم
على هذا النهج اللاحب الواصح وما تنصيه
النهضة من تطبيق جاد . ومن إبداع
متحدد متصل الحلقات لتنتهي إلى حيث
تستشرف من السمو ومن الارتقاء
في مراقى الحضارة الإنسانية العلية .
ومن معدنها الكريم نبتت وأثمرت في أول
الدهر في مثال من الحلال والجمال ما أكرمه
وما أنله وما أحلاه

حصرات السادة : نحن - أعضاء هذا
الجمع الميمون المبارك القادمين إلى كنانة
العرب . مشاركين توفيق من الله في هذا
الشأن العظيم - لسا ضيوفا على مصر .
وكيف يكون المرء صيفاً في داره . وإن

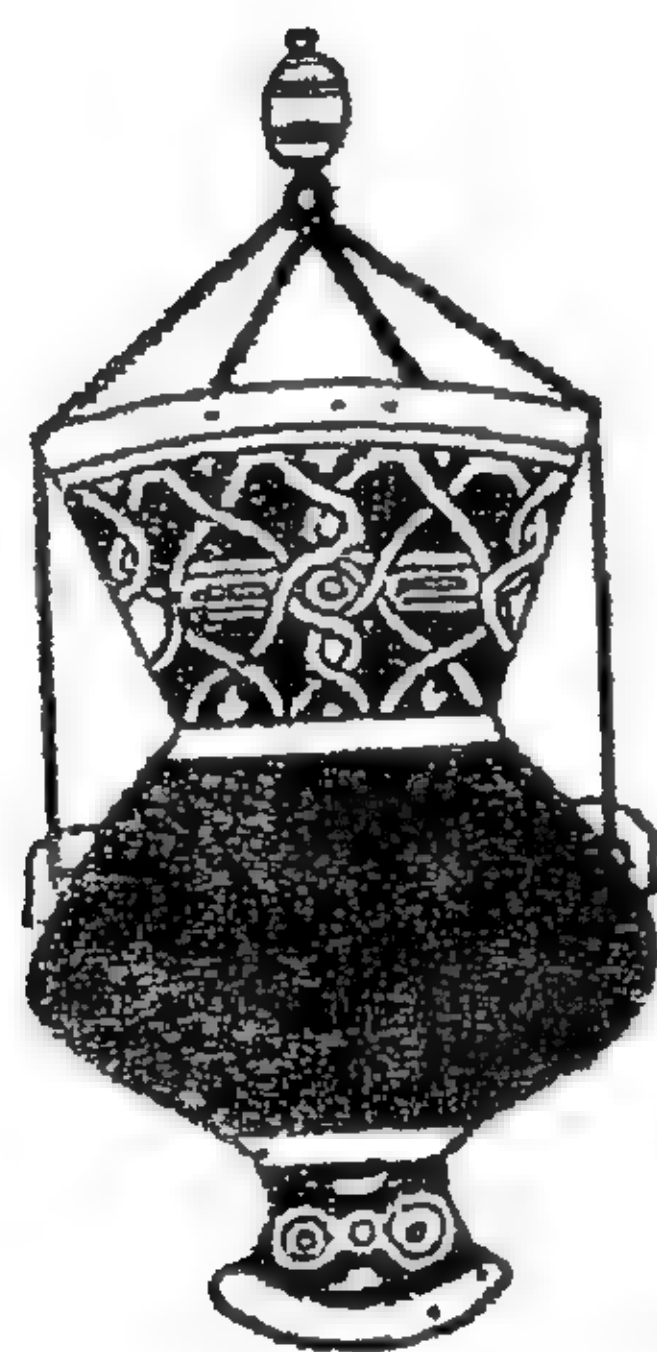
• يب حتى الآن حديث شكر على ما لقاها
 • ترحيب وحموة صادقة المؤثرة باختر
 • وسير . ولأن امرء لا يتذكر نفسه ولكنه
 • حمد لله . حل وعلا - وهو سبحانه
 • مودة في جميع الأحوال . يحمده على المعمة
 • في يديه . وأي نعمة أحلى وأعلى من

نعمة السعادة نظام الإنسان في مأواه وحيث
 يحل من ديار قومه ، بل من قلوب إخوانه
 في هذا الوطن العربي الحبيب العزيز .

دامت هذه اللقاءات ودامت الأمة العربية
 حرة عريضة .

والسلام علىكم ورحمة الله تعالى وبركاته

محمد بهجة الأتري
 عضو المجمع من العراق



مقدمة لفهم الكون للدكتور حسن علي إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم
قال سبحانه وتعالى

« إن في خلق السماوات والأرض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين
يلذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتذكرون في خلق السماوات والأرض
ربما ما خلقنا هذا باطلاً سبحانه » .
[صدق الله العظيم]

• إذا ترى إذا بطرت إلى السماء في آية
صاويه لا قمر فيها ، إياك ترى عدداً كبيراً
من المجوم وكل نجم تراه - شمس مثل شمسنا -
(قد تكون أكبر أو أصغر منها) -
وكم نجماً ترى ، ستقول أنها لا تحصى
لأنك تشع في أعماق نفسك بأنك تنظر
إلى شيء عظيم جداً لا نهاية له وهو إحساس
صادق ولكنه أول كثيراً من الواقع وقد
لا تصدق إن كل ما يمكن أن تراه العين
السوية هو ألف وحسماء نجم وإذا تذكرنا
أن سماء الشتاء تختلف تماماً عن سماء الصيف
لأن الأرض تسكون في الناحية المقابلة
من الشمس فإليك ترى ألف وحسماء نجماً آخر

ثلاثة آلاف نجم هو كل ما تراه العين السليمة
أما ما يبدو كسحابة تحرم السماء حينها
وشتاء فهو درب التمام ولكنك تراه كسحابة
أو سديم متصل بالضوء ولو أن السحابة
تتكون من عدد لا يحصى من المجوم
وهي ناتجة من المطر في اتجاه المعد الأكبر
للمجرة التي نعيش فيها .

تري ما مكان الأرض والشمس في هذا
الكون ، الأرض كوكب سيار على بعد ثلاثة
وتسعين مليون ميلاً من الشمس وهي تدور
حول الشمس مرة كل سنة وبعد الأرض
عن الشمس يعرف بالوحدة المملكية وهذه
الوحدة تستعمل في قياس المسافات المملكية
القريبة والأرض كره صحيرية معدنية قطرها
يزيد قليلاً عن ١٢٧٠٠ كيلو متر وبها بعض
المرطحة الناتجة عن دورانها حول نفسها
مرة كل ٢٤ ساعة فقط الأرض بين القطب
الشمالي والجنوبي يقل عن القطر بين قطبين
مقابلين على خط الاستواء بما يقرب من

(*) ألقى البحث في الجلسة الثانية ٢٧ / ٢ / ١٩٨٥ م .

هشرين مبدئ ولكن هذا لا يمكن أن تدركه
 غير ويحتاج إلى قياسات دقيقة ثم أظهرت
 قياسات دقيقة أني أحريت بعد ذلك
 أن الأرض ليست كرة تامة التكور من ناحية
 أخرى أيضا فشكلها مثل الكروي والجزء
 الواقع شمال خط الاستواء أقل محيطا بعكس
 الجزء الواقع إلى جنوبه ولكن لمدع لرحال
 نملك قياسهم وتقدير التي توصلوا إليها
 لا تكاد تذكر فالنسبة لنا وإذا نظرنا للصورة
 التي أخذت لكرة الأرضية من أعماق
 الفضاء نجد أنها كرة كاملة التكور تتكون
 قشرتها الخارجية - هذا إذا وضعت البحار
 والمحيطات والصحاري والجال والصحور
 جانبا وعمقنا - فالقشرتها الصلبة تتكون
 من طبقة من الحرايت وبداخلها طبقه
 من البارلت ثم طبقة سميكة من الأوليهين
 وورن الكرة الأرضية يقارب ستة مايون
 مليون مليون طن وهذه أيضا أمكن التوصل
 إليه بالتحارب العملية الدقيقة وذلك بقياس
 قوة التجاذب بين كرتين من معدن ثقيل
 البعد بين مركريهما مقاس بدقة شديدة
 ثم مقارنة هذه الكرة وهي بالطبع صلبة
 جدا ولا تقاس إلا بميزان بالغ الدقة
 مقارنتها بجاذبية الأرض لكرة منهما
 على سطحها وبما أن المسافة بين مركزي
 الكرتين معروفة وكتلتهما معروفة وبتطبيق
 المعادلة المشهورة أن الجاذبية تزيد طرديا
 بمقدار ما تجمع في الجسمين المتجاذبين
 من كتلة وتقل طرديا حسب مربع المسافة

بينهما وبما أن البعد عن مركز الأرض
 معروف فيكون معرفة وزنها أمرا سهلا.
 وقد لوحظ أن كثافة الأرض الخارجية
 لا يفسر كل هذا الوزن الأرض إذا لا بد أن
 يكون قلبها كبيرا وتقيلا وحتى الآن
 لا نعرف شيئا بالتحديد عن طبيعته الجزء
 المركزي من الأرض ولكنه غالبا يتكون
 من حليط من الحديد المائع وذلك لشدة
 الحرارة في الداخل وربما مع بعض السبك
 ولعل الحديد هو السبب في مغناطيسية الأرض
 ووحد القطب الشمالي والقطب الجنوبي
 المغناطيسيين كما تشير البوصلة المغناطيسية.

كان القدماء يظنون أن الأرض ثابتة
 وأنها مركز الكون وأن الشمس والكواكب
 السيارة والنجوم تشرق وتغرب وتدور
 حول الأرض إلى أن أتى الفيلسوف الاغريقي
 المابغة اريستار قوس الساموسي فلجأ إلى الطريق
 العلمي العملي للقياس بما أتيح من أدوات
 بسيطة فاستطاع أن يدرك أن الشمس أبعد
 عشرات المرات عن القمر ولكنها ليست
 في الانهائية وإذن فهي أكبر من القمر بكثير
 واستطاع أن يدرك أن الأرض كروية
 مثل الشمس والقمر تماما كما عرف أن القمر
 يدور حول الأرض وأن الأرض تدور
 حول الشمس وكان ذلك قبل ميلاد المسيح
 بعدة قرون ثم جاء أرسطو المعلم الأكبر
 فبنى كل ذلك وأعاد الأرض لتكون مركزا
 للكون ثم ابتدع نظام السماوات الكروية

الشفافة التي تحمل كل منها كوكبا سيارا في سماء وكذلك الشمس والقمر وأن حركته كل سماء محالمة للأخرى فالشمس والقمر في سماء والكواكب السيارة كل منها في سماء أما النجوم الثوابت فكأما في سماء واحدة وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى العصور الوسطى وبذلك آخر أرسطو العالم دون أن يدري ما يريد عن خمسة عشر قرنا من الزمان ولم يتقدم العلم ثانيا إلا بعد أن عاد الإنسان إلى العلم في تفسير طواهر الكون كانت تعاليم الكنيسة حتى القرون الوسطى هي أن الأرض مسطحة وأن بيت المقدس مركز الأرض وكل من خرج على هذا التفكير كان يعد مارقا .

ويرجع الفضل الأول لحل نظام المجموعة الشمسية إلى كوبرنيكوس ثم إلى غاليليو بعد ذلك وبالرغم من أن المعتقدات الملكية كان لم يخترع بعد فقد تمكن كوبرنيكوس من أن يضع نظاما صحيحا للمجموعة الشمسية وجعل الشمس هي المركز الذي تدور حوله الكواكب السيارة كما جعل الأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة وفسر جميع تحركات الكواكب السيارة تفسيراً صحيحاً ولم يبق إلا أن يأتي من يثبت هذا بطريق عملي وكان هذا الشخص هو النابغة العالم الفلكي جاليليو الإيطالي كان المنظار قد اخترع في هولندا فتلقف جاليليو ذلك الاختراع وحسنه حتى ركب منظارا يكبر سنا وثلاثين مرة وفي أيامنا هذه يعتبر هذا المنظار لعبة أطفال إذا قيس

بالمناظير الحديثة في المراصد حتى أن المنظار الذي في مرسى وأراقب به المجوم يكبر ١٠٠ مرة أي نحو ثلاث مرات أكثر من منظار جاليليو ولكن بالرغم من ذلك استطاع جاليليو أن يستعمل عبقريته في إرساء قواعد علم الملك الحديث وكان ذلك بعد عام ألف وستمائة ميلادية تقريبا (على ما أذكر) كان ذلك في عام ألف وستمائة وثلاثة عشر) فما الذي فعاه جاليليو ؟ لقد أثبت كروية الأرض بشكل عملي فقد وحه منظاره إلى البحر إلى الأفق المعيد وتأمل السمن وهي تظهر وتختفي عند الأفق ف رأى أن السمن المادة تظهر أعالي أشرفها أولا وكلما زادت اقترانا بدأ جسم السفينة في الظهور ويحدث العكس في السمن الراحلة إذ يختفي جسمها أولا تحت الماء ثم الشراع أخيرا إذن فسطح البحر مقوس فهو إذن حرة من سطح كرة ولو كان سطحي لاحتفت السمن من المعد دون أن تعوض في الأفق وقال للناس تعالوا وراقبوا وانظروا ف رأوا ولكن لم يصدقوه أحد ففكر في كروية الأرض ما كان ليتصورها أحد و فكر أليس القمر عالما آخر مثل عالمنا؟ والقمر كروي فنظر إليه فوجد فيه الجبال وسلاسل الجبال والأنحاديث أما السهول المداكنة على سطحه فقد ظنها خطأ بحارا وسماها وما زالت تعرف بسحور القمر حتى الآن وقد سمي أحداها بحر العواصف لأنه ظن أن كثران الرمال التي فيه والتي تشبه الأمواج ظنها أمواجا فعلا وقال للناس تعالوا وانظروا إن هذه الكرة التي أمامكم عالم مثل عالمنا فهل اقتنع بكلامه أحد ؟

ثم نرى الأرض تدور حول الشمس فبهذا يفسر اختلاف سماء الليل من وصل إلى آخر كما يبين سبب انتقال الشمس بين الأبراج المختلفة . حسن فهل يمكن بالمشاهدة رؤية كوكب آخر يدور حول الشمس فاتجه إلى الزهرة ورأى أن لها وجوها مثل القمر تماما وأحيانا ترى هلالا وأحيانا أخرى نصف بدر وهكذا وأحيانا تمر بيننا وبين الشمس وتبدو قرصا صغيرا أسود أمام قرص الشمس المضيء كما عرف أن الكواكب الأخرى مثل المريخ والمشتري ورحل تدور في مدارات خارج مدار الأرض كما أن بطء حركتها حول الشمس بالنسبة لسرعة الأرض يفسر تماما ما تنديه هذه الكواكب من تراحم في مداراتها أحيانا وكان أمامه البرهان العملي على أن كل كلام كوبرنيكوس صحيح كما أن اختلاف الليل والنهار ينتج من دوران الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة فهل هناك كوكب آخر يمكن رؤية دورانه؟ بمظهره الصغير لم يكن أمامه إلا الشمس والمشتري وراقب الشمس أو البقع السوداء على سطح الشمس وعرف أن الشمس أيضا تدور حول نفسها كذلك أثبت أن المشتري يدور حول نفسه ومن حسن حظه أنه يدور حول نفسه بسرعة تسمح بمراقبته ومن حظاء أيضا أن على سطحه بقعة كبيرة حمراء يظن أنها من الهيدروجين "سائل أو المتجمد" ورأى أن هذه البقعة تدور وتختفي وتعود لظهور مرة أخرى من الجانب الآخر وفي الواقع تدور الأرض عند

خط الاستواء بسرعة تجاوز ألف ميل في الساعة وذلك مصداق للأية الكريمة « وترى الجبال تحسبها حاملة وهي تمرمر السحاب » . (صديق الله العظيم) كذلك عرف جاليليو أن لكل كوكب مدارا محددًا في حاله الممر فمداره حول الأرض أما باقي الكواكب السيارة فمدارها حول الشمس وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . (صديق الله العظيم) وقد فكّر جاليليو هل هناك مشاهدة عملية لحرم سماوي يدور حول الآخر خلاف الزهرة والشمس فوجه منظاره نحو المشتري فرأى حوله أربعة أقمار وما رالت تعرف هذه الأقمار بالأقمار الجاليلية ونظر العظم كتلة المشتري (قدر الكرة الأرضية ما يقرب من خمسمائة مرة) واقرب هذه الأقمار من المشتري فانها تدور حوله بسرعة فيمكن متابعتها بسهولة وهي تمر أمامه ثم تختفي خامه لتظهر مرة أخرى من الجانب الآخر فكان هذا برهانا عمليا آخر لدوران جرم سماوي حول الآخر وبعد وقت أحدث تعاليم جاليليو تنتشر بين الناس فحاكمته الكنيسة وأحرقته على أن يكتب أن كل ما قال غير صحيح وأن الأرض مسطحة ولا تدور وخرج جاليليو منبوذا وتتم بصوت خافت « إنها تدور » ثم فقد بصره إذ أتلّف عينيه لكثرة نظره إلى الشمس من خلال منظاره دون استعمال عدسات واقية من الضوء والوهج وقد دفن هذا الرجل العظيم في فلورنسا بعد أن أسس علم الفلك الحديث وجدير بالذكر

أن الفاتيكان منذ بضعة سنوات فقط رد
لجاليليو اعتباره وذلك بعد وفاته بأكثر
من ثلاثة قرون .

والآن لمعد بسرعة واختصار إلى عالم الفلك
الحديث فالمجموعة الشمسية مركزها الشمس
والكواكب السيارة تدور حولها والشمس
كرة غازية متوهجة حجمها كبير جدا
إذ إنه قدر حجم الأرض مليون وربع مليون
مرة وبقدرة الله ظلت الشمس ترسل النور
والحرارة مدة خمسة آلاف مليون سنة وقد
حير ذلك العلماء ولكن عرف الآن أن الشمس
تتحول ما فيها من هيدروجين إلى هليوم أى أنها
تتحول الكتلة إلى طاقة لأن عملية تحويل
الهيدروجين إلى هليوم يحدث فيها فقدان
لجزء طفيف من الوزن وهذا يتحول إلى النور
والحرارة التي يعيش عليها العالم وتحفظ
الحياة وقد استطاع الإنسان أن يبني القسلة
الهيدروجينية التي تطلق طاقتها في نغمضة
عين ولكن الإنسان يعجز عجزا كاملا عن
إحداث تفاعل متواصل كما يحدث في
الشمس إن الحرارة اللازمة لبدء التفاعل
عالية جدا فمركز الشمس ثقيل وبالغ الحرارة
لشدة الضغط فتبلغ حرارته عدة ملايين
من الدرجات المئوية وهذا يبدأ التفاعل
ثم يستمر بسبب البرود الدائم للهيدروجين
أما في القنبلة الهيدروجينية فقد حمل الإنسان

فتيلها قنبلة ذرية لكي تعطى الحرارة اللازمة
وقد ظلت الشمس في هذا التوازن العجيب
ما يقرب من خمسة آلاف مليون سنة أما أقرب
السيارات إلى الشمس فهو عطارد وهو على بعد
ثلاث وحدات فلكية من الشمس تقريبا وهو
نجم ميت لا جو يحيط به ويدير دائما وجهها
واحدا نحو الشمس أى أن الشمس لا تشرق ولا
تغرب عاينه ووجهه الذي يواجه الشمس
باستمرار بالغ الحرارة أما وجهه الآخر
المظلم دائما فهو بالغ البرودة ثم يلي عطارد
كوكب الزهرة وهي تكاد تماثل الأرض
في الحجم وتدور على بعد ثلثي وحدة فلكية
من الشمس تقريبا تدور حول نفسها ببطء
شديد (أربع مرات في السنة) ويغلفها
جو كثيف من ثاني أكسيد الكربون وحمض
الكبريتيك ويزيد الضغط الجوى عليها
عشرات المرات مما هو على سطح الأرض
وتبلغ الحرارة على سطحها حدا لا يسمح
بأى نوع من الحياة ولم تستطع مركبات
النسباء تصوير سطحها لكثافة جوها واما عدا
سفينته روسينه هبطت إلى سطحها ولم تنجح
إلا في إرسال صورة واحدة ثم تحطمت
نتيجة الضغط الجوى الشديد وظهر أن
سطحها صحري فاحل ثم تأتى بعد ذلك الأرض
التي نعيش عليها وهي على بعد وحدة فلكية
واحدا عن الشمس تدور حول نفسها كل
٢٤ ساعة مع اختلاف بسيط بين يوم وآخر
لا يريء عن جرد من الثانية وذلك لسبب
غير معروف بالضغط كما تدور حول

الشمس مرة كل سنة ولو أن السنة تطول كل عام بما يقرب من التايبه الواحدة ، وذلك عالما نأتى من نقص كتلة الشمس لأن الشمس تمقد بعض كتاتها فى عملية الإشتعاع كما أسلفت

تم يأتى كوكب المريخ وهو كوكب كان يأمل الإنسان أن يجد حياة فيه خاصة بعد أن وصف سكيا بارز و حود قوات عليه تم جاء بعد ذلك برسيمال لويل فقال إن هذه القنويات تمثل نظاما متقدما جدا لارى يستغل دوران تايح المطين تم طهر أن ما يبدو كغطاء تايح على قطب المريخ الجوى عبارة عن ثاى أكسيد كربون متجمد وأن ثايح الماء لا يوجد إلا على القطب الشمالى وذلك لسد غير معروف كان يأمل الإنسان أن يجد حياة على المريخ من نوع ما وذلك لوجود جو حوله والاعمال السى لحرارته خاصة فى مساطقه الاستوائية ولـكن مركبة الفضاء الأمريكية التى نزلت عليه خيبت الآمال إذ ظهر أنه كوكب قاحل وما فيه من ماء إما أن يوجد على شكل تلح على القطب الشمالى وبحار الماء فقط فى الجو . . ثم يأتى بعد المريخ حزام الكويكبات وهو يتكون من عدد لا يحصى من الصخور بعضها حجمه مئات الأميال وبعضها لا يريد على قدم أو قدمين وغالباً ماتح هذا الحزام من نعت كوكب كان يدور بين المريخ والمشتري ثم يأتى بعد ذلك المشتري وهو كوكب فى المجموعة الشمسية وحجمه قدر حجم الأرض

ألف مرة ويدور حول المشتري كما نعرف الآن اتنا عشر قمر لم يستطع جاليليو بمطاره إلا أن يرى أربعة منها وهو على بعد يقرب من خمس وحدات فلكية من الشمس وهو غير صالح للحياة فحوله مكون من الهيدروجين وغاز الميثان بكميات كبيرة ثم يأتى بعده رحل المعروف بالمطاق المثير الذى يدور حوله تم بيتون فأورابوس فساتو وكالها غير صالحة للحياة وبلوتو أبعد كوكب عن الشمس فى المجموعة الشمسية وهو يدور حولها على بعد يريد قليلا عن أربعين وحدة فلكية ولم أذكر القمر كوكب لأنه تابع يدور حول الأرض وهو قريب جداً منا بالنسبة للمقاييس الفلكية فالمسافة بيننا وبينه ٢٤٠.٠٠٠ ميل إن الشمس والكواكب التى ذكرتها مع أقمارها مع سمح العار والمذنبات والشهب واليازك تكون ما يعرف بالمجموعة الشمسية .

كم عدد الكواكب ، عددها الذى ذكرت تسعة وقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم « إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » وكتاب الله لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى نلاحظه أولاً أن الآية لم تصع الشمس والقمر مع الكواكب وهذا صحيح مائة فى المائة وقد نزلت هذه الآية عندما كان الناس لا يعرفون إلا خمسة كواكب سياره فقط فأين إذن الأحد عشر

كوكبا ؟ أين الكوكبان الباقيان ليكتمل العدد لقد ظهر خلال السنتين الأخيرتين مناظير خاصة ضخمة وباتطور الدقيق أن بلوتو وهو أبعد كوكب في المجموعة الشمسية ظهر أنه ليس كوكباً واحداً بل كوكبين يدور أحدهما حول الآخر فيصبح عدد الكواكب بذلك عشرة كما أن الفلكيين مشغولون الآن بتحديد موقع كوكب بعيد جداً وتشير حساباتهم إلى أنه على بعد ٧٧ وحدة فلكية عن الشمس فيكون هذا هو الكوكب الحادى عشر وحتى إذا أخفق هذا البحث فإن خزام الكويكبات الذى سبق أن أشرت إليه نتج من تفتت كوكب كبير ويمكن اعتباره كوكباً بالرجوع إلى أصله وهكذا يكتمل العدد الذى أشار إليه القرآن

وإذا خرجنا من المجموعة الشمسية لنستكشف ما وراءها فإن الوحدة الفلكية وهى بعد الأرض عن الشمس لا تصاح للقياس ويجب أن نستعمل سرعة الضوء فى مقاييسنا فالضوء يسير بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية ويصلنا من الشمس فى حوالى ثمانى دقائق ولو قدر لشعاع الضوء أن يدور حول الكرة الأرضية فإنه يدور حولها سبع مرات ونصف مرة فى الثانية الواحدة فإذا خرجنا من المجموعة الشمسية فإن أقرب جارين لنا هما الأقرب المظورى وألفا قنطورى وهما على بعد أربع سواب ضوئية وتنتظم شمسينا مع النجوم التى سراها والتي لا نراها مجموعة ضخمة تسمى الحجرة وهى مستديرة

مسطحة مثل رغيف الخبز وتحتوى مائة ألف مايون شمس ويقطع الضوء الحجرة من حافتها إلى الحافة المقابلة فى مائة ألف سنة ومن العبت وصع أرقام لمعبر عن هذه المسافات لأنها لن تعنى شيئاً للعقل البشرى ولكن لمعبر عنها بشكل آخر أقرب إلى الفهم وهو أنه إذا صغرنا مدار الأرض حول الشمس ليصبح دائرة فى حجم رأس الدبوس وفى هذه الحالة لا ترى الكرة الأرضية حتى تحت المجهر فإن الحجرة على نفس المقياس يكون سطحها قدر سطح قاره آسيا ولكن هل توجد مجرات أخرى مثلاً ؟ نعم هناك ألف مليون مجرة أخرى فى كل منها مائة ألف مليون شمس وبالحساب البسيط نجد أن عدد الشموس فى الكون الذى نعرفه يزيد على عدد حبات الرمل على جميع شواطئ العالم الذى نعيش فيه والله أعلم بما يدور حول كل شمس من هذه الشموس من كواكب مثل كوكسا وهذه المجرات البعيدة لا يمكن أن ترى بالعين حتى من خلال المناظير الفلكية الحديثة العملاقة التى يبلغ قطر عدستها خمسة أو سبعة أمتار ولكن لابد من أن نأجأ إلى التصوير فيمتح المظار على مكان الحجرة ويبدأ التصوير الفوتوغرافى لعدة ساعات وربما لليال متتاليه وهناك آلات دقيقة تدبر المنظار دائماً نحو نقطة واحدة فى السماء بهذا وباستعمال المنظار اللاسلكى استطعنا أن نرى المجرات والأحسام التى تسمى بالكوازار على بعد مائيه ألف مايون سنة ضوئية لما ظهر بمراقبة خطوط

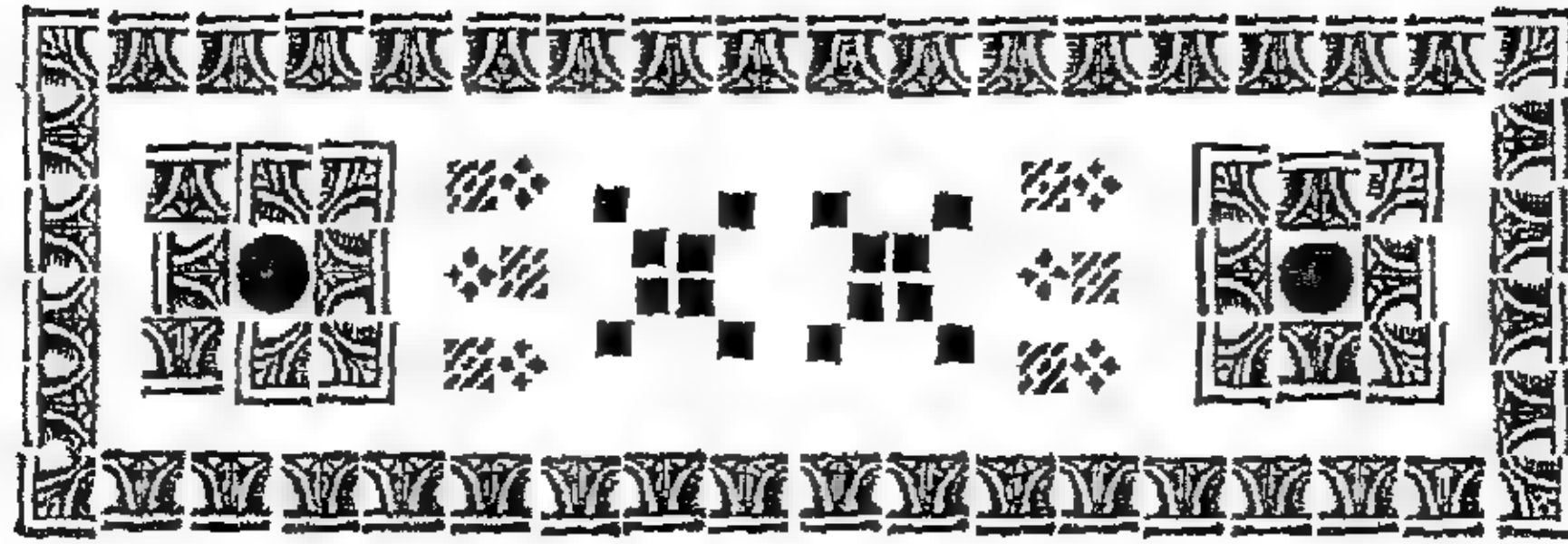
طيفت هذه الحجرات أنها تتناعد عنا باستمرار
 بسرعة رهينة تزداد طرديا مع بعدها عنا
 وتبلغ سرعة تراجع الحجرات المائبة إلى ستين
 ألف ميل في الثانية الواحدة ولكم أن تحسبوا كم
 اتسع الكون منذ بدأت حديتي هذا فالكون
 إذن يتسع بسرعة رهيبه وقال تعالى في كتابه
 الكريم « والسماء بديهاها بأيدي وإنا لموسعون »
 وإن أحوض الآن في أسباب هذا التمدد وهذا
 حديث يطول شرحه وقد احتضرت كثيراً
 في كلامي فكل مد فيها من الشمس إلى الأرض
 إلى الأقمار إلى كل كوكب إلى النيازك
 والشمس والمذبات والسدم وحب الأيدروحين
 والحجرات الخ يحتاج كل مد فيها إلى جلسة
 خاصة طويلة وكنت أريد أن أشرح كيف

توصل الإنسان إلى كل هذا وكيفت هيا الله
 سبحانه وتعالى السبل ليعرف كل هذا
 ويتعجب ويسبح لله ويدرك عظمه الخالق
 كما كنت أريد الكلام عن منشأ الكون
 وهمايته ولكن لا يوجد وقت لكل هذا وإلى
 جلسات قادمة إن شاء الله وسيكون كلامي
 كله مستنداً إلى ما جاء في كتاب الله .

والآن أنت تعلم أنك إذا نظرت إلى
 السماء في ليلة صافية وطلعت أنك ترى شيئاً
 في الواقع أنت لا ترى شيئاً بالمرء من هذا
 الكون العظيم .

أشكركم أيها السادة والسلام عايكم
 ورحمه الله وبركاته .

حسن ابراهيم
 عضو المجمع



حاشية على كلمة "حورية"

للكاتب الأسمى موسى الحسيني

وهذه هي البيانات :

- ١- إن لفظة (حورية) يونانية قديمة وردت في الأدب اليوناني القديم وورد في الملاحم اليونانية اسم أوريا هيلينا الطروادية .
- ٢- إن اللفظة ليست دخيلة في اليونانية إذ ورد منها اسم وفعل .

- ٣- إن اللفظة لم ترد في العربية إلا في العصور المتأخرة . ولم ترد في المعجم التاريخي concordance ولا في المعاجم العربية القديمة .
- ٤- وردت لفظة «حوارية» من مادة حور جمعها : حواريات جاء في أساس البلاغة : قال الأنطلي : حوارية لا يدخل الدم بيتها : مطهرة يأوى إليها مطهر .

- ٥- ووردت لفظة حوراء مؤنث أحور .
- ٦- وردت لفظة «الحواري» في القرآن الكريم غير مرة ، جاء في سورة آل عمران : « فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله واشهد

رَاقَا

الله في أثينا حفيذة حوراء ، لكأنها من

حور العين ، سماها والداها «زيه» وسمع البحيران اليونانيون الاسم فاستمادوه وسألوا عن معناه فشرح لهم فقالوا : إذن هي «أوريا» huria

واسترعى انتباهي اللفظ «أوريا» أهو حورية الاسم الشائع في مصر وكثير من البلدان العربية ؟ وقصيت أياما طوالا أنقب في المعاجم العربية والغربية والتركية والفارسية ، وانتهى بي المطاف إلى أن اللفظة يونانية دخلت العربية ، ولا علاقة لها بمادة (حور) العربية ولا بلفظة (حور) التي وردت في الآية الكريمة «كذلك وزوجناهم بحورعين» (الدخان ٥٤) وتكررت في سورة الرحمن (آية ٧٢) وسورة الواقعة (آية ٢٢) والتفسير المتفق عليه أن معناها « نساء بيض واسعات الأعين حسانها » .

(*) ألقى البحث في الجلسة الثانية ٢٧ / ٢ / ١٩٨٥ م .

أنا مسلمون » (آية ٥١) وتكررت في المائدة (١١٥) والصف (١٤) وشرحها المفسرون بالخالص النقي من كل شيء، وشاع استعمالها في الخالصاء للأنبياء، وردت في الشعر القديم ويرى فنسك A.J. wensick في بحثه المنشور في دائرة المعارف الإسلامية، اعتماداً على رأى لنولدكة (Noldeke) في reitioe Z som spnoch wiroonchalt ان الحوارى مأخوذة من اللغة الحبشية، ويكرر القول أنها عربية بمعنى من يلبس البياض كما ذهب بعض المفسرين وهذه مسألة ثانوية في بحثنا .

٧ — أما لفظة (حور) الواردة في القرآن الكريم فقد دخلت اليونانية • اللاتينية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والفارسية والتركية وكتبت houris جمعها hours وفي معاجم جميع هذه اللغات شرحت اللفظة بالنساء الجميلات الوارد ذكرهن في القرآن الكريم (ومن الحديد بالذكر أن «أوريا» تبدأ بحرف W أو مي جاي حين تبدأ أوري O باو H في اليونانية وفي اللغات الأوربية الأخرى وهذا دليل إضافي على أن اللفظتين مختلفتان) وأود أن أصيف إلى ذلك أن معجمي الوسيط أثبت حورية وشرحها «بفتاة أسطورية تتراعى في البحار والأهوار والغابات وهذا الوصف يختلف عن وصف حور الواردة في القرآن الكريم، وأغلب الظن أن وصف حورية «أوريا» الواردة في الأساطير اليونانية .

ومن الصعب تحديد دخول (أوريا في اللغة العربية وكيف دخلت؟ أو ساطة التركية أم العربية ؟ وكذلك لا نستطيع تحديد دخول لفظة (حور) في اللغات الأوربية، ومن المرجح أنه حدث في كلتا الحالتين في عصور متأخرة، ومن الإنصاف أن أثبت هنا رأياً محالماً لرأى أطرحه على الرملاء للمناقشة ويذهب هيروفتس في كتابه (أبحاث قرآنية) المنشور، سنة ١٩٢٣ أن حور مفردتها بالفارسية (حورى) وهى الصورة الواردة في المعاجم الغربية والتركية، ويصيف أحد كبار علماء الاستشراق المعاصرين. الأستاذ قسطنطين J. M. kister. إن لفظة (حورى) انتقلت إلى العراق وهناك صيغ منها المؤنث، فقالوا (حورية) وحورية مستعملة في اللهجة العراقية، وبذلك تكون اللفظة عربية أصلاً وليست دخيلة من اليونانية .

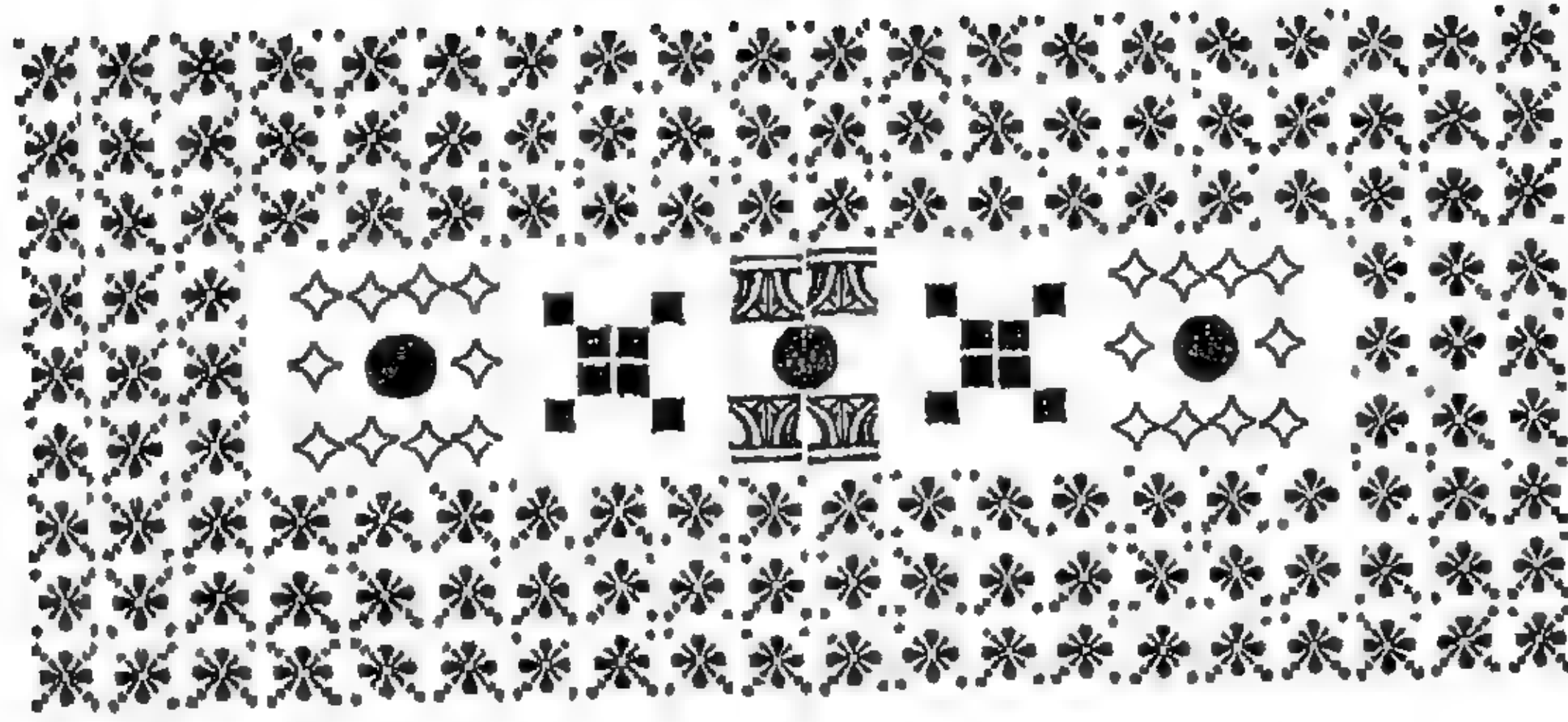
وقد التبس الأمر على أصحاب المعاجم الحديثة ودوزى في معجمه sup aux Dict Arabes يذكر أن لفظة «حورية» استعمالها العوام بدلاً من حوراية وذكر J B Havas في معجمه (الفوائد الدرية) في اللغتين العربية والإنجليزية أن (حورية) بمعنى حوراء، أى الفتاة الجميلة ذات العين السوداء، وجاء بعده معجم أكسفورد للإنجليزية والعربية، وأثبت (حورية) بمعنى حور وذكر صاحب المورد (مير يعاكى) أن (حورية) إحدى حور الحبس وجمع منهجه صاحب المهمل (سميل إدريس وجبور

يونانية دخلت العربية في عصر متأخر ، ولا علاقة لها (بحور العين) ، وأن لفظة (حورى) الواردة في اللغات الأوربية والفارسية والتركية عربية الأصل والله أعلم .

اسحاق موسى الحسيني
مضو المجمع من فلسطين

عيد النور) وذكر W. Redhouse sir James في معجمه: اللغة التركية والإنجليزية الصادر سنة ١٩٧٨ أن (حورية) اسم فرقة صوفية تعتقد بالعلاقة الحسية الغيبية بالخور .

ولم أتبع هذه المسألة لخروجها عن الموضوع والخلاصة أن لفظة (حورية) - كما أرى -



فى تعربى العلم

للكىورأحمءءالسارالمجوارى

شعاعاً من أن يعىن على الإبصار . وكذلك
ىمكن أن ىكون اللسان وكذلك ىحتمل أن تكون
اللغة من حىث القدرة على اصطناعها للتعلم .

ولكن اللسان العربى غنى بمزاىا اللسان
الصالح للعلم ، القادر على التعبير عن معانى
العلم والفن والحضارة .

لقد كان كذلك منذ عهد بعيد ، وهو
لا ىزال من أطوع الألسنة تعبيراً عن الفكر
والشاعر .

ولربما كان فى تجارب الأمم الأخرى
ما يؤيد هذه الحقائق وىشد من أزرها .

(١)

فلقد بدأت العناية باللغات القومية فى
أوروبا منذ نشأت فىها الدول على أساس
قومى ، وبعد أن توحدت الدوىلات والإمارات
فى دول قومية شعرت تلك الدول بالحاجة
إلى لتمكىن اللغة القومية لتكون وسىلة

قد ىبدو الكلام فى تعربى العلم أشبه
ما ىكون بتردد المسلمات ، وأخرى أن ىكون
قد ست فى أمره منذ زمان فهو ما عاد ذا
طبیعة مشككة ، ىشكو فىه التجمع العربى
من فقر فى العنصر البشرى اللازم له ، أو
ىحس حاجة فى تطوىع اللسان العربى وإعدادة
لىكون وسىلة صالحة للعلم والتدرىس ،
ولا كتساب المعارف والمهارات كما ىقول
أساتىذ التربىة .

ثم إن اللسان أو اللغة فى العلم جزء منه
مهم ، بل لعله أهم الأجزاء فى محىط
الإنسان المعلم المتعلم ، إنه كالهواء الذى تردد
فىه الأنفاس ، وكالنور الذى تنصر به الأبصار
وكالماء الذى ىقع غلة الصدىان . على أن
الهواء قد ىخلو قلىلاً أو كثرىاً مما لا بد منه
للتنفس ، والماء قد ىمر طعمه أو تشوبه شوائب
تجعلله غیر خلىق بما وجد من أحواء ،
والنور قد ىكون أضعف وأكسف

(*) ألقى البىث فى الجلسة الثالثة ٢٨ / ٢ / ١٩٨٥ م .

التعليم والثقيف ولسان الفكر والحصارة
والفنون التعبيرية التي أخذ الطابع القومى
يضىء عليها خصوصية ويميزها عما
حولها :

في الولايات المتحدة الأمريكية بدأت
الدعوة إلى توحيد لغة التعليم في منتصف
القرن الثامن عشر. ولما أخذت الدولة بنظام
التعليم الإلزامى في مفتتح القرن التاسع عشر شرعت
بمزيد من الحاجة إلى لغة واحدة تكون
الوسيلة لنشر التعليم وتعميمه وهي اللغة
الإنكليزية .

ثم أصبحت بعد أن انصبت إليها ولايات
جديدة في حاجة إلى ترسيخ الولاء للدولة
الجديدة فكانت اللغة الموحدة وهي الإنكليزية
أساسا من أسس الولاء .

والصين بملايينها الألف ورقعتها الوسيعة
وعاصرها المتعددة لا تستخدم في التعليم
إلا اللغة الصينية ، وهي معروفة بصعوبتها
وكثرة حروفها وتعقد المقاطع فيها وعسر
الكتابة بها .

واليابان لا تعلم أساسا إلا بلغتها القومية
وهي اليابانية ، في مراحل التعليم كلها
لا تقعد بها مشقة الدراسة بها على الدارس
والمدرس . إذ أن على التلميذ في المدرسة
الابتدائية أن يتقن ٨٨١ حرفا ، ثم يضاف
إلى هذا القدر ٤٠٠ حرف في المدرسة

المتوسطة حتى يستطيع أن يثقف ما يحتاج إليه
لمتابعة القراءة اليومية للحرائد وما يشبهها (١)
(٢)

وكثير من الأمم يحتاج إلى مجهود مص
ومشقة وعناء لتعلم لغته القومية وسيلة صالحة
للتعليم والتعبير عن الأفكار العلمية والثقافية
الرفيعة ، لأن كثيرا من تلك اللغات كان
يلا يريد على كونه لهجات محلية وأدوات
تخاطب قد تكون وافية بحاجات الناس
اليومية وشؤونهم العامة .

ومنهم ما ران عليه صدام السنين وغشاها الإهمال
والهجران فانقطع ما بيده وبين الحياة العامة ،
ولم يعد يسرى فيه دم الحياة ، فأخذ
أصحابها يزيحون عنها ذلك الرين ويجهدون
في إعادة الحياة إليها لتصير لغة علم وفكر
وتعليم كالذى يصنعه الغزاة المحتلون في
فلسطين باللغة العبرية .

أما لسانا العربى فهو خلق بأن يتبوأ
مكانته في حياتنا الفكرية والعلمية والتعليمية
بلا مشقة ولا تكليف، ولكن بإيمان وثقة
وقدرة على إدراك مزاياه والعناية بكوزه
ورخائره وهي منا على طرف الثمام، إذ أن
قدرة الله وعمايته قد آثرت هذا اللسان العربى
بالحفظ والرعاية وتجدد الحياة به بما شرفته بالكتاب
الكريم (قرآنا عربيا غير دى عوج) (بلسان
عربى مبين) .

(١) استمدت في استخلاص هذه الحقائق من بحث الأستاذ الدكتور عبد العزيز السام دعوان « العربية المصيحة
لغة التعليم » في ندوة اللغة العربية والوصى القومى

ثم كان لهذا اللسان أن أصبح لسان العلم
والفلسفة والحضارة قرونا من الزمان وأهله
اليوم يفهمون ويتذوقون ويسمعون بآثاره
ونفائسه وزخائره مثلما كان أسلافهم يصنعون .

(٣)

إذن فالتعليم بالعربية ضرورة من ضرورات
الحياة للعرب ، لأن العربية هي جوهر تكوين
الأمة ، وتداولها في التعليم والتعبير عن الأفكار
والمشاعر سبيلهم إلى تقوية الوحدة بين
أجزاء الأمة وأقطارها وقناة التفاهم والتعاون وإقامة
العلائق الأخوية بشعوب الأمة الإسلامية ومن
يجاورهم ممن تربطه بهم صلات الود
الإنساني ورغبات التعاطف والتنسيق بين الأفكار
والمصالح . ومن الأمور المعروفة بالضرورة
أن اللغة هي وسيلة التفكير وهي وعاء
وعدد الأفكار والمشاعر وهي وسيلة التعبير
وذلك أن المرء إذا أحس بالحاجة إلى التعبير عما
يشعر به ، وإذا فكر وجد في نفسه الحاجة
إلى إيصال أفكاره إلى غيره وكل ذلك
لا بد فيه من أداة التفاهم والتواصل بين أفراد
البشر وهي اللغة .

ومن أهم تلك الأمور البدئية وأولها
بالذكر أن الفرد من نبي الإنسان يفكر بلغته الأم
التي يكتسبها ممن يحنو عليه من مبدأ تناسله
ريح الحياة ، ويتقن عنه مفرداتها وتراكيبها
وجرس ألفاظها ، ودلالات تلك الألفاظ
والتراكيب

ويدأ ذلك تقليداً ومحاكاة وتريداً ،
حتى إذا بلغ أشده صار قادراً على استخدام تلك
التراكيب والألفاظ استخداماً مستقلاً ، يكتسب
به المعرفة وينمى به عن غيره ، ويقل به

ما يعرف إلى الآخرين ويعبر به عن مشاعره
أحاسيسه ويتلقى به ما يأتي إليه غيره من
كوار ومشاعر .

ويظل ذلك يجري في عروقه يجري الدم
ويخالط جسمه ونفسه وفكره فيكون الجزء
الأهم من كيانه العقلي ، حتى إنه ليأبى الدخيل ويرفضه
بل إنه قد يقباه حين يقباه ويستقبله استقبال
الضيف لا يقيم ولا ينفذ في الصميم وإنما
يظل غير قادر على الامتزاج والمخالطة ولكن
يؤخذ منه بمقدار لأن فيه غربة الجرس
وغربة التأليف والتركيب وليس فيه
إلا ألفة المصدر الإنساني المشترك .

إن التعاليم لغة الأم إذن هو الوسيلة المثلى
لاكتساب المعرفة ، لأنه يقيم بناءه على أساس
صحيح من التربية الأولى في كنف الأسرة
وفي حضن الأم في مراحل التربية المبكرة .
وإن ذلك ليبدو واضحاً أشد الوضوح إذا كانت
لغة الأم وافية بحاجات التعليم ، حفية بالفكر ،
قادره على التعبير عن المشاعر والأفكار .

وفوق كل ذلك فإن التعليم باللغة الأم يظل
يصل الفرد بمجتمعه سواء في ذلك مجتمع
الأسرة والباد والوطن ، أم مجتمع الشعب والأمة
في قديمه وفي جديده ومستحدثه .

أما تغريب التعليم أو تعليم التغريب ، فهو
مجلبة للغربة النفسية والفكرية ومسح للشخصية ،
لا يصل الأفراد بالمجتمعات الغربية ولا يبقى
لهم على الصلة الوثيقة بالمجتمع الذي هم منه
وهو منهم ، وإنما يحياهم التغريب إلى صورة
شبيهة بصورة ذاك الذي فارق أصله ولم
يلحق بمن قاده وحاكاه .

(٤)

إن هذه المشكلة من مشاكل حياتنا الفكرية تحتاج إلى مواجهتها في صدق وصراحة ، وأن لا يتستر على المواقف الحقيقية بها .

لأن التهاون في علاجها يتجاوز حدود التعليم المنهجي المعروف ، فيكون زمانة فكرية شعورية حصارية ثقافية ، تقوم فيها الحواجز بين أولى العلم والمعرفة الذين أخذوا من ذلك بنصيب ، وبين المجتمع الذي يعيشون فيه حياة عقلية سطحية لا يتأثرون بها إلا بقدر الحاجة اليومية ، ولا يؤثر فيها إلا مقدار ما يؤثر فيها الأفراد العرباء .

إن لنا أن نتساءل : لماذا يؤثر فريق ما أن يعلم بلغة أجنبية ؟ الشعور بقصور العربية عن الوفاء بالحاجة الفكرية في التعبير عن الأفكار واستيعاب حقائق العلم ونظرياته ؟ أم لشعوره هو بعجزه عن التعبير بها والهيمنة على أدواتها ، والقدرة على فهم جوهرها وأسسها وقواعدها ؟ أم للتستر على كثير من العيوب والمآخذ الفكرية والعلمية التي لا يكشف عنها التعبير باللغة الأجنبية .

ولو أننا استنطقنا أمثل هؤلاء طريقة وأدناهم إلى الصديق محجة ، لما زاد على أن يقول إنه يريد التعبير بلغة عالمية مرنت على البحث العلمي وطوعت له واستوعبت حقائقه ، وهي ما تزال ماضية في هذه المضامير لا يقعد بها عجز ولا عسر

ولا تعقيد : ولو أنه ركن إلى اللغة القومية لاحتاج إلى جهد في تدليل قواعدها وتطويعها للتعبير عن حقائق العلم ونظرياته ومصطلحاته .

كأن العربية لم تكن لغة العلم والحضارة قره نا عديدة ، نقلت عنها جملة العلوم إلى اللاتينية في أوروبا من قل أن تتخذ تلك اللهجات المحاية في أوروبا لغات معتمدة كالفرنسية والإسبانية والإنكليزية والألمانية

وكان التعليم والبحث والثقافة مواطن مقفلة معلقة مثل مواطن البحث في النواة وفي صنع القنابل النووية أما المجتمع العريض وجمهوره فلا شأن له بتلك المواطن والمواضع إلا بقدر ما يتلقى من نتائج أبحاثها ودراساتها من وراء الجدر الصم السماك .

(٥)

إن الثقافة اليوم غداء للناس كافة ، وهي لم تعد وقفاً على المتخصصين أو على الذين يأخذون بأطراف من العلوم والمعارف والفنون بل إنها أصبحت تسعى إليهم صحيحة أو غير صحيحة ، نافعة أو غير نافعة ، بوسائل النشر ووسائطه المختلفة المسموع منها والمرئي والمقروء وهذا مما راد في حاجة الجمهور إلى ما ييسر له التمييز بين الصحيح والسقيم والمفيد وغير المفيد ، القيم وما لا قيمة له وإلى أن يتحروا مواطن الانتفاع ، ويرصدوا مزالق الزلل في ما تقدم إليهم وسائل النشر ، سواء في

ذلك ألوان المعرفة، مما يتصل بالحياة الفكرية كالعلوم الحديثة وما يطبق منها في حياة الناس بوجه عام

(٦)

ولا ريب أن اصطناع اللغة القومية في أمور الفكر: التعليم أو البحث العلمي، يكون أكثر اقتصاداً في الجهد، وأدعى إلى اختصار الزمن، لأن الإنسان إنما يفكر باللغة الأم ويركن إليها حتى في ترجمة ما يتلقى من صنوف المعرفة باللغة الأجنبية، فيكون الجهد الذي يقتضيه العمل الفكري حينئذ مضاعفاً، إن كان يتخذ مساراً صحيحاً، ويقوم على أساس مكين من المعرفة باللغة الغربية وهذا الأمر، أي التمكن من اللغة الغربية قريب غير محقق ولا متحقق، وأسباب ذلك معروفة وصوره واضحة في المجتمعات التي استبدلت بلغاتها القومية لغات أخرى ورضت عليها

وإن مما يتندرع به القائلون بصعوبة التعاليم بالعربية أمرين مهمين: الأول عسر قواعدهما ووعورة أساليب تدريسيهما، والثاني شدة حاجتها إلى المصطلح العلمي في صنوف العلم ومروع المعرفة، وكلا الأمرين حقيقة لا مرأى فيها.

فإن قواعد اللغة العربية وأساليب تدريسيها في حاجة إلى التيسير وتمهيد السبيل حتى يتسنى ضبطها والتمكن منها، وحتى لا يضيق الدارسون بها ذرعاً:

والمصطلح العلمي ليس بالأمر المشكل، فليفظوه كما هو في اللغة الأجنبية إن استعصى عليهم أن يجدوا له ما يقابله باللغة العربية ولكن الأمر الأهم أن تكون العبارة ويكون التركيب الذي يفصحون به عن بالعربية لتتضح الأفكار وتستقيم المفاهيم.

وإن ما يقوم به مجمع اللغة العربية والجامع العربية في بغداد ودمشق وعمان والرباط من عمل في إخراج المصطلح العلمي ليكاد يسد تلك الذريعة ويسقط تلك الحجة وهذه المجمع واتحادها لا تكفي بالجهود المستقلة وانما تعاود، في اتحاد المجمع البحث في تيسير قواعد اللغة وتسهيل إملأها ابتغاء التيسير على الدارسين والباحثين، بل على الجمهور بعامه.

* * *

أما العناية باللغة الأجنبية بهذا الاعتبار فأمر مطلوب مرغوب لأنه يصل أولى العلم من أساتذة وطلبة وباحثين بالوسط العلمي في البلاد الأخرى حيث يزدهر البحث العلمي وتقوم سوقه ويكثر نتاجه. ذلك باب لا بد أن يشرع ليكون مصدر اقتباس وانتفاع ولكن في وعي وإدراك بأن لغتنا العربية هي وعاء الفكر ووسيلة التفكير والتعبير، لا يستبدل بها لسان آخر مهما كانت الدوافع.

وليس اعتزاز أمم أخرى بألسنتها ولغاتها بخاف على ذي بصيرة. على أن هذه الأمم وألسنتها لا تبلغ العربية في قدرتها على التعبير عن قضايا العلم والمعرفة وأساليب الأدب

والفن والحضارة وهي بعد أقل عدداً وأيسر شأناً من هذه الأمة العربية التي أكرمها الله بالدين والإسلام وشرف بكتابه العزيز لسانها العربي المبين ، وجعل من الشعوب المسلمة إخوة لها تستظل وإياها بظل الكتاب الحكيم وتتلهف لمعرفته وتسعد بتلاوته وتعتز بلسانه العربي المبين .

أولا يجدر بهذه الأمة وهي بهذه المثابة أن تقل على لسانها وتتجه إليه في التعليم واكتساب المعرفة ، بل تيسر تعلمه وإتقانه على أبنائها وأبناء إخوانها في الدين والحضارة ، ممن لو أعينوا على اكتسابه لأثروه ولما عدلوا عنه إلى السنة لا تصلهم بها غير صلة الماضي البغيض ، ماضي الاستعباد والاستغلال

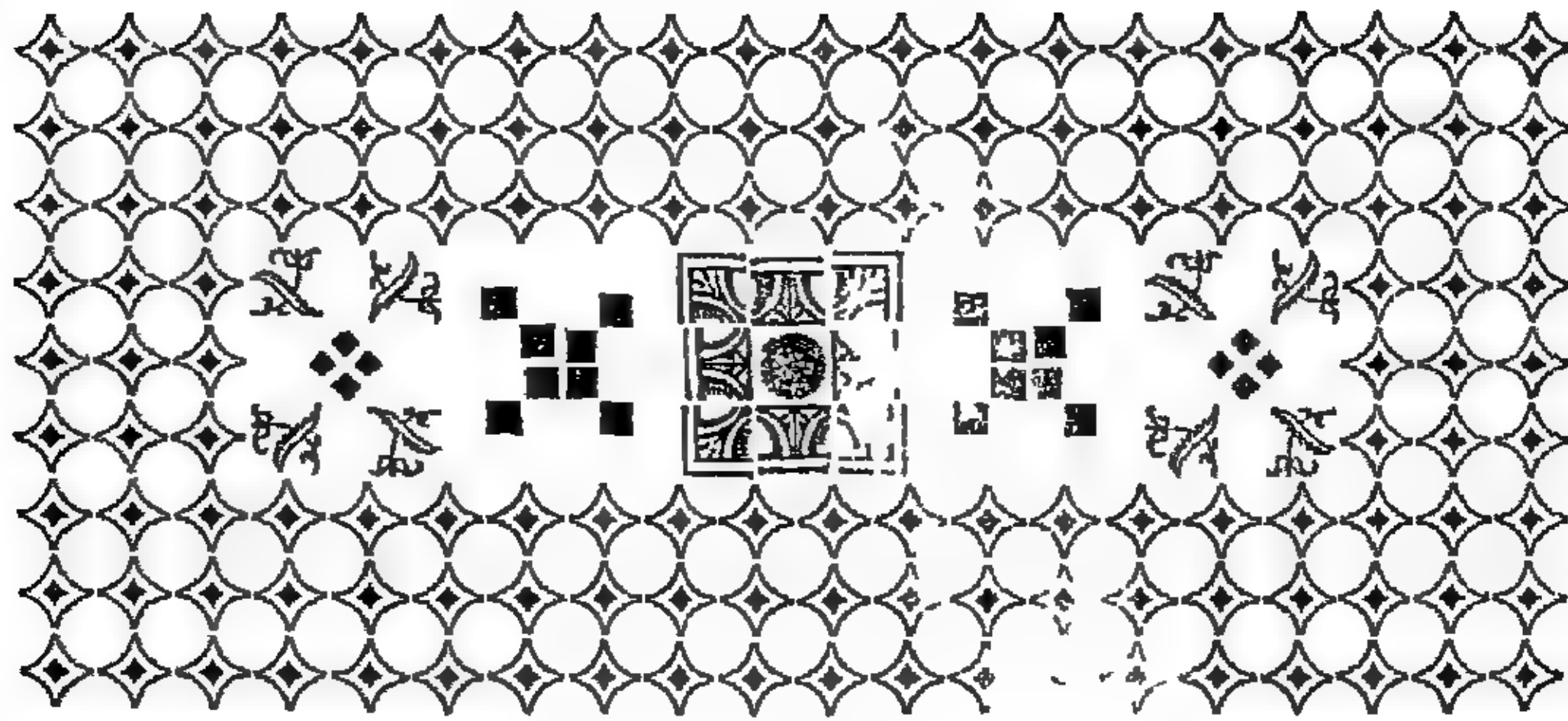
أولا يجب على أولى الأمر أن يستجيروا لداعي العلم والإخلاص في خدمته وبشره

بين أساء الأمة ويعيبوا على وصع الأمر في نصابه ويقرروا قطع دابر السلبلة والتردد في معاهد التعليم ومؤسساته بين الامة الأم وهي العربية ، وبين اللغات الأخرى الدخيلة ؟

ولعل في ما ينهض به نحمنا هذا - مجمع اللغة العربية - من عمل متواصل وجهد متصل في وضع مصطلحات العلوم الحديثة وفي التذكير بواجب الحفاظ على لغتنا العربية وهي جوهر وحدتنا - نحن العرب - لعل في ذلك ما ينهض العزائم ويشجذ الهمم لتحقيق هذا المطلب الحيوي وإنجاز هذه المهمة الجلية .

والله يوئد بنصره من يشاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

احمد عبد الستار الجوارى
عصو المجمع المراسل من العراق



شعر الملحون في الأدب المغربي

ولما قال يسمى بهذا الاسم

للأستاذ محمد الفاسي

الملحون

هو الشعر باللغة العامية ،

وقد برز المغاربة ،

وأبدعوا قصائد رائعة في كل فنون الشعر :

وأول ما يتبادر للذهن أنه شعر بلغة لا إعراب فيها ، فكأنه كلام فيه لحن . وهذا الاشتقاق باطل من وجوه ، لأننا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون ، وإنما باللهجات العامية ، ولم يرد هذا التعبير عند أحد من الكتاب القدماء ، لا بالشرق ولا بالمغرب . ولا يعقل أن يسمّى أحد شعره بكلمة تنم عن الجهل .

والذي أراه أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى أن الأصل في هذا

الشعر الملحون أن يُنظم ليُتغنى به قبل كل شيء . ونجد ما يؤيد هذا النظر في قول ابن خلدون في المقدمة في الفصل الخمسين « في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد » بعد أن تكلم على الشعر باللغة العامية فقال :

« وربما يلحنون فيه ألحانا بسيطة لا على الصنعة الموسيقية ^(١) » . ومعنى هذا أنهم لا يدخلون أشعارهم في موازين الموسيقى المعروفة ، من بسيط وبطائيحي ونحوهما ، وإنما يجعلون لها ألحانا خاصة . وقد وقفت أخيراً على نص لأحد العلماء الإيرانيين من أهل القرن الثاني عشر الهجري يقول فيه عن

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة ٢٨ / ٢ / ١٩٨٥ م .
(١) ص 582

الرباعي في الأدب الفارسي . « إن
الرباعي الذي يغنى به الملحن يسمى
ترانه بالفارسية »^(١) .

ومن أسماء هذا الشعر عندهم « الموهوب »
وهذه العبارة تدل دلالة واضحة على
أهم يعتسرون الشعر كهنة من الله ،
وليس هو مجرد نظم وإنما هو إلهاء
وإلهام ، وكأنه يجري على لسان الشاعر
عفواً ، لذلك يسموه أيضاً « السحبة » ،
ويميزون بين الأشياح الذين يقولون
الشعر والذين يحفظونه ويغنونه بقولهم
« شيخ الشجبة » للشاعر و « شيخ
القريحة » للمغنى .

ويطلقون عليه كذلك لفظة « الكلام »
كأن الشعر هو الكلام الحقيقي الذي
يستحق أن يحمل هذا الاسم ، وعيره
كأنه لغو ، وكل هذه العبارات تدل
على تقدير الشعب لهذا الشعر ونظرة
إليه بعين الإكبار والإجلال

وفي الحقيقة ، دراستنا للملحن
من بين الإنتاجات الأدبية الشعبية ،
فيه تحوُّز ، إذ أخصَّ مميزات الأدب

الشعبي أنه لا يُعرف قائله ، وهذا هو
الشأن في الحكايات وفي الأمثال وفي
العروبيات التي تغنيها النساء ، وفي
نحو هذه الأنواع الأدبية الشعبية حقاً ،
أما الملحن فلا يربطه بالناحية الشعبية إلا
كوّن قائله في الغالب من عامة الشعب ،
وليسوا كذلك في الغالب من المثقفين ،
بل كانوا أميّس ، وأما من حيث
اللغة العامية ، فإنها ليست لغة طبقة شعبية
منحطة ، بل هي لغة أرقى من اللغة
التي يتكلم بها حتى المتعلمون ، لأن
شعراء الملحن يدخلون في كلامهم كثيراً
من الكلمات الفصيحة بعد إحرائها
على الأسلوب العامي ، ثم إن من بين
شعراء الملحن من لو تُرجم إنتاجهم
لغة حية لعدّوا من أكابر شعراء الدنيا ،
فيطبق عليهم من هذه الناحية قول
ابن خلدون في المقدمة في الفصل المشار
إليه آنفاً :

« اعلم أن الشعر لا يختص باللسان
العربي فقط ، بل هو موجود في كل
لغة سواء كانت عربية أو عجمية . »

(١) دائرة المعارف الإسلامية بالفارسية تحت كلمة Rubai

إلى أن يقول . « ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان ، لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحركات والسواكن وتقابلها ، موجودة في طباع البشر ، فلم يُهَجَّر الشعرُ بفقدان لغة واحدة وهي لغة مُضَرّ . . فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سَلَفهم من مُضَرّ ،

فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراب . . . ويأتون منه بالمطوّلات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء .

لثم قال في تقدير هذا الشعر بعد أن ذكر أن الكثير من المتحليين للعلوم يستنكرون لهذه الفنون . « وهذا إما أتى من فقدان الملكة في لغتهم

فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه ودوقه ببلاغتها إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره . . . »⁽¹⁾

وهذه الملاحظة العميقة للفيلسوف

العظيم ابن خلدون ، مازلنا نشاهد آثارها إلى يومنا حيث إن الكثير لا يقدرون الشعر الملهون ، لا شيء إلا لعدم معرفتهم لطرقه وأساليبه ، بل للغته بمعنى أنهم لم تحصّل لهم الملكة التي يشير إليها ابن خلدون . وكل من حصلت له يتذوقه ويعجب به ويقبل عليه

هذا وإن نظم الشعر باللغة العربية العامية وُجد في كل عصر وكل قطر ، إلا أن أهل الأندلس والمغرب فاقوا غيرهم في هذه الناحية ، وذلك أنهم بعد أن اهتموا إلى التحرر من أوزان العروض القديمة الضيقة ، واخترعوا الموشح⁽²⁾ الذي له بحور خاصة ، أخذوا ينظمون بعد ذلك في أوزان تشبه الموشح ، ولكن بلغتهم العامية ، وهو ما يسمى بالزجل . وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً للكلام على هذه الأزجال عند أعراب المغرب وعند

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ط. بيروت 1961 ص 1124 - 1125 .

(2) انظر عروض الموشح في محلة « الثقافة المغربية » للمؤلف عدد ص .

أهل حواضر الأندلس والمغرب ، وأتى بأمثلة من ذلك يظهر منها أن شعر الأعراب ، وإن كان بلغة عامية ، فهو لا يزال قريبا من الأساليب العروضية الخليلية ، كالتزام قافية واحدة في القصيدة وشطرين في البيت . أما زَجَل الأمصار فابتعد شيئا ما عن هذه الأساليب . وذكر ابن خلدون كيف « استحدث أهل الأمصار بالمغرب قسما آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كاللوشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد »⁽¹⁾ .

وذكر أن أهل فاس أقبلوا على النظم على هذه الطريقة ، وكان له هنا عبارة يراها البعض كأنها تنقيص من أهل المغرب حيث قال : « وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم »⁽²⁾ . وليس معنى هذا أنهم لاعلاقة لهم بالإعراب ، وإنما مقصوده أن النظم في هذه الطريقة لاشأن فيه للإعراب ، وإلا فهو يعلم أن شيوخه الذين أخذ عنهم وهو شاب بتونس قبل قدومه على فاس ، هم

العلماء المعاربة الذين صحبوا السلطان أبا الحسن المرنى إلى تونس ، وهم الذين شوقوه إلى التوجه إلى فاس للأخذ عن علمائها . وهو يعلم أن شأن هؤلاء مع الأعراب شأن وأى شأن ، فلا ملامة عليه في تلك العبارة .

ثم ذكر أن هذا الشعر المستحدث باللغة الحضرية الفاسية (استفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصافا إلى المزدوج والكازي والملعبة والغزل)⁽³⁾ وقد أورد أمثلة منه لشعراء من أهل تارة ومن أهل زرهون . وقال بعد هذا : « وأما أهل تونس فاستحدثوا في الملعبة أيضا على لغتهم الحضرية إلا أن أكثره ردىء ولم يعلق بمحفوظي منه شيء لرداءته » .

موضوعات الملحون :

إن الموضوعات التي يطرقها أشباح الملحون يمكن أن نقول عنها من أول وهلة ، إن سائر النواحي التي نعتادها في الشعر العربي الفصيح نجد لها مقابلا في الملحون ، فقد نظموا في

(1) ابن خلدون ، المقدمة ص 1160 بيروت 1961 .

(2) ابن خلدون ، المقدمة ص 1162 بيروت 1961 .

(3) ابن خلدون ، المقدمة ص 1162 بيروت 1961 .

لتشعر الغنائى بسائر أنواعه من وصفه
 للطبيعة فى قصائد تسمى الربيعيات ،
 أو تحمل أسماء مختلفة كالعرضة ،
 وكالرياض ، وكالصَّبُوحى ، وكالدُّيُجُور ،
 أى الليل ، وكالفجر ، وكالذهبية أى
 غروب الشمس ، ونحو ذلك ، ونظموا
 فى وصف محالس الأنس والمرح مع
 التعرّض لذكر محاسن الفاتنات فى
 قصائد تحمل مثل هذه الأسماء : النزهة ،
 والزهو ، وشَعْمَانة ، والغزال ، والمزَيَّان ،
 وحمهور البنات ، والفصادة والحجّام .
 وتسمى بهذين الاسمين الأخيرين القصائد
 التى يكون موضوعها وصف الحفلات
 التى كانت تقام بمناسبة الفُصْد .

وكثير من قصائد هذا النوع التى
 موضوعها وصف الحمال تُعرف باسم
 من أسماء النساء ، كرينب أو فاطمة ،
 حتى إنك لا تكاد تجد اسم امرأة لا توجد
 قصيدة أو عدة قصائد منظومة فيه ،
 على أن عددا كبيرا من القصائد التى
 تعرف باسم امرأة هى من باب النوع
 العرامى الذى يعبر فيه الشاعر عن
 عواطف صادقة ، ولا يكون وصف الجمال

إلا عَرَضًا وليس هو المقصود بالذات .
 والقصائد الغرامية تحمل أسماء كثيرة ،
 مثل المحبوب ، والمعشوق ، والجار ،
 والمرسول ، والجافى ، والهاجر ،
 واللّيم ، والمرسم أى الحى أو المكان
 الذى يسكنه المحبوب ، والشمعة حيث
 يُشبه احتراقها وذوبانها وصفرتها بصفات
 العاشق الولهان الذى لا تنقطع دموعه ،
 ويحترق فؤاده وتذبل سجنته . وقد
 انفرد كثير من الشعراء بأسماء خاصة
 للقصائد التى عبروا فيها عن هيامهم
 بحبوبيتهم ، مما لا يمكن استيعابه .

ونظم شعراء الملحون الخمريات والقصائد
 فى ذلك ، تسمى الدَّالِيَّة ، والكَّاس ،
 والخمريّة ، والسَّاقى ، والسَّاحى ،
 والخمارة ، وقد برع فى هذا النوع
 الأدبى جل كبار الشعراء كالشيخ الجيلاى ،
 والسّى التهامى المدغرى ، وسيدى قُدُور
 العَلَمى ، والكندُوز ، والجاج إدريس
 الحنّش . ، وغيرهم . وأكثر الشعراء
 ينظمون فى هذا الموضوع لإظهار براعتهم
 حتى إننى أحصيت نحو الستين ساقيا
 لثلاثة وثلاثين من الشعراء .

أما الهجاء فقد برعوا فيه وتفوقوا .
ويسمونه «الشُّحْطُ» ، وهو «الدُّق»
عند أهل مراکش . وإذا كان شعر
المدح لم يحفظ لأن فائدته مقصورة
على المادح والمدوح ، فإن الهجاء لهم
به ولوع ، ويرون فيه الشعر الصادق ،
فإنه غالبا ما يصدر عن غضب وتأثر ،
وذلك أنه كثيرا ما تقوم نزاعات بين
أشياخ الملحون حول قضايا ترجع لفنهم
وتؤدي إلى مساجلات ومناقضات مما
يدهمهم إلى الهجاء . وقد حفظت قصائد
كثيرة ممتازة في هذا النوع الأدبي ،
وهي تحمل أسماء مختلفة ، منها «الدَّعِي» ،
أي الذي يدعى المعرفة والتفوق وهو
دون ذلك ، ومنها المظموس ، ومنها
ما يحمل اسم القافية كالضادية والواوية
مثلا . ومن أشهر القصائد الهجائية
«قصر العنان ، الشَّاوى» ، وقد ابتكر
العرابلي وبريسول في مساجلاتهما معاً
جديدة مقتبسة من الحروب البرية
والبحرية فسموا قصائدهم المهرار .
(المدفع الكبير) ، والقرصان ، أي
السفينة الحربية التي كان القراصنة
يغيرون بها على أعدائهم . وسمى العرابلي

إحدى قصائده بالغطاس قبل أن يُحترق
ويُعرف .
وقد باغ ولوعهم بالهجاء لدرجة أنه
لاتجد قصيدة إلا في ماقل ، باستثناء
كلام السّي التهامي المدغري وسيدى
قدور العلّمي ، لا يحتمها صاحبها بهجاء
: خصومه ولو بإشارة خفيفة ، فإذا
أطال فذلك ما يسمى «بالزُّرب» ،
ويعنون بذلك أنهم يحيطون إنتاجهم
بزرّب من الشوك فلا يستطيع أحد من
المعادين الجاحدين الاقتراب منه ولا خرق
ساحته ، ورغم كل هذا فإنهم لا يحبذون
الهجاء الشخصي ، أي الذي لا يكون
سببه خلافا فنيا أو مساجلة ، وإنما
مجرد هجو ناتج عن عداوة مثلا ، ومثل
هذه القصائد يطلقون عليها اسم «فصيحة»
وهي لا تُقبل ولا تُحفظ . ويعاملونها
معاملتهم لقصائد المدح ، ويرون أن
فائدتها شخصية ، ولا تعنى إلا القائل
ومن قيلت فيه .

وينظمون كذلك في الرثاء ويسمونه
«العزّا» ، أو «العزو» إلا أن القصائد
في هذا النوع بما أنه لا يغنى بها فإنها
تضيع ولا تحفظ ، وإنما نجد بعضها

في الكنائش القديمة مثل رثاء المنصور
السعدي لسيدى عبد العزيز المغراوي .

وزيادة على هذه الأنواع التي توجد
في الأدب العربي القصص ، فقد امتاز
شعراء الملحون بطرق مواضيع إما لا توجد
مطلقا في الشعر العربي القديم أو الانتاج
فيها كان ضئيلا وضعيفا .

من ذلك ، النوع المسرحي الذي
مع الأسف لم يلهموا إخراجه في شكل
تمثيلي حقيقي ، وإنما بقي في طوره الموسيقي
المحض ، وإن كنت أرى أنهم اقتبسوا
هذه المحاورات والمواقف المسرحية التي
نجدتها في القصائد التي نظمت في هذا
النوع من الألعاب التي كانت تجري بفاس
وبمراكش أيام عيد الأضحى ، وتسمى
الفراجة أو بالثيخ ، حيث تعرض روايات
هزلية يقوم بتمثيلها أشخاص معروفون
بإتقان أدوار خاصة .

وهذا النوع الأدبي يسمى عندهم ترجمة
والمواضيع التي يطرقونها متنوعة ، لكن
أكثرها هو ما يسمى « الحراز » ، حيث
يصورون شخصا يحب امرأة ويحاول

الاتصال بها ، فيأتي في صور مختلفة
ليحصل على ثقة بعلمها الذي يعنها ويحزها ،
لذلك يسمى الحراز ، فيصده ولا يترك
له مجالا حتى يوفق إلى المجيء في صورة
ينخدع فيها الحراز ، فيتوصل العاشق
إلى مرغوبه .

ومنه أيضا القصائد التي تسمى
« الضيف » وهي تصور محبوبا يأتي
عند محبه متشكرا في صورة من الصور ،
ويطالب منه « ضيف الله » ، وتقع
بينهما محاورات ثم ينكشف له أنه
حبيبه جاء عنده في غفلة من الرقباء .
ومنها القصائد المسماة « القاضي » ،
حيث يصور الشاعر أنه يحاكم محبوبه
عند القاضي ويقدم حجج محبته وغرامه
حتى يقضى له الحاكم بأنه محق في
دعواه .

وتارة يكون موضوع القصائد في
هذا النوع المسرحي مفاخرة ما بين أشخاص
كالعربية والمدينية ، أي البدوية والحضرية ،
أو كالأمة والحرّة ، أو كالعحوز والسنّة ،
وهكذا ، أو بين أشياء كأزهار ونحوها .
والقصائد في هذا المعنى تدعى « خصاما »

ومن المواضيع الطريفة في الملاحون الرحلات الخيالية ، وهم يصورون أنهم يوجهون طائرا ، إما لزيارة مكة والمدينة شوقا إلى تلك البقاع المقدسة ليصف المراحل التي يمر بها إلى أن يصل إلى الحجاز ، أو يوجهونه إلى الحبيب أو إلى الأصدقاء في بلد بعيد وفي كل هذه الأحوال توصف الطرق والمنارل التي يمر بها الطائر ، والقصائد المنظومة في هذا النوع تحمل عادة أسماء الورشان ، والحمام ، والمرحول ، والطلعة ونحوها

ومما يمتاز به الملاحون أيضا ، وهو شبيهة بالرحلة من جهة وصف البلاد أو أحياء مدينة من المدن ، مايتخيلونه من أن المحبوبة تركت عند حبيبها حاجة كحلي أو نحوه كتذكار ، ثم ضاعت له فأخذ يبحث عنها وتسمى عادة هذه القصائد باسم الشيء الضائع (كـالْخُلْخَالِ) ، « والدملح » أي السوار ، « والدواح » و « المقياس » ، وهو السوار كذلك ، « والسالف » ، ويعنون به ضفيرة من شعر المحبوبة .

ومن هذا النوع كذلك قصائد رمزية يشبهون فيها المحبوب الافر الهاجر بحيوان كان يألف المنزل ثم هرب وتلف ، فيقوم الشاعر بالبحث عنه كذلك . ومثل هذه القصائد تسمى « الطرشون » ، وهو الباز الصغير ، « والعزال » و « الطير » ونحو ذلك

ولشعراء الملاحون براعة في الشعر الفكاهي . والمواضيع التي يطرقونها في هذا هذا الباب كثيرة ومتسوعة . وتحمل القصائد الهزلية عادة مثل هذه الأسماء : « الزردة » و « الضمانة » و « الفار » و « الطحين » وغير ذلك .

ويختص الشعر الملاحون بنوع يسمى عندهم « الجفريات » ، وهو التسبؤ بالحوادث المستقبلية . والواقع أنهم يتحدثون هذا الأسلوب كمطية للنقد السياسي متحدين لهذه العاية إشارات ورموزا يدركها المعاصرون ويفهمون مغزاها . وأكبر من برز في هذا النوع : الفقيه العميري . وكان أيام المولى عبد الرحمن ، وله عدة قصائد جفرية منها اللامية (وكثير من قصائد هذا

النوع تحمل اسم القافية) . وقد ورد
في هذه اللامية هذا البيت :

داك الولد المهجول
أصله من أناضول
الفرخ يشبه أخواله

فلما ثار المولى عبد الحفيظ على أخيه
المولى عبد العزيز ، أخذ الناس يقولون
إن الفقيه العميرى عنى في هذا البيت
المولى عبد العزيز ، لأن أمه سُرُكسية
جاءت من بلاد الأناضول بتركيا .

ولما اهزمت فرنسا سنة 1940 في الحرب
الأنخيرة ، أخذ الناس ينتسخون قصيدة
جفرية لأحد شعراء مراکش يدعى الموقت ،
كان يعيش في أوائل هذا القرن وتسمى
« الزاوية » (أى قافيتها زاي) ، تعرض
فيها للانتقاص من الفرنسيين والتنبيؤ
بهزيمتهم

وتوجد كذلك قصائد سياسية نظمت
مناسبات وطنية كالقصائد المسماة
« التطواشيات » حول حرب المغرب مع
إسبانيا سنة 1859 — 1860

وقصائد حول فتح تونابارت لمصر ،

وحول دخول الفرنسيين لوجدة . وقد
نظم الشعراء كذلك في مساندة الحركة
الاستقلالية أيام النضال وأشهر من
برع في هذا الباب الشاعر الملمهم الشيخ
الغيسوى الفلّوش من أهل فاس رحمه الله
وكل الشعراء المعاصرين نظموا في
التنويه بجهد محمد الخامس قدس الله
روحه ، ووارث سره جلالة الحسن
الثاني نصره الله .

وينظمون في الأغاز ويسمون عادة
هذا النوع « السولان أو السوال » ،
وهذا النوع مطية لإظهار البراعة في
الاطلاع على معلومات عن أشياء غريبة
يستمدونها من اتصالاتهم ولارمتهم
لبعض العلماء ومن مطالعة كتب العجائب
والغرائب .

ولهم فصائد تعاليمية ينظمون فيها
التوحيد والسير النبوية والمنازل الفلكية
ومثل هذه الفصائد الأنخيرة تسمى
« ترحيل الشمس » ، ومن نظم في
ذلك المغراوى من القدماء والحاح أحمد
الغرابلي من المحدثين .

ومن المواضيع التي نظم فيها بعضهم ما
يسمونه بالقصائد « الحسبية » تسمية

للشيء بنقيضه ، وهى من باب رجوع
الشيخ إلى صباه ونحوها ، وهى من
الشعر الذى لا ينشد إلا فى بعض مجالس
اللهو أو بين جماعة من الناس ارتفعت
من بينهم كل كلفة .

وامتاز كذلك شعراء الملاحون بالنظم
فى موضوع لا نعرفه فى الأدب العربى
القديم ، وهو موجود فى الأدب الغربى
وهو مسخ القصائد (ويسمى بالفرنسية
مثلا Parodie) . وذلك أنهم يعمدون
إلى قصائد جدية معروفة ، ويقلبون
موضوعها إلى الهزل والسخرية . وكثيرا
ما يحولونها إلى النوع الحسى المشار
إليه آنفا . ومن اشتهر فى هذا النوع
من شعراء الملاحون أحد شعراء أحد
مراكش كان يدعى أحمر الرأس من رجال
أوائل هذا القرن العشرين ، ومنهم
الفقيه الرأى من أهل فاس ، وكان
يقطن مراكش .

وأهم نوع برز فيه شعراء الملاحون
الشعر الملحمى « الأبوية » ويسمونه
« العروات » . والحقيقة أن القصائد
التي موضوعها حروب المسلمين مع الكفار

ليست هى كل الشعر الملحمى فى الملاحون
فهناك كذلك قصص « أبوية » تتعلق
بسير الأنبياء والأولياء تتخللها كثير
من الخوارق . ومن أشهر شعراء العزوات
والقصص الملحمية سيدى عبد العزيز

المعراوى وله فى ذلك المؤودة وجريز
والشدادية والشباب الغسانى وغيرها ،
ومسهم سيدى مبارك أبو الأطباق وقد
كان له أثر على شعراء الملاحم .

ومن آثار سيدى مبارك أبو الأطباق
عزوة الصييد من سلامة المخرومى
والإسرائيلية والراحة ، وتسمى كذلك
غزوة أبيص ابن صلصال ، ويقصد
بالراحة بما شفاء سيدنا على كرم الله
وجبه من رص ، وله فتوح افريقية
وغير هذا من القصائد الرائعة فى هذا
الموضوع الخيالى أما سيدى محمد
ابن يَحْلَف ، وهو كذلك من شعراء
الملاحم ، فمن قصائده الرهيب (الراهب) ،
و « الصيافة » ويعنى بها ضيافة رب
العزة لعباده ، وقصة « الشباب مع أبى جهل »
و « أبويزيد البسطامى مع رهبان الدير »
وغيرها كثير ، وقد كان يعيش فى أواخر

القرن الحادى عشر الهجرى وأوائل
الثانى عشر : وهو يؤرخ قصائده .
وما وقفت عليه من كلامه مؤرخ ما بين
1095 ، 1120 هـ

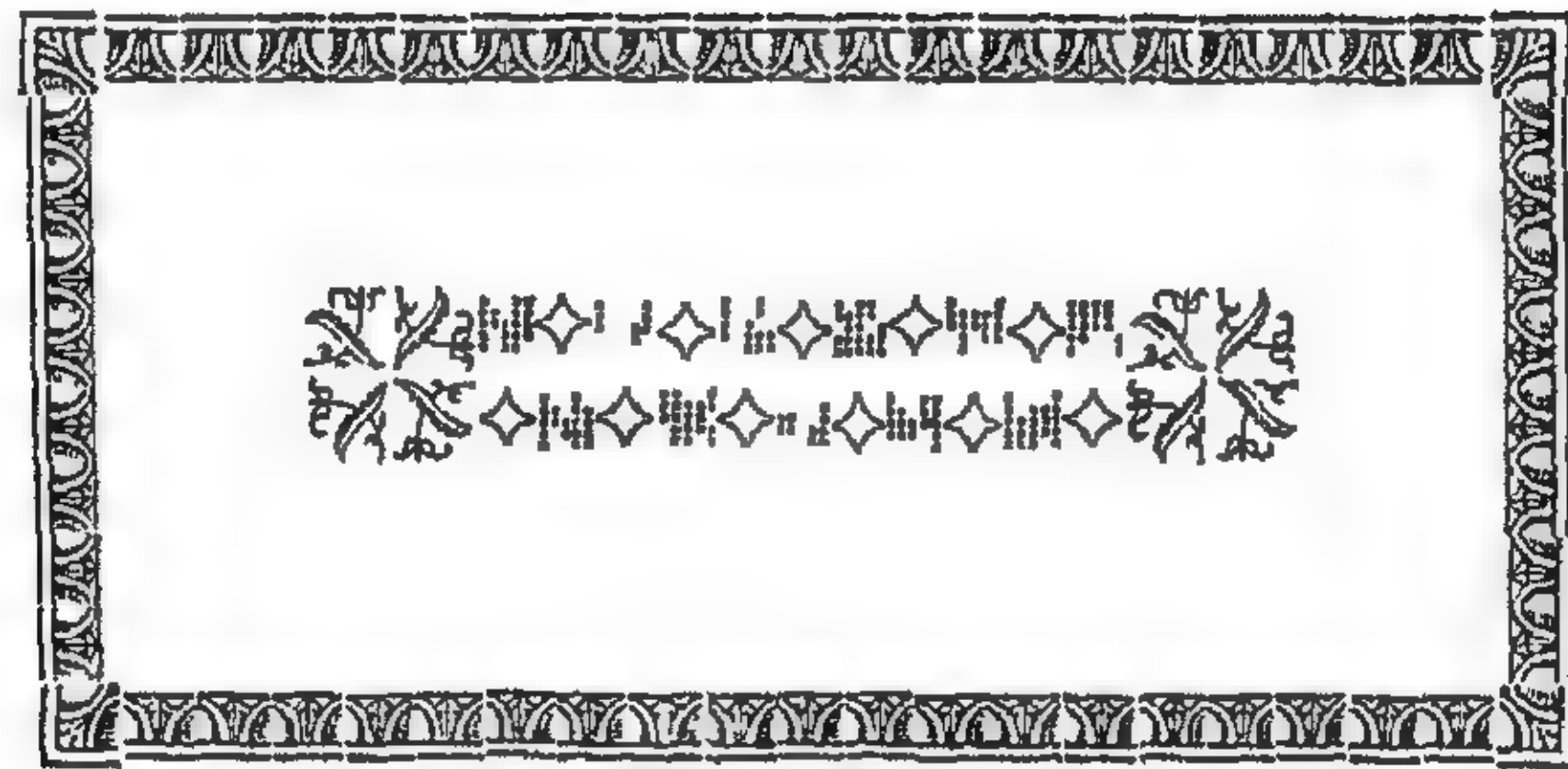
وقد كاد ينعدم هذا النوع ، إذ لم
ينبغ فيه بعد هؤلاء الشعراء إلى أوائل
هذا القرن أحد ، إلا ما كان من قصيدة
أو قصيدتين تعرف لبعض الشعراء
وكانهم كانوا يتعمدون النظم فى الغزوات
والقصص الملحمية ليبرهنوا على براعتهم
وقدرتهم . فمن ذلك « النباش » للشيخ
الجيلالى مشير و « الصالحية » لسيدى
عبد السلام الزفرى ، و « العيوانية »
للسى الكبير ابن عطية ، و « الكهفه »
للشيخ غانم القصرى ، و « النمرودية »
للغرابلى . وفى أوائل القرن أحيا هذا
النوع الشيخ المكى ابن القرشى فنظم
فيه الشئ الكثير « كالعاشقة مولاة
التاج » و « جمجمة » و « البغدادية »
و « اليوسفية » و « الشدايد »
و « الشريفة » وسيدوك النصرى .
وقد كان رجال الاستعمار أيام الحماية

يمنعون إنشاد هذه القصائد فى الأسواق
وكان المراقبون إذا تقدم لهم أحد
« المداحين » يطلب الإذن فى السفر
للتجول فى المدن والقبائل قصد ترويح
وضاعته أول ما يسألونه عنه هل يحفظ
العزوات ؟ فإن أجاب بالنفى أعطى
الإذن وإلا منع ، لأنهم كانوا يخشون
بعث العاطفة الوطنية والدينية فى النواحي
التي كانت ما تزال بعيدة عن أثر
الدعوة الاستقلالية .

هذه نظرة وجيزة عن جانب من هذا
الفن البديع ، وإننى أهتم به ، وأجمع
الإنتاجات التي أبدعها الأشياخ المغاربة
ونعنى بهذا التعبير الشعراء منذ نعومة
أظفارهم ، وجمعت من القصائد خمسة
آلاف فصيده ، ومن الشعراء خمسمائة
شاعر ، ووصعت أسس عروضه ،
وهصطلحاته ، وجمع من ذلك كله
مؤلف ضخم ، يحتوى على عشرين
جزءا ، أخذت الأكاديمية المغربية تنشره
وس يظهر ، إن شاء الله تعالى ، جزؤه

الأول بعد شهر ، وقدم له صاحب الجلالة
الحسن الثاني ، نصره الله ، برسالة
سامية ، أوضحت قيمة هذا العمل ،
وقدره تقليديا يشرفني ويشرف الأكاديمية
فجراه الله خيرا عن الثقافة والعلم .
وشكرا لكم على حسن استماعكم ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد القاسي
عضو المجمع من المغرب



درءاً للصواب والخطأ في النحو والأسلوب للكنوز تمام صان

للصواب

والخطأ زاويتاً نظر
إحدهما ترتبط بصناعة

النحو ، والأخرى تتعلق بأسلوب
الاستعمال اللغوي ، أي أن لإحدهما فنية
والثانية اجتماعية فأما من وجهة النظر
الأسلوبية الاجتماعية فالصواب ماوافق
الشائع في الاستعمال والخطأ ما ند عنه . ولاشك
لدى أصحاب هذه النظرة أن القاعدة ضابط
مستنبط من كلام العرب ، وأن استعمالات
العرب سنة متبعة تستند إلى سلطان العرف
وأن بين الضابط الذي يصعبه النحاة وبين
السنة المتبعة التي يفرضها العرف وفاقاً في الأغلب
الأعم من الحالات ، وخلافاً في حالات
أخرى هي الأقل بالنسبة إلى ما يقابلها في كلام
العرب .

والقاعدة تاختص لتقلب العلاقات بين
عناصر السياق وما يصاحبه هذا التقلب من
تغير في مباني اللغة ، ومن ثم تكون القاعدة
وصفاً لهذا التقلب ، ولكنها ليست
قانوناً يسنه النحوي بما أعطاه العلم من

سلطة يشرع بها للغة ، ولا معياراً يحدده
هذا النحوي ليلزم أصحاب اللغة ومستعملها
مهما كان هذا المعيار منسجماً مع تقلب
العلاقات السياقية . نذكر إذاً أن تكون
القاعدة معياراً في يد النحوي ، وإن وجب
لها أن تكون معياراً في يد معلم النحو ، معنى
ذلك أنه يطلب إلى النحوي أن يقول : العرب
تقول كذا ، وتقدم هذا على ذلك ،
وترفع هذا وتنصب ذلك الخ ولا يقبل إلا من
المعلم أن يقول : يجب كذا ويجوز كذا ويمتنع
كذا فأولى للباحث (وقد كان النحاة باحثين
في لغة العرب) أن ينظر إلى مشكلة الصواب
والخطأ من زاوية اجتماعية ترى في الاستعمال
سنة متبعة ، وأولى بالمعلم أن ينظر إلى المادة
اللغوية من زاوية فرض القاعدة على الاستعمال
فإن وافقها كان صواباً وإن خالفها كان
خطأً ، فالباحث يستنبط القاعدة بالمنهج العلمي من
مادة الاستعمال (المسموع) والمعلم يفرضها
بالمنهج التعليمي على هذا الاستعمال نفسه .

(*) ألقى البحث في الجلسة الرابعة ٢ / ٥ / ١٩٨٥ م .

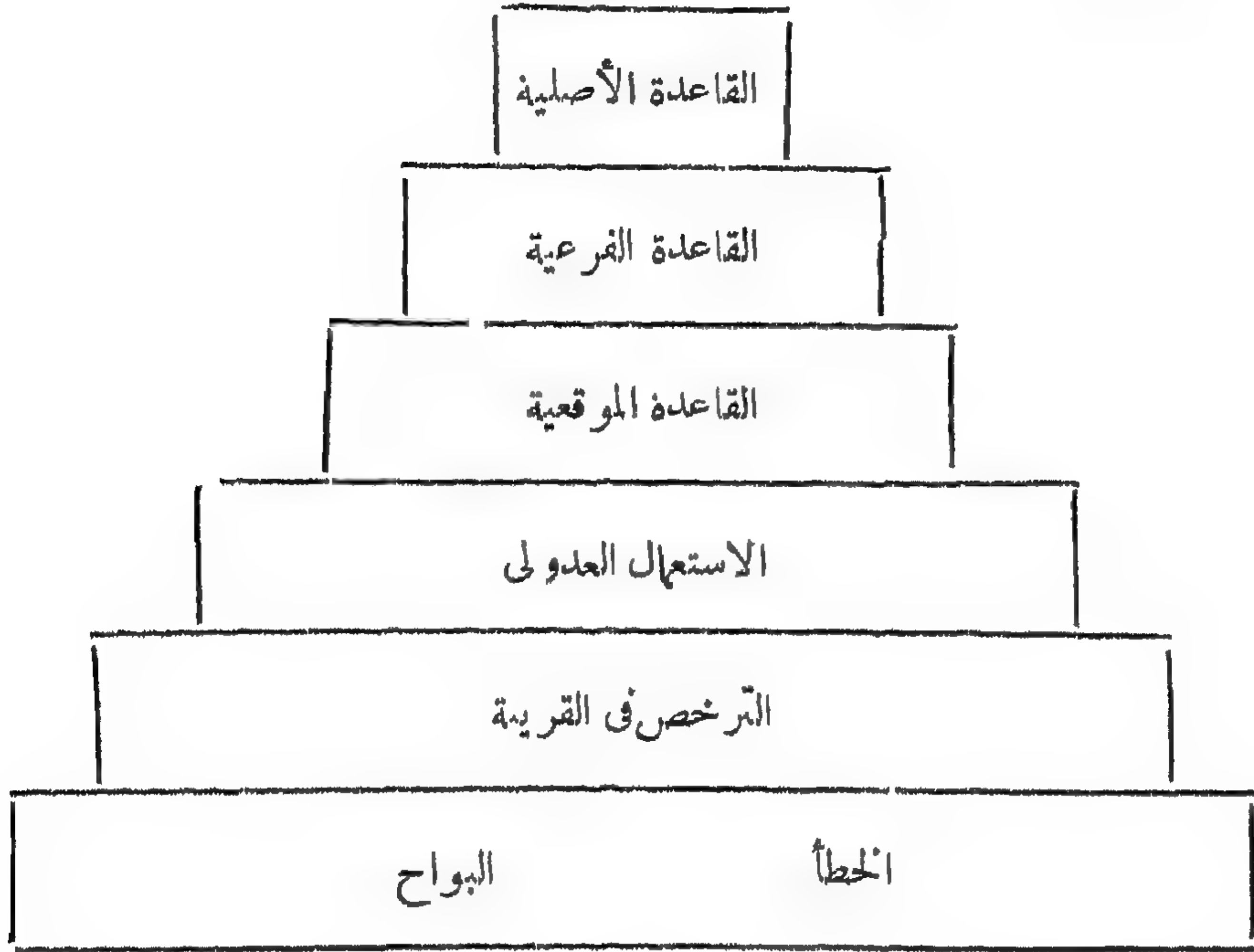
وصاحب السليقة كالباحث لا يهتم للقاعدة إذا عرفها أى قدر من الاهتمام ، مادام حدسه اللغوى (الذى نسميه السليقة) يرى الصواب فيما قيل وتلك هى القضية التى كانت مشار المشاركة بين الفصحاء والطاعين على العرب ، كالذى كان بين الفرزوق وابن أبى إسحق ، إذ قال الفرزوق له : « عاينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا » ويبدو أن النحاة وقد اكتمل فى أيديهم وصف بنية اللغة ، فأروا صدق قواعدها ، أعجبوا منذ البداية أشد الإعجاب بما استخرجوا من قواعد النحو ، ومن ثم دافعوا دفاعاً غيوراً (كما فعل ابن أبى إسحق) عن هذه القواعد ، وعن إطلاقها فى اللغة وتطبيقها على صورة تنسم بالشمول ، كما لو كان كل الاستعمال مسرحاً للأطراد أو يبنى أن يكون كذلك

ولكن معترك اللغة أوسع من أن ينحصر لصوابط النحو ، ويرجع هذا إلى أسباب متعددة ، ليس أهونها طموح الأدباء والشعراء إلى الترخيص والابتداع ، ولا ما وقع فيه النحاة أنفسهم من التماس الأطراد فى لهجات العديد من القبائل وقد علموا أن كل لهجة قميالة من هذه القبائل تستقل بطرقها الخاصة ، فلا يمكن أن يستخرج نحو واحد من صور استعمالية متعددة ومع هذا ليس من طبيعته اللغة (أى لغة) أن تسلم نفسها إلى قواعد كبرى لا تقبل الاستثناء ، ومن هنا كان من

صلب عمل النحاة أن يقيدوا كبريات القواعد باستثناء هنا ، واستندراك هناك وشرط فى موقع ثالث ، وأن يصوغوا قاعدة لكسر قاعدة أخرى ، أو يقعدوا لعدول عن الأصل ، يتقبلوا أسلوباً فصيحاً عدل به عن الأصل ثم يتأولوه بالتبرير والتأويل ثم كان عليهم أن يضعوا كل ذلك جنبا إلى جنب فى إطار نحو واحد ، وأن يعضوا الطرف عن التضارب بين قاعدة وقاعدة ، ويبرروا تجاوز القاعدتين المتصاريتين بأن إحداهما أصلية والثانية فرعية ، أو أن إحداهما مطلقة والأخرى قيد على هذا الإطلاق . وأخيراً كان عليهم أن يرتضوا بعض الخروج على هذه القواعد لأعراض أسلوبية ، وأن يرفضوا بعضها آخر لكونه شاداً أو قليلاً ، أو نادراً ولغة لحي بعيهم من أحياء العرب وأن يحكموا على ما خالف قواعدهم عدا كل ما سبق بأنه خطأ من الخطأ ، لا تقبل فيه شفاعاة التأويل ، ولا تبرره الشواهد القليلة

ذلك كان موقف النحاة من جانب ، والعرب الفصحاء من جانب آخر ، أما نحن فلما وقف نظرى آخر نشرح فيه تدرج الصواب والخطأ على مساحة تشمل الموقفين جميعاً ، بدءاً بالقاعدة المحكمة ، وانتهاء بالسنة المتبعة ، ولقد يمكن أن نقدم للكلام فى هذا الشرح برسم بيالى ممد به تمهيداً حسناً لما ننوئ

أن نتقدم به من شرح ، وفيما يلي ذلك الرسم المذكور :



عبر ابن مالك عن ذلك بقوله « ولا يجوز الابتداء بالنكرة » ولكن هذه القاعدة تنفرع عنها قاعدة أخرى مستثناة منها ، وهي جواز المبتداء بالنكرة إذا أفادت ، وهذا ما عبر عنه هو أيضا بقوله « ما لم نفد » . ومعنى قوله « ما لم نفد » هو ما يفهم من عبارة أخرى نقول : « إلا إذا أمن اللبس » والسؤال الآن هو : كيف يتحقق أمن اللبس ؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بواسطة النظر إلى ما قدمه ابن مالك نفسه من أمثلة ، لرى الطرفين المختلفة التي تحقق بها أمن اللبس على رغم الابتداء بالنكرة ، وفيما يلي نورد أمثلة ابن مالك والتعاقب على كل منها .

(١) « عند زيد عمرة » إذا تأملنا هذا

فالقواعد الأصلية هي القواعد الكبرى كقواعد الاختصاص ، والافتقار والرتب المحمودة وتعلق الجار والمجرور ، ومطابقة المعت الحقيقى ، وباء الحملة من ركين ، وعود الصمير ، وامتناع الخلف عند عدم الدليل ، واجتناب ما يؤدى إلى اللبس الخ فذلك كله من القواعد الكبرى فى النحو العربى ، ولكن من القواعد الأصلية ما تنفرع عنه قواعد فرعية منشؤها واحد من أمرين :

(١) الحرص على أمن اللبس .

(ب) المحافظة على أصل من أصول الصماعة

والأمثلة على ذلك كثيرة فى النحو العربى نورد منها الطائفة التالية .

١ - القاعدة العامة : « المتبدأ معرفة » وقد

المثال وجدنا الظرف مقدما على النكرة المرفوعة ومن المطلوب عند رؤية الظرف أو الجار والمجرور أو سماعهما أن نبين لهما عن متعلق ولكن ليس في الجملة مع الظرف «عند» إلا النكرة «نمرة» وهذه النكرة جامدة لا تصلح لأن يتعلق بها ظرف أو محرور، ومن ثم يصرف الدهن إلى تقدير كلمه أخرى ليتعلق الظرف بها، فإذا قدرنا هذه الكلمة وحدناها واصفة للنكرة المتأخرة لفظا في الجملة ونحن نعلم أن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى، وأن هذه الكلمة المقدرة لا تصلح نعتا بسبب تقدمها على النكرة ولا تصلح حالا لتقدمها وارتفاعها وتنكير النمرة فلم يبق إلا أن تكون هذه الكلمة خبرا مقدما والنكرة مبتدأ مؤخرًا هكذا يتبادر المعنى إلى الدهن دون الدخول في مضايق تحليل نحوي شبيه بما قدمنا، وهكذا يؤمن اللبس، وتتحقق الإفادة التي قصدتها ابن مالك.

(ب) «هل فتى فيكم» لا يحل من يستعمل اللغة العربية أن «هل» أداة استفهام، وأن الاستفهام لا يصب على المفردات، وإما يتجه إلى إسناد الجملة فوجب عندئذ

أن تكون «فتى فيكم» جملة بسبب دخول «هل» عليها وإذا كانت جملة فهي ليست فعلية لعدم وجود فعل في تركيبها، وإذا تكون جملة اسمية من مبتدأ وخبر وإذا كانت عبارة «فيكم» لا تصلح مبتدأ فلا بد أن يكون المبتدأ عنصرا آخر من عناصر الجملة، وليس في الجملة عنصر آخر إلا كلمة «فتى» وهكذا أس اللبس فابتدئ بالنكرة.

(ح) «ما حل لنا» في هذا التركيب حرف إنني، والمعنى إنما يدخل على الحمل وما قيل في «فتى فيكم» يقال في «حل لنا» لتشابه التركيب فيهما ؟

(د) «رحل من الكرام عندنا» التخصيص في مرحلة وسط بين التوكيد والتعريف وإذا كانت النكرة تعرفها الأداة أو الإضافة المحضة، فإنها يخصصها الوصف في التخصيص، كما في التعريف تضيق لعموم الدلالة التي كانت للنكرة، وليس إلا اختلاف بين التخصيص والتعريف في مجال تضيق عموم الدلالة إلا اختلافًا في الدرجة فقط. وإذا كانت الجملة بعد النكرات صفات فإن شبه الجملة يصدق عليه ما يصدق على

الحملة وهكذا تكون عبارة « من
« الكرام » قد وصفت « رجل »
فخرج بوصفه بها من ليس
كريمًا من بين الرجال ، وأصبح
مدلول « رجل » أضيق مما كان
لأنه أفادنا بالوصف قدرًا من
التعيين جعله صالحاً لأن يخبر عنه
بالظرف أى أنه حين أمن اللبس
صح الابتداء بالنكرة .

(هـ) « رغبة فى الخير خير » إنما يكون
تعلق الطرف والمحذور بالمصادر
والمشتقات من أفعال وصفات
وواضح أن معنى تعلق الظرف
والمحذور بأحدهما الأمور يجعلهما من
تمة معناه ، فلا يتم معناه إلا مع
تصور ارتباطهما به دون غيره وإذا
قلت « اشتريت ضيعة لأخى »
فإن المعنى يختلف باختلاف تعليق
الجار والمحذور فإذا علقنا المحذور
بالفعل فالمعنى أن الشراء كان من أجل
الأخ ، أما إذا علقناه بصفة محدودة
فإن الشراء يكون من الأخ بعد
أن كانت الضيعة ملكاً له ويترتب
على تعليق الجار والمحذور أيضاً
تصويص للدلالة ما تعلقاً به ، ففى
قولنا « جلس زيد » عموم فى معنى
الجلوس لا يعرف به « أين »
ولا (« متى » ولا « لماذا » ولا

« كيف » جلس ، ولكن هذا
العموم فى المعنى يضيق بقولنا :
« جلس زيد على الكرسي » وذلك
بالإجابة عن « أين » على الأقل
هكذا يكتسب الجلوس قدرًا من
التحديد ، يصبح الفعل معه
أوضح مما كان ، وهذا ما يرد
أيضاً على المصدر « رغبة » فلسنا
نجد كبير فائدة فى عبارة .

« رغبة خير » برفعهما وتنوينهما
ولكن تصييق معنى الرغبة بواسطة
ذكر الجار والمحذور المتعلقين بها
يعطى الكلمة من التحديد فى المعنى
ما يقرها إلى المعرفة وهنا يذهب
اللبس ، ، يصبح الابتداء بالنكرة
محققاً للمائدة

(و) « عمل بـيزين » إذا أضيفت الفكر
إضافته محضة إلى المعرفة اكتسبت
التعريف ، وإذا أضيفت إلى النكرة
اكتسبت التخصيص وقد عرفنا
منذ قليل أن التخصيص مرحلة على
طريق التعريف ، وأنه إن كان دون
التعريف أثراً فى المعنى فهو صنو
للتعريف على أى حال وهكذا
تكون النكرة المخصصة بالإضافة
صالحه لأن يبتدأ بها ، لأن اللبس
معها مأمون والمعنى واضح :

٢- القاعدة العامة . « لا يخبر بالزمان
عن الجثة » وقد عبر ابن مالك عن ذلك
بقوله

ولا يكون اسم زمان خبرا

عن جثة . .

والمعروف أن المقصود بالزمان ظرف
الزمان ، وأن المقصود بالجثة كل مسمى له
حرم مادي وربما كان السبب في عدم صلاحية
الزمان لذلك أن الخبر إذا كان صفة للمبتدأ
في المعنى فهو من جهة أخرى عين المبتدأ
في المعنى ، لأن الصفة من مقومات الموصوف
وما كان من مقومات الشيء عند « عين الشيء »
وإذا قلت . « الرحل قائم » كان القائم هو الرحل
أما إذا قلت . « زيد عندك » فإن العندية
ليست عين زيد ، ولأن مقوماته ، ولكنها
على الرغم من ذلك تتعلق بما هو من مقوماته
وهو « استقراره » فيكون التقدير : « زيد مستقر
عندك » أما إذا قلنا « زيد اليوم » فلا يمكن
أن يعد « اليوم » من مقومات زيد ، ولا يمكن
كذلك أن يتعلق اليوم بوصف يتبادر إلى
المهم كما تبادر الاستقرار إلى العندية .
وإذا فلا وجه لتأويل ذلك ، ومن ثم يمتنع
التركيب من حيث يؤدي إلى اللبس .

ولكن هذه القاعدة العامة تتفرع عنها
قاعدة أخرى مستثناة منها ، ومشروطة بأمر

اللبس ويفهم هذا الشرط من قول
ابن مالك « وإن يعد فأخبرا » وهي
تنمة بيت الألفية الذي أشرنا إليه منذ قليل
وإنما تكون الإفادة وأمر اللبس إذا أصلح
المبتدأ لأن يكون مضافا إليه والمضاف
من أسماء المعاني (كالمصادر مثلا)
وعندئذ لا يكون الإخبار بالزمان إخبارا به
عن جثته وإنما يكون عن معنى فإذا قلت
« الهلال الليلة » والمعروف أن الهلال جرم
يصدق عليه أنه جثته ، صح التركيب ، لكن
على تأويل حذف مضاف إلى الهلال .
والتقدير « طلوع الهلال الليلة » أو ظهور
الهلال الليلة « ولا شك أن الطلوع والظهور
مصدران ، والمصادر معان لاحتث ، ومن
هما يكون الإخبار بالزمان في هذا التركيب
« عن معنى لاعت جثة وبهذا نصل إلى الإفادة
ونحقق أمر اللبس » .

٣ - القاعدة العامة : « أي الموصولة معربة »
وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله : « أي
كذا وأعربت » ومقتضى هذه القاعدة أنها
معربة في التراكيب التالية .

(أ) رأيت أيا قادم .

(ب) رأيت أيا هو قادم .

(ح) رأيت أيهم هو قادم .

ولكن لهذه القاعدة العامة الأصلية قاعدة أخرى فرعية مستثناة منها ، هي بناء «أى» إذا أضيفت وحذف أول ركبي جملة الصلة وهو ضمير وقد عبر ابن مالك عن ذلك أيضا بقوله :

... ما لم تضاف

وصدر وصاها ضمير أن حذف وهكذا تصح «أى» مبنية في أمثال التركيب التالي :

(د) رأيت أيهم قادم .

وبناؤها هنا على الضم فلماذا بنيت في هذه الصورة التركيبية دون غيرها ؟ إنني أتصور الأمر هنا أيضا راجعا إلى أمن اللبس ، لأننا لو تصورنا لصلة «أى» أن يكون الخبر فيها من مادة اشتقاقية متعددة ، نحو «رأيت أيهم ضارب» لاحتملت «أى» (إذا كانت معربة مع حذف صدر الصلة) أن تكون مفعولا مقديما لاسم الفاعل «ضارب» ، واحتمل في الضمير المحذوف من صدر الصلة أن يكون «أنا» ، فيكون مآلنا إلى تقدير جملة ما يدرى معها ما إذا كانت «أى» مفعولا للفعل «رأيت» أو لاسم الفاعل «ضارب» وحكم السحو هنا كحكم المقه : «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ، أى أنه إذا كان بعض صور التركيب ما يمتنع كله ، وببيت «أى» لأمن اللبس وليس هذا وارداً على المثال رقم (أ) السابق «رأيت أيا قادم» أو حتى «رأيت أيا ضارب» لأن ثمة من الأسباب ما يدعو إلى تقدير ضمير الغائب فقط في صدر الصلة ، وذلك بسبب قطع

أى عن الإضافة ، والتعويض عن الإضافة بالتنوين ، ثم ما في الاسم الظاهر «ضارب» من معنى الغيبة «لأنه في قوة ضمير الغائب وأخيراً لأن الفعل أقوى في طلب المفعول من اسم الفاعل . كل ذلك يرشح الموقع الذي بين «أى» و«ضارب» أن يحله ضمير الغيبة ، لا التلخيص ولا الخطاب . وبهذا يؤمن اللبس ولا تدعو الحاجة إلى البناء .

٤ - القاعدة العامة «رتبة الخبر التأخر عن المتبداً» وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله :

والأصل في الأخبار أن تؤخر . . .

ولكن هذه القاعدة العامة تخصصها قاعدة فرعية تقول يجوز التقديم إذا لم يترتب على ذلك لبس أو مخالفة لأصول الصناعة وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله :

... وجوزوا التقديم إذ لا ضرر

ومثلوا بإمكان ذلك بنحو «قائم زيد» من حيث إن «زيد» معرفه و«قائم» نكرة والمعرفة أولى من النكرة أن تكون هي المتبدأ وهكذا يتقدم الخبر وهذا التأويل أولى من تأويل المثال بأن «زيد» فاعل قائم وقد أغنى عن خبره ، لأن هذا تأويل ضعيف عبر ابن مالك عن ضعفه بقوله :

... وقد

يجوز نحو فائز أولو الرشد

فقوله : «قد يجوز» دليل على ضعف التأويل وكذلك مثلاً له بنحو «قائم أبو زيد» فلو جعلنا «قائم» مبتدأ للزم في «زيد» أن

يكون بدلا من الضمير ، ولو كان كذلك لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، أما لفظا فواضح ، وأما رتبة فلأن البديل متأخر عن البديل منه في الرتبة لأنه تابع ولو أعدنا الضمير على متأخر لفظا ورتبه لنقصنا بذلك قاعدة أكبر خطرا لاتصالها بأمن اللبس من حيث ينبغي لمرجع الضمير أن يتقدم على الضمير ، ليجبر ما للضمير من عموم الدلالة على مطلق غائب أو حاضر وكذلك مثلوا بنحو « أبوه مطلق ريد » ، للسبب المتقدم نفسه ، ونحو « في الدار زيد » و عندك زيد لأحقه ريد « بالابتداء في الحالتين : والضرر الذي يشير إليه ابن مالك بقوله « وجوزوا التقديم إذا لا ضررا » يوجب حفظ رتبة الخبر من المبتدأ ولا يخلو هذا الضرر من أن يكون واقعا على أمن اللبس أو على أصل من أصول صناعه النحو ، فمن ذلك .

(أ) خوف تساوى احتمالات الإعراب بلا مرجح نحو : أحى صديقي .

(ب) خوف ضياع معنى زائد على الإسناد كالتأكيد أوله الحصر نحو لزيد قائم وإنما ريد قائم

(ج) خوف تساوى احتمالي ممط الجملة (أهى اسمية أم فعلية) نحوريد قام

(د) خوف إهدار قاعدة الصدارة نحو من أنت ؟

فيعرب الأول في كل ذلك مبتدأ والثاني خبراً لضمأن أمن اللبس في المثالين الأولين ، وللحفاظ على أصول الصناعة في المثالين الأخيرين ولو انعكس الوضع لوقع ما عده ابن مالك من قبيل « الضرر » ، وما عبر عنه الشراح بقولهم ولو اشتبه الفاعل بالمفعول لراد الخطر وعم الضرر ، وقد جاء ذلك تعليقا على قولهم « صرب موسى عيسى وهو شبيه باختلاط المبتدأ والخبر في المثال الأول من الأمثلة المتقدمة .

لعل فيما قدمناه عاء لتوضيح المقصود بالقاعدة الأصلية والقاعدة المرعية ، وعلاقة كل مهما بالأخرى .

* * *

يأتى بعد ذلك إيضاح المقصود بالقاعدة الموقعية ، ومعنى لفظ « الموقعية » أن هذه القاعدة ترتبط بـ « موقع » واحد لاتعدادها إلى غيره من المواقع ، وأن هذا الموقع قبل صدق القاعدة عليه ربما اتفق مع أصل عام من أصول الصناعة التي حردتها النحاة ، وربما خصص لقاعدة أخرى أصلية (أى عامه) أو فرعية فلو استصحب الأصل أو طبقت القاعدة لخرح الاستعمال عن السمة المتبعة ، ومن هنا تأتى القاعدة الموقعية (في هذا الموقع المذكور) لتفسر سبب العدول عن الأصل أو لتخرق القاعدة بقاعدة وإليك الأمثلة :

١ - الأصل في كلمة « ميران » هو « موران » على صيغته اسم الآلة . ولكن هذا الأصل

لا يمكن استصحابه لما فيه من ثقل مرجعه إلى أن الكسرة والواو ضدان لا يتجاوران ومن هنا جاءت القاعدة لتفسير العدول عن الأصل أو لتصيطه ، يُقالت : إذا وقعت (لا حط لفظ « وقعت » وعلاقته الاشتقاقية بلمظ « موقعية ») الواو ساكنة بعد كسرة قلبت الواو ياء .

٢- أصل كلمة « كساء » هو « كساو » بدليل قولك « كسوت » ، و « كسوة » وأصل كلمة « بساء » هو « بسأى » بدليل قولك « بنيت » وكذلك « بنية » والعدول عن الأصل الذي هو « كساو » و « بسأى » إلى المفعول المستعمل « كساء » و « بساء » تحكمه قاعدة موقعية تقول . إذا وقعت (قارن لفظ « موقعية ») الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة .

٣- أصل الفعل « قال » هو « قول » ، وقد حدث العدول عن هذا الأصل بقاعدة تقول إذا تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً .

٤- أصل كلمة « ديا » هو « دوا » وأصل « عليا » هو « علوا » ، بدليل « ديوت » و « علوت » وقد جاء العدول عن الأصل فيهما بقاعدة تقول . إذا وقعت (ا) الواو لاما لصيغة « فعلى » وصما قلبت ياء .

٥- أصل لفظ « إقامة » هو « إقام » وقد حدث العدول عن هذا الأصل بحسب قاعدتين بينهما رتبة محسوسة ولا بد لولاها أن تطبق قبل تطبيق الثانية تقول القاعدة الأولى .

(أ) تنقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله .

فإذا طبقنا هذه القاعدة وصلنا بتطبيقاتها إلى موقع تأباه أصول الصاعدة النحوية والصرفية ، وهو موقع التقاء الساكنين وهذان الساكنان أولهما الواو التي سلبت حركتها بواسطة النقل إلى ما قبلها ، فلما سلبت حركتها سكنت ، وثانيهما الألف التي بعد الواو في الأصل « إقام » هنا تأتي قاعدة موقعية أخرى تقول :

(ب) إذا التقى ساكنان حذف أولهما . عندئذ تصبح الكلمة « إقام » كما في قوله تعالى : « وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » ثم لنا أن نبقى على هذه الكلمة على حالها كما استعملها القرآن ، أو أن نضيف إليها ناء أخيرة للتعويض عن الواو المحذوفة لالتقاء الساكنين .

هكذا يعدل عن الأصل بقواعد فرعية موقعية تلخص اتجاهها استعماليا ذوقيا يسعى دائما إلى طلب الخفة ولكن القواعد الموقعية لم تقصر همها على تفسير العدول عن الأصل فقط ، وإنما تحطت معارضة الأصول إلى معارضة القواعد إذا ترتب على تطبيق إحدى هذه القواعد مخالفة أصل من أصول الصناعة أو سنة من سنن الاستعمال وإليك الأمثلة :

١- القاعدة الأصلية أن يكون لآخر الكلمة ما يستحقه من علامة إعراب

بحسب موقعه أو حركة بناء ، ولكن ولكن الكلمة إذا وقعت آخر الجملة المسطوقة الموقوف عليها وردت عليها قاعدة موقعية (أى ترتبط بموقع الوقف) وهى التى تعرف بقاعدة الوقف فانظ الرجل من قولنا « جاء الرجل » يستحق علامة الرفع بحسب القاعدة العامة للإعراب ، ولكنه عند الوقف عليه يستحق السكون بقاعدة تكسر تلك القاعدة وكذلك « أمس » من قولك « جاء الرجل أمس » مبنى على الكسر بأصل وضعه ولكن يسكن عند الوقف .

٢ - القاعدة الأصلية أن يبنى الماضى عند عدم اتصال الصماثر به على المتح فلاذا وقع موقعا تتصل به فيه واو الجماعة طرأت قاعدة موقعية تبنيه على الضم ، وهذه القاعدة ترد على المضارع والأمر كذلك ، إذ تخرجها عن مطابقتها لقاعدة أصلية خاصة بكل منهما . وهكذا تقول ضربوا ، لم يضربوا اضربوا والأمر شبيه بذلك بالنسبة للياء فى تضربين ، واضربى وتعود القاعدة الموقعية فى مثل هذه الحالات إلى ظاهرة « المناسبة » أى جعل حركة لام الكلمة مناسبة للضمير المتصل .

٣ - القاعدة الأصلية أن يبنى الأمر فى أبسط صورته على السكون فلاذا وقع بعده لفظ يبدأ بالسكن (ومن ثم يستحق همزة الوصل إذا بدئ به الكلام) وردت عليه قاعدة موقعية تخرق قاعدة البناء على السكون

وتجعل آخر الأمر مكسوراً لالتقاء الساكنين (إن كان الأمر صحيح الآخر) فتقول مثلاً . « اقرأ الدرس » بكسر لام الفعل . أما اذا كان آخره معتلاً وإن القاعدة الأصلية تبنيه على حذف حرف العلة وتلزم عين الفعل حركة مناسبة تدل على نوع حرف العلة المحذوف نحو ألقى العصا ، وأرع الأخوة وأرج الله . ومعنى هذا أن حذف حرف العلة قاعدة أصالية وأن نوع الحركة على عين الفعل قاعدة موقعية .

٤ - القاعدة الأصلية أن يدل « فعل » وما كان من قبيله أى افتعل واستعمل إلخ على الزمن الماضى ولكن هذا الفعل إذا وقع بعد الشرط وردت عليه قاعدة موقعية يدل بحسبها على الاستقبال . ويدل المضارع بحسب القاعدة الأصلية على الحال أو الاستقبال فإذا وقع بعد « لم » دل على نفى الوقوع فى الماضى ، وإذا وقع بعد « لن » دل على نفي الوقوع فى المستقبل ، وإذا وقع بعد « أن » لم يدل وقوع أو عدمه وإنما يتفرغ للدلالة على مطلق الحدث الذى هو معنى المصدر الصريح .

وليس يارم فى كل قاعدة موقعية أن تفسر عدولا عن أصل أو تخرق قاعدة أصالية أو فرعية فاقدم يحدث أحيانا أن يتنوع مطهر العصر اللعوى (أى المبني) بحسب موقعه دون أن يكون أحد أنواع

السلوك أصلاً ويكون غيره فرعاً ، وإليك الأمثلة :

١ - إذا وقع لفظ الجلالة بعد فتح أو ضم جاءت لامه مفخمة ، أما إذا وقع بعد كسرة أو بعد الياء فإن هذه اللام ترقق تقول وايم الله ، والله ، لكن بالله ، عبيد الله . وليس يدعى لأى من التفتيح والترقيق أنه أصل وأن الآخر فرع له .

٢ - إذا وقع ضمير الغيبة المتصل بعد فتح أو ضم ضمت هاؤه ، وإذا وقع بعد الكسرة أو الياء كسرت هاؤه ، فتقول لهم كتابهم وله كتابه ، ولهما كتابهما ، ولكن أشار إليه في كتابه ، وإليهما في كتابهما ، وإليهم في كتابهم وليس يدعى لأى من حركتي الهاء أنها أصل وأن الثانية فرع لها

٣ - إذا وقع ضمير المفرد العائب المتصل بين حركتين أشبعت حركته سواء أكان مضموماً أم مكسوراً أما إذا سبقه أو لحقه سكون فإن الإشباع يمتنع هذا في الكلام المرسل ، أما في الشعر فإن هذه الظاهرة تنصع للورن تقول في الكلام : ضربه بالعصا (بالإشباع) بعد أن ضاق به ذرعاً (بالإشباع) ، ولكن لم يضربه (دون إشباع) وإن سخر به اليوم (دون إشباع أيضاً) وليس أحد الأمرين أصلاً لا الآخر فرعاً .

وهكذا نرى القاعدة الموقعية هنا بموقعها الذي أعدت له فهي ليست أصالية لعدم عمومها ، وليست فرعية لعدم اتصالها بأمن اللبس ولا بمراعاة أصول الصناعة ، بل لأنها على العكس من ذلك : إما تفسير للعدول عن هذه الأصول وإما كسر القاعدة أصالية أو فرعية ولكنها في كل الأحوال انتصار للذوق الاستعمالي على الاستصحاب والاطراد ، وما يصاحبهما من قيود على طالب الحقة .

* * *

عرضنا حتى الآن لثلاث درجات من القواعد هي : القاعدة الأصلية ، والقاعدة الفرعية ، والقاعدة الموقعية ، ووضح أن أعلاها درجه هي الأصلية وأدناها الموقعية ويرتبط العاو والتوسط والدنو هنا باقساس مجال تطبيق القاعدة وعدمه فتعريف المبتدأ مثلاً هو أساس التركيب العربي للجماة الاسمية ، وأما تمكيره فاستثناء مشروط بفيد الإفادة ، وهو أمر يتحقق بأمن اللبس والحفاظ على أصول الصناعة فإذا تحقق شرط الإفادة أمكن الابتداء بالمكرة مهما كان الموقع وأما تفتيح لفظ الجلالة فقاعده ترتبط بموقع خاص تأتي فيه اللام بعد فتح أو ضم ، والقاعدة المذكورة لا تنعدي هذا الموقع أبداً ، وإذا كانت الإفادة هي المبرر للقاعدة الفرعية فإن مبرر القاعدة الموقعية في جماة الحالات هو طاب الحقة .

عند هذه النقطة نصل إلى درجة من الصواب تأبها القاعدة وترتضيها السنة

المتبعة أي، أن معيار الصواب هنا ليس نحويًا وإنما هو عرقي وهذا الصواب العرقي غير النحوي يمثل عدولا عن أصل الوضع أو أصل القاعدة ، ومن هنا يحلوا أن أسميه « الاستعمال العدولي » ومع أن الاستعمال العدولي يسعى أن يعد خطأ معايير القواعد النحوية . لم نجد أحداً من النحاة قدمائهم ومحدثيهم يصممه بوصمة الخطأ ، وربما كان ذلك لشيوعه في كلام أصحاب السايقة بل لاقتضاره في أسلوب القرآن والحديث وربما قال قائل . ما بالك تنمرد الاستعمال العدولي بمعالج خاص مادام في حوهره عدولا عن الأصل (أصل الوضع أو أصل القاعدة) . أليست القاعدة الموقعية عدولا عن الأصل كذلك ؟ ولماذا أفردت كل منهما بمعالج خاص ؟ الجواب أن الفرق بينهما من وجهين

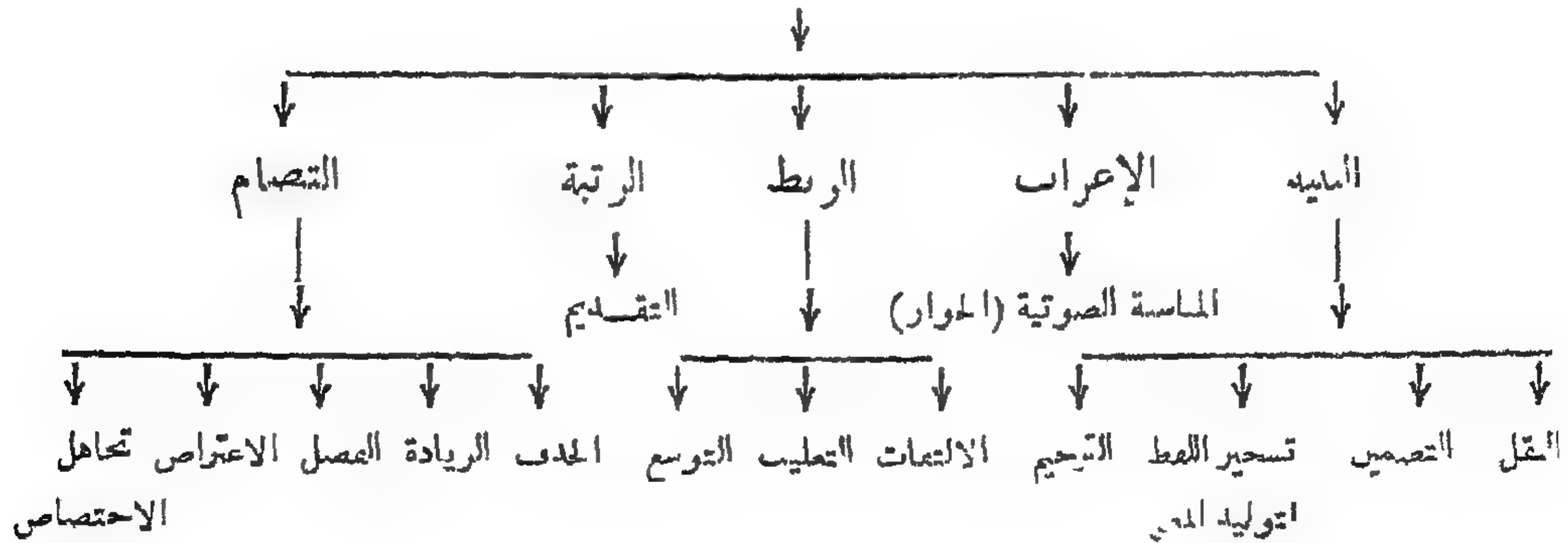
(أ) القاعدة تطرد وهذا الاستعمال اختيار أسلوبك لك أن تأخذه أو تدعه .

(ب) القاعدة مرهونة بموقع خاص بخلاف الاستعمال العدولي .

ينحى إلى أنني أطلت الكلام في تنظير الاستعمال العدولي قبل أن أقول ما هو ، فليس يعنى عن ترحه والاستشهاد له أن يوضح الفرق بينه وبين القاعدة الموقعية .^{٦٦} ولهذا يحسن أن أبدأ في سرد الطواهر العدولية واحدة بعد الأخرى قدر ما يسمح الحيز المخصص لها في هذا البحث .

إن الدخول المناسب إلى مسرح الاستعمال العدولي إنما هو من مدخل القرائن النحوية اللفظية ويمكن باختصار أن نسوق بيانا تخطيطيا لهذه القرائن وأنواع العدول التي تعرض لكل منها على النحو التالي

طرق العدول عن القرائن



وسنتناول كلا من ذلك على حدة .

١ - النية

لنية الكلمة أو عطف الجملة صور متعددة للحروج بها من أصل استعمالها وقد اعترف بهذه الصور وإن اختلفت وجهة نظرهم إليها وصياغة المصطلحات لها ولعل أولى هذه الصور بالذكر ما يلي

(١) النقل

اعترف العلماء بالنقل وسماه بهذا الاسم في بابي العلم والتمييز ، فالعلم قد يكون مقولا عن الفعل كيزيد ، أو الوصفية كحالد ، أو المصدرية كفصل . أو عن الدلالة على مسمى آخر كبدر ، أو عن تركيب لاسم كحاد الحق . والتمييز قد يكون مقولا عن المعامل نحو اشتعل الرأس شيبا وحسنت مستقرا ومقاما . وقد يكون مقولا عن المفعول نحو أخذت شعوره حماسا وكذلك اعترف البلاغيون في تعريفهم للمخار أنه نقل الكلمة من معانيها الأصلية إلى معنى آخر ينسب إليها بعلاقة وقرينة

ولكن طاهره النقل سميت بأسماء أخرى في أماكن أخرى غير بابي العلم والتمييز والمخار إذ إنها سميت « النية » في باب المفعول المطلق . وقد يربط عنه ما عاينه دل

كحد كل الجذوافرح الحدل
وسميت النية أيضا في باب النائب عن المعامل ، وكذلك في القول بأن حروف الخبر ينوب بعضها عن بعض . أي ينقل بعضها إلى استعمال بعض

أما نقل الأسماء إلى استعمال الضروف فلقد أطلقوا عليه اسم « التصرف » فانظر في المتصرف « ما يرى ظرفا وغير طرف » أو بعبارة أخرى . ما ليس ظرفا بحسب الأصل وإنما نقل إلى الظرفية واستعمل استعمال الضروف

ولقد سميت طاهرة النقل « إغناء » في مواضع أخرى . فلقد يقع الوصف مبتدأ فيغني فاعاه عن الخبر نحو أقائم زيد ، وقد يعنى الحال عن الخبر في نحو أكثر ما يعجبني زيد حظيا . ومثل ذلك إغناء أن وما دخت عليه عن مفعولي طن وسدادها مسددها . ومنه في باب النداء ما رآه الفراء من أن « يا » صممت معنى « أدعو » فعملت عملها وسدت مسدها أي أعست عنها وفي كل هذه الحالات عدل بالكلمة عن أصلها ونقلت إلى استعمال آخر

وقد ينقل عطف الجملة الخبرية إلى الدعاء نحو « بارك الله فيك » ، أو إلى التنزيه نحو « تبارك الله » وقد ينقل النفي إلى الدعاء نحو « لا قص عوك » ، وإلى الإنكار نحو « ما هذا ! » ، وإلى التقرير نحو « ألسب بركم » . وفي كل هذه الحالات ومثاتها ينقل النمط التركيبي من معناه الأصلي (وهو الخبر في الحالة الأولى والثاني في الثانية) إلى معاني أخرى طاميه أو إيجابيه لم تكن له بحسب الأصل .

(ب) التصمين

وإذا كان النقل عدولا عن أصل المعنى الوطني فإن التصمين عدول عن المعنى

الأسلوبى . فقد يجد المتكلم فائدة أسلوبية « ما » كالتأكيد أو الابتكار أو التلخيص والاختصار أو نحو ذلك فى إحلال كلمة محل أخرى ، وإعطائها معناها ، بحيث تغنى عنها دون أن يشعر السامع بأن شيئاً غريباً قد حدث ، انظر إلى قوله تعالى : « فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » (فصات ١٧) وسرى أن الفعل « استحبوا » لا يحمل فى معناه المفرد معنى التفضيل ، ولكن وجود حرف الجر « على » نقله بالتصمين إلى هذا المعنى ، ففهم منه معنى « فضلوا » . ثم انظر إلى قوله تعالى . « وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » (الصرقا ٣٠) ، المعروف أن « اتخذ » إذ تنصب معواين يعبر الثانى منهما عن معنى الاجتماع ، إذ تقول . اتخذت فلانا صديقاً ، أى إنتفعت بصداقته ، واتخذت فلانا خادماً أى انتفعت بخدمته . ليس هذا المعنى مناسباً لكلمة « مهجوراً » ، مما يفهم منه أن « اتخذوا » قد ضمن معنى مطلق التحويل الذى يعبر عنه بالمعل « جعلوا » أو « صيروا » . وانظر إلى قوله : « ومنهم من إن تأمنه بديار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً » (آل عمران ٧٥) وستعلم أن الفعل « ما دام » من أخوات « كان » وأنه وهو ناقص لا يصلح للوقوع بعد أداة الاستثناء « إلا » وإذا لم يصلح ذلك فلا بد أن تكون « دام » غير ناقصة وأن تكون « ما » فقدت

معنى المصدرية واحتفظت بمعنى الظرفية تم صممت معنى « إذا » ، ويكون التقدير : « إلا إذا دمت قائماً عاينه » على أن « قائماً » حال وأن « دمت » بمعنى « استمرت » وثبت . وانظر إلى قوله تعالى : « فتبسم صاحبك من قولها » (النمل ١٩) تجد أن صاحبك من كذا يفيد معنى السحرية (أى سحر من كذا) ، ولم يكن سائياً بضحكك ساخرًا من النماة وإنما كان متعجباً من قولها . وبهذا يكون « صاحبك » قد ضمن معنى « متعجباً » .

ويحدث حياء أن يصمم تركيب كامل معنى تركيب كامل (ليس من وجهة النظر الواظفة كما ذكرنا فى الكلام عن الخبر والنفى وإنما من وجهة النظر الأسلوبية) من ذلك قوله تعالى : « يأيا الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (آل عمران ١٠٢) . فلو أخذنا تركيب حمله النهى . « لا تموتن » على علاقته لكان المعنى نهياً عن الموت إلا على الإسلام ولكن الإنسان لا يهوى عن أمر لا حيلة له فيه ، فالله الذى قضى الموت لم يجعل للإنسان فيه خياراً وإذا انتهب الحيرة لم يعد للنهى معنى .

ألقاه فى الميم مكتوفا وقال له
إياك إياك أن تبطل بالماء

وإذاً لا بد أن يكون النهى ذا معنى آخر . والمعنى المطلوب : « لا تصرطوا فى الإسلام »

حتى تموتوا » ، وهذا التضمين شبيه بما
يقول به تشومسكي من مفهوم « البنية
العميقة » DEEP STRUCTURE

(ج) تسخير اللفظ لتوليد المعنى :

وهذه أيضاً صورة من صور العدول
عن أصل استعمال بنية اللفظ إلى مسالك
أسلوبية تصبح البنية معها صاحبة للإيحاء
بمعنى لم يكن لها من قبل . وهذه الحيلة
الأسلوبية كانت وما تزال مسرحاً من
مسارح تفوق البلغاء . ويأتي هذا التسخير
بواسطة أمور منها جرس اللفظ ، أو
علاقاته الذهبية أو العاطفية ، أو انعكاسات
استعماله عليه ، أو علاقاته الفنية الخ .
فأما الجرس فقد رصد البلاغيون مبدأ
حكايه الصوت للمعنى أخذوا عن المصطلح
اليوناني onomatopoea

كما قسم النقاد الكلمات إلى شعريه وغير
شعريه ، وتكلم فقهاء اللغة عن الكلمات
المصيحية والحوشية . ودعا الشعراء الرمزيون
المحدثون إلى الاعتماد على إيحاءات الجرس
على حساب المعاني المعجمية للكلمات .

وأما تسخير اللفظ في إثارة معان عقلية
فأشهر ما يدل اللفظ عليه من ذلك لآرم
المعنى كما يتضح في الكناية والتورية والحجاز
المرسل ففي الكناية والتورية معنى قريب
بحسب الأصل وآخر بعيد بحسب الآروم
العقلي أما في الحجاز المرسل فالآرم المعنى

قد يكون غاية (السبب والمسبب) أو كمية
(الكل والبعض) أو مكاناً (الحاليه والمحلية)
أو زماناً (ماكان وما يكون) . ومن المعاني
العقائدية المعنى التضمني ، وهي وإن دنا كثيراً
من فكرة الكمية لا يعد منها لأنه أوسع
تطبيقاً إذ يشمل أحياناً ما يسمى حذف
المضاف في نحو : « حرمت عايكم أمهاتكم »
أي قرب خاص منهن .

ويمكن أن نعد من تسخير اللفظ لنقل
شحنة انفعالية من المعنى لم تكن له بأصل
الوسيع أن نورد اللفظ في المقام المناسب
وفي مجرى السياق الملائم . فكلمة الشرف
بحكم معناها الأصلي لا تثير انفعالا وإنما
تثير فكرة التضاد مع الضعفه . ولكن المتنبي
حين ساط الأذى على الشرف في قوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم

وحمل الدم عقاباً على الليل من الشرف
جعل البيت الشعري يحمل حملاً عاطفياً
عظيماً . وكأما « مثل » بمعنى « شبيه »
من الأسماء المبهمة التي لا يسبب إليها
معنى معين إلا بعد الإضافة ، وما كان لها
أن تثير عاطفه أو تبعث انفعالا . ولكن
أبا فراس حين قال :

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يذاع له سر

وضع الكلمة موضعاً جعلها تحمل من الاستعلاء ما لا قبل لها به في سياق عادي ذلك أنه جعل « مثل » في موقع ضمير المتكلم (أي ولكني) ولولا ما ذكرناه من ضرورة إضافتها ما حاء معها ياء المتكلم ، تعبير أنى هراس هذا محاكاة للعبارة القرآنية . « ليس كلمته تنيء » ثم انظر إلى ما نقلته كلمة الأم في الحديث الشريف بواسطة تكرارها ، إذ حاء رجل الى المي صلى الله عليه وسلم . فقال من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال أمك ! قال تم من ؟ قال : أمك اقال قال تم من ؟ قال أمك اقال : تم من ؟ أبوكم ومثاه التوكيد بالامطى في قول الشاعر

أَحَاكَ أَحَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَخَالَهُ

كساع إلى الهيحا بغير سلاح
أما انعكاس استعمال المصطلح عليه فمستطوع
أن يصرب له مثلاً عبارته . «أما عربي»
طالبت هذه العبارة خلال التاريخ . وستظل
إن شاء الله تثير في نفس العربي الاعتراض
بما لها وراءها من تاريخ رائع وتراث عتيق .
ولكن هذه الكلمة فيما بين سنتي ١٩٦٧
و١٩٧٣ فقدت الإحياء بهذا الاعتراض
وكان بعض العرب يتبرعون بها إذا سئلوا
عن هويتهم خارج بلادهم فلما وقعت

و حسننا أن نضرب لذلك مثلاً قوله تعالى :
« والصبح إذا تنفس » ، فهذه الآية
اختارت من كل خصائص وقت الصبح
نسيمه الرطب الذي يصادف راحته في النفس
تبعث فيها النشاط والحيوة ولأن النشاط
والحيوة حياة أثرت الآية أن تنسب الحياة
نسبة فنية إلى الصبح فجعلته يتنفس
وهكذا أصبح تسخير لفظ « التنفس »
لتوليد معنى جديد عايد هامه وسيلتها
العلاقات الفنية للكلمة

وهناك علاقات فنية أخرى غير المشابهة
نلاحظها في استعمال السمية الاعوية لتوليد
آثار دوقية معينة لدى السامع أو القارئ
بواسطة ما يفهم عند استعمال المنية من
تعميم ، أو إبهام ، أو تأكيد ، أو مفهوم
مخالفة بعينه . إلخ . وأشهر وسائل ذلك التجريد
من أداة التعريف ، أو إلحاقها بالاسم ،
وإلحاقها بالوصف ، أو استعمال الموصولات
الحرفية المختلفة ، أو الصمير ، أو الموصول
الاسمي وغير ذلك ، والمعروف أن للمتكلم
مدوحة عن استعمال أى صورة من صور
المنية المذكورة ، واختيار واحدة منها
لتقع في نطاق الأسلوب لا القاعدة .

فن الوسائل لتوليد المعنى الفني من
اللفظ تجريد اللفظ من أداة التعريف ليؤول
إلى التفسير المؤدى إلى التعميم حياً وإلى

الإيهام حيناً آخر . انظر مثلاً إلى قوله تعالى :
« وجوه يومئذ مسفرة » (عبس ٣٨)
وفي هذا عدول عن عبارة « وجوه المتقين »
وقوله جل شأنه . « من قبل أن يطمس
وجوها فردها على أدبارها » (النساء
٤٧) عدولا عن « وجوهكم » ، وقوله :
سحابة . « علمت نفس ما أحضرت »
(الانفطار ٥) عدولا عن « كل نفس » ،
وقوله ، تبارك اسمه « ولا تتحدثوا
أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها »
(السجدة ٩٤) عدولا عن « قدمكم » أو
أقدامكم » ، وأما قوله تعالى : « وتعيها
أذن واعية » (الحاقة ١٢) فهي شبيهة
بقوله : « علمت نفس ما أحضرت »
التي سبق إيرادها لأن كليهما للتعميم
والمعنى المعدول عنه وتعيها كل أذن
واعية . وث قوله تعالى : « أم على فلوب
أغملها » (محمد ٢٤) المقصود المعدول عنه
« قلوبهم » وقد يعمل التوكيد حيناً على
إفساح الخيال السامع أن يسبح في
عماب الوهم المص ، فيصيف إلى الصورة
المنية الأدبية تهاويل من عنده ، ربما لم
ترد على خاطر صاحب النص . نلمح
ذلك في قول الشاعر .

ضرباً كمو - ي تفرق جمعكم

وطارت ألف مكما وحام

وعادت على البيت الحرام عوابس
وأنت على خوف عليك التمام

ولإني لأغصى عن أمر كثيرة
سترقى بها يوما إليك السلام

وقوله .

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم
وقوله ولا عاصم إلا قنا ودروع

ولإني في الحرب العوان موكل
بإقدام نفس لا أريد بقاءها

وربما تحقق توليد معنى الشمول بواسطة
المقترن بأداة التعريف إذا أفادت الأداة
استغراق الجنس . عندئذ يصبح المقترن
بالأداة صالحا لأن يضاف إليه لفظ « كل »
كقول الشاعر :

وكم من فارس لا تزدرية
إذا شخصت لموقفه العيون
أى « كل العيون » أو « العيون كلها » ،
وقوله :

أنا ابن التارك البكرى بشر
عليه الطير ترقبه وقوعا

أى « كل الطير » أو « الطير كلها »
وقد يوصل بالتعريف إلى معنى يشبه التقصر
البلاغى ، كما في قول الشاعر :

وحقك أنت المنى والطلب
وأنت المراد وأنت الأرب

أى الذى لا منى غيره ولا طاب سواه
ولا مراد من دونه ولا أرب إلا هو .

وقد يوصل بالموصول (اسميا كان أم
حرفيا) إلى معنى الشرط . وآية ذلك
ما عرفه في النحو من باب الإخبار بالذى
والألف واللام ، وما يتحتم في الخبر عندئذ
من الاقتراح بالفاء في المواضع داتها
التي يقترن جواب الشرط فيها بالفاء .

ومن ذلك قوله تعالى : « والذين كفروا
فتعسأ لهم » (محمد ٨) وقوله : « والرائية
والزاني فاجلدوا » (للنور ٢) وفي هذا
دليل على أن الجملة الاسمية هنا تشرى
معنى الشرط ، أى أن المعنى (من كفروا
فتعسأ لهم) ، وكذلك (من رنت ومن زنى فاحلدوا)
وكذا يؤدى الموصول إلى التعميم أو التعظيم
أو التحقير . فمن قصد التعميم بالموصول :

تعر فلا شىء على الأرض باقيا
ولا ورر مما قضى الله واقيا

أى من أى قصاء فصاه الله ومن التعظيم
الضاربون الكباش يبرق بيصه
ضربا يطيح له سان المفصل

من التحقير قوله تعالى : « والذي قال
لوالديه أف لكما » (الأحقاف ١٧) .

ومن استعمال النية استعمالاً عدولياً
« الترخيم » في باب النداء ، وهو في معناه
الأعم من قبيل الحذف سواء على لغة من
من ينتظر أم على لغة لا ينتظر . وقد غنى
النحاة . شرح هذه الظاهرة مما يعرض
للمنى أكثر عن عنايتهم مما يعرض للمعنى .
والذى يبدو لى أن الغاية من الترخيم هي
التمايح أو التدليل فهو شبه باختصارنا
نطق أسماء أبنائنا في الوقت الحاضر وهذا
هو المعنى المولد .

٢ - الإعراب :

يتمثل العدول الأساوبى الفنى عن
الإعراب في صورة مناسبة صوتية
بين الكلمتين المتجاورتين ، تستحق
كل منهما إعراباً يختلف عن إعراب الأخرى
ولكن صاحب النص يجعل حركته آخرهما
واحدة ، إذ يحتفل بالجرس أكثر من احتفاله
بالقاعده والمحاة يسمون ذلك « إعراب
الحوار » إلا إذا تمكنوا من تأويله إلى
قياس آخر متكافئ في أغاب الأحيان .
قالت العرب : « جحر صب خرب »
بحر « خرب » «نسب النحاة ذلك
إلى إعراب الحوار ، وقال ابن جنى
إن هذا من قبيل النعت السببى الذى حذف
ممه فاعل الصمه المشبهة « خرب » وقدره

« جحر صب خرب جحره » ، فأفرغ
الشاهد من مضمونه النحوى بل ربما أفرغه
أيضاً من مضمونه الدلالى أيضاً لكن
ماذا عسى أن تبلغ رغبة ابن جنى في
التأويل في قراءة « عاليهم ثياب سندس
خضر » (الدهر ٢١) بحر « خضر »
لحوارها للسندس . وكيف يؤول قول
امرىء القيس :

كأن ثبيراً في عرائن وبله
كبير أناس في يجاد مزمل
بحر « مزمل » بسبب مجاورة البجاد .
لكن هذه المناسبة لا تأتى مع البحر في
جميع الحالات بل قد تتعدى ذلك إلى النصب
أيضاً بدليل : « إن هذان لساحران »
(طه ٦٢) ، وقول الشاعر .

إن أباهما وأبا أباهما

قد بلغا في المحمد غايتها

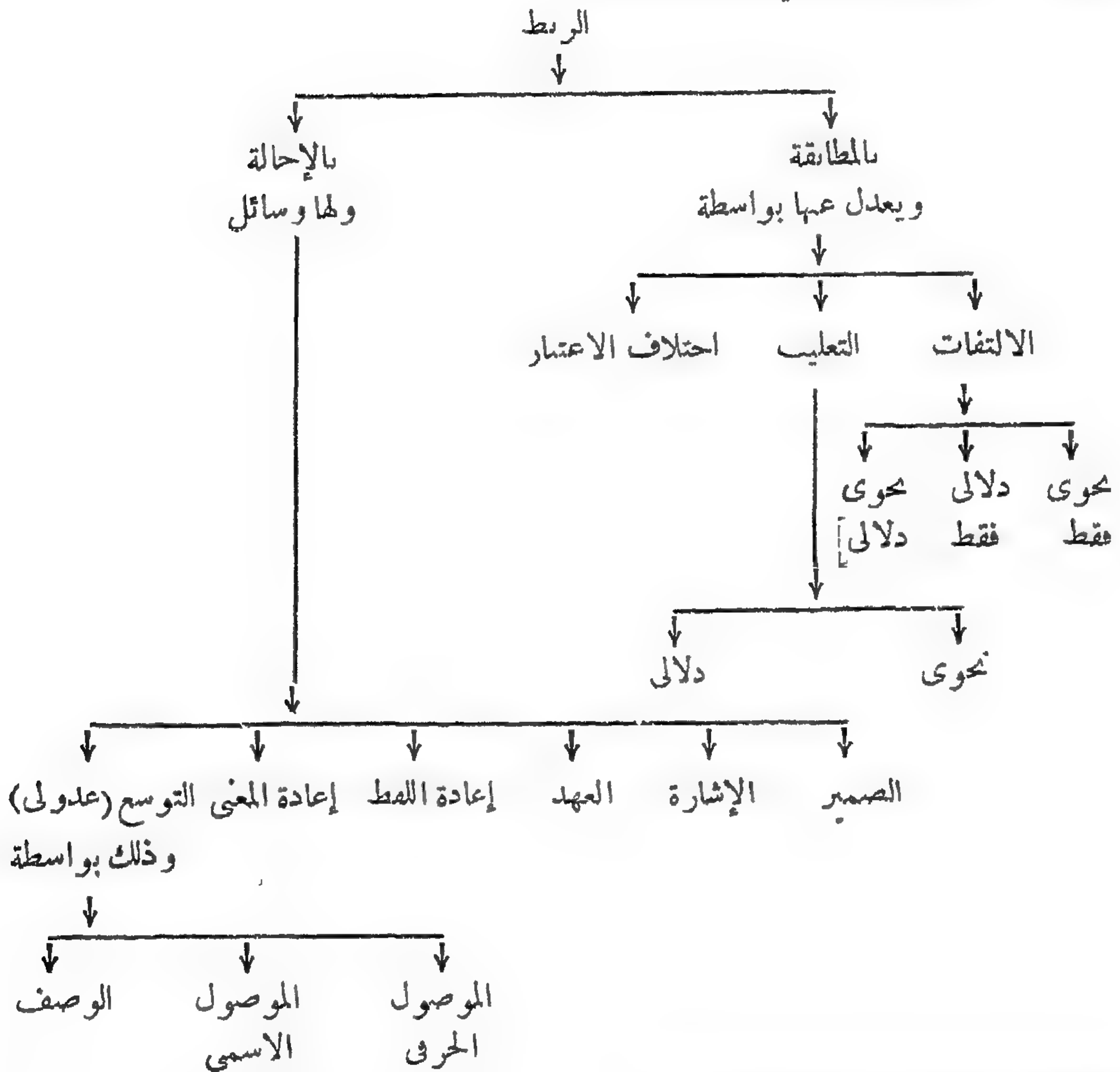
ولعل تجاور القوافى هو الذى جعل المرزوق
يفضل جرس القافية على اطراد القاعدة
في قوله .

وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال إلا - مسحتا أو مجلف
كل أولئك يعود إلى أصل واحد هو المناسبة
الصوتية التى تعد إجراء عدولياً فنيا عن
قرينة الإعراب .

* * *

الربط ٣ - الربط .
 الربط نوعان . ربط بالمطابقة ، وربط
 بالإحالة ولكل من النوعين طرق للعدول
 الربط
 ↓
 بالمطابقة
 ويعدل عنها بواسطة
 ↓
 الالتفات
 ↓
 التحليل
 ↓
 اختلاف الاعتبار
 ↓
 نحوي
 ↓
 دلالي
 ↓
 الصميم
 ↓
 الإشارة
 ↓
 العهد
 ↓
 إعادة اللفظ
 ↓
 إعادة المعنى التوسع (عدولي)
 وذلك بواسطة
 ↓
 الموصول الحرفي
 ↓
 الموصول الاسمي
 ↓
 الوصف
 (البقرة ٤٧) تم تأتي ظروف الرمان بعد
 ذلك متعلقه بلفظ « اذكروا » الذي في
 هذه الآية على النحو التالي .
 « وإد يحياكم من آل فرعون » « البقرة
 ٤٩ »
 « وإد فرقنا بكم البحر » (٥٠) .
 « وإذ واعدنا موسى » (٥١)
 « وإد آتينا موسى الكتاب » (٥٣)

الربط نوعان . ربط بالمطابقة ، وربط
 بالإحالة ولكل من النوعين طرق للعدول



فالانتماءات النحوي فقط (أي الذي يختلف معه
 الصميم والمندلول واحد) كقوله تعالى
 « وأرسلنا من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا
 من نبات شتى » (طه ٥٣) ، فالمندلول والمخرج
 هو الله تعالى وإن اختلف الصميم بين الغيبة
 والتكليم . وأما الدلالي فقط مع اتحاد صورة
 الصميم ، فذلك كقوله تعالى مخاطب بي
 إسرائيل : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي
 التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين »

« وإد قال موسى لقومه » (٥٤)

« وإد فأم يا موسى » (٥٥)

« وإد ولما ادخلوا » (٥٨)

« وإد استسقى موسى » (٦٠)

« وإد فآتم يا موسى لن بصير » (٦١)

« وإد أحدا ميتا فكم » (٦٣)

« وإد قال موسى لقومه » (٦٧)

تم يلتفت النص دلاليا لاحتويا (بسبب اتحاد صورته الصمير) فيقول للنبي والمؤمنين « اعتطمعون أن يؤمنوا لكم » (النقرة ٧٥) وأما الالتفات الذي يتحقق له الحابيان المحوى والدلالي، فمحو قوله تعالى « فإن لم تعملوا ولن تعملوا فانتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وسر الذين آمنوا » (النقرة ٢٤ - ٢٥) والصمير في « تعملوا » الناس الذين ناداهم في الآية (٢١) ، والصمير في « بشر » للنبي صلى الله عليه وسلم ، فاختلف الصمير والمندلول معا

والتعاب أيضا قد يكون محويا وقد يكون دلاليا وقد اجتماعا في قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » ، « الإسراء ٢٣ » فالتعب دلالي في لفظ (الوالدين) لأن الأب لا يلد كما تلد الأم . وهو حوى في « أحدهما أو كلاهما » لأن

الذي يناسب الاثنتين هو إحداهما أو كلاهما . ولكن الآية علبت المذكر على المؤنث وقد غلبت في أولها المؤنث على المذكر وأما اختلاف الاعتبار فيتضح في قول النحاة واللغويين « قالت العرب » ، أو « العرب تقول » ، ثم قولهم في مكان آخر « قال العرب » أو « العرب يقولون » . فاختلف اعتبار العرب بين الجماعة والجمع ذلك ما يعرض للمطابقة من عدول في أسلوب عن الأصل . ويأتي بعد ذلك ما يعرض للربط بالإحالة ، أي بالإشارة إلى مذكور حقه أن يسبق ما يخيل إليه

ولا شك أن الأصل في الإحالة أن تكون تكرار ، اللفظ ، وكل ما عدا ذلك إنما هو كناية عنه أو بديل منه وتكون الكناية صميرا أو إشارة أو أداة تعريف للعهد أو إعادة للمعنى بلفظ آخر الج ومع أن هذه الكنايات قد أشار إليها النحاة بحسن أن تشير إلى كل منها إشارة محملة مع شاهد نسوقه لها أو شاهدين ، لنصل من بعد ذلك إلى موضوع كلامنا وهو مظهر العدول عن الربط بالإحالة وهو الذي أطلقنا عليه « التوسع » بأقسامه المختلفة

قلنا إنه يستعنى بالصمير عن إعادة اللفظ ولكن الإصهار تحف به الشروط التي إذا لم تتحقق فلا بد من العودة إلى الإظهار الذي هو الأصل . إيهما سرطان أولهما مطابقة اللفظ ، وتانيهما مطابقة المندلول .

وإذا تخلف أحدهما لم يصبح الإضمار .
فقد يتحد اللفظ ويختلف المقصود ، نحو
قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » (آل
عمران ٢٦) فالملك الأول ملكوت الله
والملك الثاني آتاه الله لمن شاء وأما الملك
الثالث فقد نزعه من شخص آخر غير
الذي رضى عنه فآتاه ملكا . وهذه الملاحظة
صادقة أيضاً على تكرار لفظ « من تشاء »
إذ المدلول مختلف في الحالة الأولى عنه
في الثانية . وهكذا لا يتأتى الإضمار
وقد يتحد القصد ويختلف اللفظ لغرض بياني ،
وإذا لا يمكن الإضمار . وهذه قضية ستجرى
مناقشتها بعد قليل عند الكلام عن التوسع .
أما إذا اختلف اللفظ والقصد كلاهما ، فواضح
أنه لا يدعو داع إلى الإضمار ويصبح الإضمار
أمراً يأباه المعنى .

وقد يستغنى بالإشارة عن إعادة اللفظ
كما في قوله : « ولباس التقوى ذلك خير
(الأعراف ٢٦) (واللباس هنا مصدر
لابس يلبس) ، وقد يستغنى عن إعادة
بإستبدال (ال) بالإضافة نحو « وأما من
حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى
فان الجنة هى المأوى » (المرعات ٤٠)
أى مأواه وأما الربط بإعادة المعنى دون
اللفظ فيشهد له قوله تعالى : « دعواهم
فيها سبحانه اللهم وتحتهم فيها سلام
(يونس ١٠) .

يصل الآن إلى التوسع ، وهو شائع
في الأسلوب القرآنى ، قليل في غيره .
من ذلك الربط بأل الموصولة (وهى غير
أل العهدية التى سبق ذكرها) ، وذلك
كما في قوله تعالى : « قد نعلم إنه ليحزنك
الذى يقولون ، فاهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يحجدون » (الأبعاد
٣٣) أى ولكنهم ، وكذلك . « وقال
الذين كفروا لرسولهم لمخرجكم من أرضنا
أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم
لنهلك الظالمين » (إبراهيم ١٣) ، ومثله
« يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
للمجرمين » (المرقا ٢٢) وكذلك
« وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين »
(الشعراء ١٧٣) أى مطرهم .

ومن ذلك أيضاً الربط بالموصول الاسمى
وهو من وما والذى الح ، فمن ذلك قوله
« قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم
بمن فيها » (العنكبوت ٣٢) أى به ،
وكذلك « إن الدين آموا وعملوا الصالحات
إنا لا نصيب أحمر من أحسن عملا » (الكهف
٣٠) أى أحمرهم . ومثله . « ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى » (النساء
١١٥) أى نوله شقاقه وكذلك . « وضرب
الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتها
رقبها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما

كانوا يصنعون » (النحل ١١٢) أى بكفرهم وهذه الأخيرة تحتل المصدرية أيضاً . ومن الربط بالوصول الاسمى « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » (الأنعام ٧) أى لقالوا ، وكذلك . « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين » (يونس ٤٥) أى قد خسروا وكذلك . « ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون » (الأنعام ٢٢) أى ثم نقول لهم ومن الاستعمال العدولى فى الربط مما يقع فى نطاق التوسع فيه أن يتم الربط بالوصف كما فى قوله تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والدين كهروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » أى فقاتلوهم وكذلك . « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعموا فى ديبكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » (التوبة ١٢) أى فقاتلوهم ، وأيضاً : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم ويصبركم عليهم ويشف صدور أقوم مؤمنين » (التوبة ١٤) أى ويشف قلوبكم .

* * *

٤ - الرتبة .

فى المحو العربى نوعان من الرتبة ، أحدهما الرتبة المحموظة وتأتيهما الرتبة غير المحموظة

وأما المحموظة فلا يتناولها الاستعمال العدولى إذ لا سبيل إلى قبول تشويشها واحتسابه بين صور الاختيار الأسلوبى . فإذا ورد ما يظهر معه تشويش الرتبة المحموظة فإن ذلك يعد من قبيل الترخيص (وسياق بيانه) وليس من قبيل الأسلوب العدولى . ولهذا النوع من تشويش الرتبة المحموظة شواهد من القرآن الشعر ، كقوله تعالى « ويصنع الفلك وكأما مر عليه ملا من قومه سحرُوا منه » (هود ٣٨) أى سحرُوا منه وهو يصنع الفلك . وكذلك قوله تعالى « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه » (هود ٤٢) أى ونادى نوح ابنه وهى تجرى بهم . ومنه قول الشاعر :

ألا يا نخلة فى ذات عرق

عليك ورحمة الله السلام

أى عليك السلام ورحمة الله . فكل ذلك من قبيل الترخيص عند أمن الابس ، أى التصرف فى القاعدة عند التأكد من وضوح المعنى . وما دام تشويش الرتبة المحموظة لا يعد أسلوباً واختياراً فلا دخل للدراسات البلاغية ولا الأسلوبية به ، لأنه ترخص كما سبق والرخصة مرهونة بمحاها لا تعداه ولا يقاس عاها .

أما الرتبة غير المحموظة فهى التى تسمح بالاختيار الأسلوبى تقدماً وتأخيراً ، وكل جهود البلاغيين فى هذا المجال محصورة فى نطاق الرتبة غير المحموظة . وليس كون الرتبة غير محموظة أنه لا رتبة ، كما أنه ليس معناه

عدم حفظها إذا طرأ عليها ما يدعو إلى حفظها
 فإما يجب تقديم المبتدأ أحياناً ، فتتحول
 رتبته غير المحفوظة إلى وجوب الحفظ وذلك
 أن يكون المبتدأ متلاماً له الصدارة ، أو أن
 يكون الخبر محصوراً بالجملة . وفي أحيان أخرى
 يعرض ما يوجب تقديم الخبر وحتى حين
 يجب تقديمه لابد من النظر إليه مع حسانه
 مقدماً من تأخير « وأن أصابه أن يتأخر
 ومعنى ذلك أن القول بحرية الرتبة أمر سى
 يصدق عند عدم العارض فإذا لم يعرض
 موجب لحفظها أو ما نفع منه . دحلب في طاق
 الاختيار الأسلوبى فيقدم المتكلم أى
 العنصرين أبلغ أثراً عند التقديم وأكماً في تليغ
 ظلال المعنى المطلوب تليغه والتقديم
 والتأخير إما أن يكون مرتبطاً بعادة تركيبية
 خاصة تمكنت من المتكلم ، وإما أن يكون
 اختياراً متعمداً لإحدى طريقتين صحيحتين
 من حيث النحو ، متفاوتتين من حيث الإحصاء
 ممكنون المعنى فإذا كان التقديم عادة كان
 مجال دراسته كل ما أنشأه الأديب . وإن كان
 اختياراً كان مجال دراسته الموضوع الذى وقع
 فيه الاختيار الأسلوبى المعبر

٥ - التمام

الجملة العربية نمط ترتبط فيه الكلمات
 بعضها مع بعض بنسب وأصول معينة منها
 (أ) الذكر فالأصل في كل كلمة في
 الجملة أن تكون مذكورة بحيث يعده استتارها
 أو حذفها على غير الأصل

(١) هذه عبارته وليست الآلة الكريمة التى تقول

* صحر عليهم السقف من فوقهم *

(ب) الوصل . فالأصل في الكلمتين
 المترابطتين في داخل الجملة أن تتحاورا
 بلا فاصل ، والفصل بينهما على خلاف الأصل
 (ح) الوطيفة . والمقصود أن كل كلمة
 في الجملة يباط بها أداء وظيفته سياقية خاصة
 فإذا وجد في الجملة ما لا تناط به وظيفته نحويه
 يعينها وذلك على خلاف الأصل أيضاً

(د) الكفاية فالأصل في كل كلمة
 سبقت لبيان معنى ما أن تكون كافية لأداء
 هذا المعنى

(هـ) الاختصاص وهو رابطة سياقية
 تربط بين الكلمة وما تدخل عليه سواء
 أكانت الكلمة تركيبية كالحروف والأدوات
 والضمائر الخ ، أو معجمية كالكلمات المفردة
 فهذه الكلمات المردة تفتطمح حقول معجمية
 تجعل بعضها صالحاً للورود مع بعض الكلمات
 الأخرى دون بعض . انظر مثلاً عبارته (محر
 عليهم السقف من تحتهم) (١) .

هذا هو الأصل ولو التزم الاستعمال به
 لصحح أن يسميه « الاستعمال الأصولى » ولكن
 القرائن بأنواعها قد تعي بين حين وآخر عن
 استصحاب هذا الأصل ، فيجعل الحذف
 بديلاً للذكر ، ويجعل المصطلح أو الاعتراض
 بديلاً للوصل ، ويجعل الزيادة بديلاً للوظيفة
 ويجعل تجاهل الاختصاص بديلاً من مراعاته
 وسبحان من يحاول أن يعرض باختصار للحذف
 ثم الزيادة ثم المصطلح ، ثم الاعتراض ثم تجاهل
 الاختصاص

(أ) الحذف :

الحذف عدول عن الذكر ، وشرطه أن يقوم دليل على المحذوف ، أو بعبارة أخرى أن يتم الحذف مع وجود القرينة الدالة على المعنى وقد يقسمون الحذف إلى نحوي تقتضي بتقدير المحذوف فيه أصول الصناعة ، وبياني يستقيم بتقديره المعنى ويهمل بدون تقديره السياق . وكلا النوعين وارد عند التفكير في الأسلوب العدولي . ثم إن المحذوف قد يكون حرها ، أو كلمة ، أو شطر جملة ، أو جملة ، أو كلاما متصلا طويلا لا يستقيم المعنى إلا بتقديره وسأأتى لكل نوع من هذا بشاهد أو أكثر . مع المحافظة على عدم الإطالة

فمن حذف الحرف ما تجده في قوله تعالى « ولا على الدين إذا ما أتوك لتحميهم قلت لا أجد ما أحملكم عايه تولوا واعينهم تميص من الدمع حزنا ألا نحدوا ما ينفقون » (التوبة ٩٢) فهناك حرف عطف محذوف هو القاء ، إما إن تعطف « قلت » على « أتوك » فيكون الجواب « تولوا » . وإما إن تعطف « تولوا » على « قلت » فيكون الجواب « قلت » ولا مناص من تقدير القاء إذ تقتضي به أصول الصناعة

ومن حذف الكلمة ما في قوله تعالى « وحملناه على ذات ألواح ودسر » (القمر ١٣) ، وسوغ الحذف أن النصفة خاصة بالمحذوف ، إذ لا يوصف بهذه الصفة إلا السعوية ، أصف إلى ذلك دلالة « وحملناه »

« تجرى بأعيننا » ، وغود الضمير إلى نوع ، وقصته مذكورة قبل هذا الشاهد

وأما حذف شطر الجملة فله ما في قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتبنهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » (يس ٤٥ - ٤٦) والمحذوف جواب « إذا » وتقديره « أعرضوا » ودليله قوله « إلا كانوا عنها معرضين » .

وأما حذف كلام طويل يقتضيه المقام فنحده في قوله تعالى : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب إلى مما يدعوني إليه » (يوسف ٣٢ - ٣٣) أي وطل على استعصامه ولم يفعل ما أمرته به فهدوا أمرها فيه وأرسلوه إلى السجن فلم يرجعه ذلك عن الاستعصام ، قال رب السجن أحب إلح . وهذا النوع الأخير من الحذف يكثر في القصص القرآني فيقع من القصة موقع الحركة على المسرح من الحوار فتستعي القصة عن تمصياها كما يستغنى الحوار على المسرح عن تفاصيل حركات الممثلين ، وتقوم الفرائض في القصص القرآني مقام عين المشاهد في المسرح : هذه تعين على فهم معنى الحذف ، ونلك تعين على مشاهدته الحركة المسرحية .

(ب) الزيادة

يسعى النحو إلى الكشف عن وظائف عناصر الجملة (المفردات) ، وتسعى

البلاغة إلى إيضاح دلالات الجمل،^٦ فضالة النحو المعنى الوظيفي، وضالة البلاغة المعنى الاجتماعي أو المعنى العام. فاذا صادف النحو في الجملة عنصراً ليس له وظيفة «نحوية» عده زائداً في الجملة مادام لا يمكن أن ينسب إلى إعراب معين، فيقال مثلاً: هذا فاعل أو هذا حال أو تمييز إلخ. وهذا الذي يعده النحويون زائداً لا يراه البلاغيون كذلك، وإنما ينسبون إلى وجوده زيادة في المعنى، لأن «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» كما يقولون. فالفرق بين «ما زيد قائم»، أو «ما زيد بقائم» أن الثانية أؤكد من الأولى بسبب وجود الباء. وفيما يلي شاهدان على زيادة الحرف لتأكيد المعنى مأخوذان من القرآن الأول قوله تعالى: «وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات» (فاطر ١٩ - ٢١) فقد زيد «لا» مع النور والحرور والأموات، وذلك لتأكيد المعنى والثاني قوله تعالى: «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً» (هود ٢٤) فالذي معنا في الآية هو شخصان لا أربعة بدليل قوله: «هل يستويان» ومعنى هذا أن الواو زيدت قبل الأصم وقبل السميع، وأن المعنى «مثل الفريقين كالأعمى الأصم والبصير السميع» والواو زائدتان للتأكيد وبيان قصور أول الرجلين

لكونه بعاهتين تم تفوق الثاني لخلوه منهما ولو ضعه في مقابل الأول دى العاهتين.

(ج) الفصل

الأصل في الكلام أن يكون متصلاً والوصل هو الأسلوب الأصولي الملتزم بالأطر النظرية العامة للغة. ويترتب على ذلك أن الفصل أساوب عدولي. وهو على نوعين: أحدهما نحوي والثاني بلاغي وأما النحوي فيفهم في حدود الجملة الواحدة من حيث حيلولته بين عنصرين متلازمين في الجملة أن يتصل أحدهما بالآخر وقد يكون بأحبي أو بغير أحبي والفصل بأحبي ممجوح مستثقل وهو موضع سخط المحاة كقول الشاعر:

سراة بنى أبي بكر تسامى

على - كان - المسومة العراب

فصل بين الجار والمجرور بما ليس من تنمة معناهما أما الفصل بغير أحبي فهو اختيار أسلوبى يعد مسرحاً من مسارح الإحسان والإجادة ومنه قوله تعالى

«يوم يأتي بعض آيات ربك لا يدفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» (الأنعام ١٥٨) إذ جاء الفصل بالفاعل بين المفعول وصفته الجملة فلو قدم الفاعل لعاد الصمير على متأخر لفظاً ورتبة، ولو أخره عن الصفة لطلال الكلام بين الفعل وفاعله المفرد، ومن ثم يندر موضع الفاعل قلماً غير وثيق الصاه

بالفعل . أما الحلف بمعناه البلاغى فيكون بين الحملتين اللتين بينهما تمام الانقطاع كما يقول البلاغيون ، كما يكون في مواطن انفعال المتكلم بالخوف أو العصب أو نحوهما فتمام الانقطاع كأن تقول . ما أحسن الدين والدينا إذا اجتماعا ، اللهم اجمعهما لنا فالأولى تعجب والثانية دعاء ولا يكون بينهما عطف . وأما المصطلح في موافق الانفعال فالشواهد المرآية عليه كثيرة منها

« ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم ترعون ؟ » قال الدين حق عابهم المول ربما — هؤلاء الدين أعوينا — أعويناهم كما عويناه — تبرأنا إليك — ما كانوا إيانا يعبدون » (القصص ٦٣) « مساوا بين الحمل نخوف العقاب

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قات للناس اتحدوني وأمى إلهي من دون الله قال سبحانه — ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق — إن كنت فاتة فقد عامته — تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك — إناك أنت علام الغيوب » (المائدة ١١٦) « وصل لدفع التهمة » (فاما ألقوا قال موسى : ما حثمت به السحر — إن الله سيطلعني — إن الله لا يصاح عمل المسكين » (يونس ٨١) « وصل للدهشة وحرف المشغل .

« وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن ذنبه — قد شعبيها حبا —

ينا لثراها في ضلال مبين » (يوسف ٣٠) فصالح للانعزال بمشقة الغيبة .

« ويدبر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً . ما ليهم به من علم ولا آباءهم — كبريت كلمه تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » (الكهف ٤ ٥) فصل لإظهار الغضب من إفكهم وبتهم . (د) الاعتراض :

الفرد بين الفصل بين المتلازمين وبين الاعتراض . أن الفصل يكون بما دون الجملة ولا يكون الاعتراض إلا بالجملة والجملة المعتزلة غرضه في العبادة عن السماء الأولى للكلام ، حتى لها لغرض من أغراض المعنى . والاعتراض كالفصل من حيث يرمى كلاهما إلى الأسلوب العدولي . وفيما يلي طائفة من شواهد الاعتراض ، نسوقها طاماً لإدراك العايد التي برمي كل اعتراض إليها . قال تعالى : « تأيها الذين آمنوا لا تدخاوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه (ولكن إذا دعتم فادخاوا فإذا طعمتم فانتسروا) ولا مستأنسين لحديث » (الأحزاب ٥٣) « يحري القول في الآيه » « غير ناظرين إياه ولا مستأنسين لحديث » ، ولأن الاعتراض جاء المخفف وطأه النبي وبيان مداه .

وقال تعالى : « ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكذبهم فيلقاها خائبين (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » (آل عمران ١٢٧ - ١٢٨) ، فمجرى القول في الآية « ليقطع طرفا . . . أو يكذبهم . . . أو يتوب عليهم » ، والاعتراض لبيان أن كل شيء يصيب الذين كفروا إنما هو بإرادة الله فقط .

وقال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائكم اللائي دخلتم بهن (وإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد ساف إن الله عفو رحيم » (النساء ٣٣) فمجرى القول في الآية

« وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائكم اللائي دخلتم بهن . . . وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ، وإنما جاء الاعتراض لعدم كفاية مفهوم المخالفة المستفاد من قوله « اللائي دخلتم بهن » فأكد الاعتراض هذا المفهوم .

بأنه يتضح أن تحقيق معنى إصافي بواسطة الاعتراض مطلب في جعل الاعتراض أسلوباً عدولياً ذا عايات أدبية .

(هـ) تجاهل الاختصاص :

سبق الإشارة إلى دور الاختصاص في إطار قرينة التصام . كما سبق القول

(١) هذه عبارة وليست الآلة الكريمة

فخر عليهم السقف من فوقهم *

بأن للاختصاص حاسماً معجمياً أيضاً يتمثل في أن كلمات المعجم قنائل يتألف مع بعض ويكرر بعضها آخر فلا يتألف معه لما بين معنى هذا البعض وذاك من تعارض . وضرباً لذلك مثلاً بعبارة « فخر عليهم السقف من تحتهم » (١) .

والمقصود بالاختصاص السحوى أن بعض الكلمات لا يرد إلا مع ما تتحقق فيه شروط خاصة من الكلمات الأخرى ، وتشيع ظاهرة الاختصاص بين الحروف والأدوات حتى إنها تتحول في بعض الحالات إلى افتقار متأصل (أى بحسب أصل الوضع) إلى عنصر لغوي ذي شروط خاصة بعيها وحروف الحرتدخل على الأسماء دون الأفعال ، وحروف الحزم تدخل على الأفعال المصارعة دون بقية الأفعال ودون الأسماء ، وهام حراً

وقد يدعو داع في أسلوبى إلى تجاهل اختصاص الكلمة بأختها ، فتدخل على غير ما تختص به والمعروف أن هناك مطابقة بين الموصوف والصفة في التعريف والتنكير ولكن اختصاص المكرة بالمكرة فيجوز هل في عدة مواضع من القرآن ، منها . * « ألقيا في جهنم كل كفار عبيد مباح للحرير معتد مريب الذى جعل مع الله لها آخر » (ق ٢٤ - ٢٦) .

* « هذا ما توعدون لكل أبواب حميط من حشى الرحمن بالعيب وحاء بقاء ميب » (ق ٣٢ - ٣٣) ،

* « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون . . » (الحديد ٢٣-٢٤) ،

* « ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخذه » (الهمزة ١-٣) . فقد وصف الكفار في الآية الأولى « بالذي جعل » ، وصف الأبواب الثانية « بمن خشى » ، ووصف المختال في الثانية « بالدين » ، ووصف الهمزة في الرابعة « بالذي جمع » وقد سهل هذا أمران .

الأول . إضافة الكرة إلى لفظ « كل » في جميع الحالات

الثاني . وصف الكرة بالكرة قبل صيغها بالمعرفة في جميع الحالات أيضا .

وكلا الأمرين يفيد الكرة تخصيصا وقد سبق أن قلنا إن التخصيص صور التعريف .

وأما تجاهل الاختصاص المعجمي فلا يتم إلا مع استبدال العلاقة العرفية بين اللفظ والمعنى بعلاقة أخرى فنية كما سبقت الإشارة عند الكلام على مبدأ « النقل » ، فإذا تم التجاهل على هذه الصورة كانت النتيجة هي المحاز . ففي قوله تعالى « أولئك الذين اشتروا الصلالة بالهدى » تجاهل الاختصاص الشراء بالسلع وللتعارض بين الشراء والصلاة ، وقد يأتي المعنى هذا التجاهل

أحيانا كما في المثال الذي سبق في أول كلامنا عن هذه الظاهرة في عبارة « فخر عليهم السقف من تحتهم » ، وعندئذ يستعصى التركيب على الاستعمال .

* * *

نصل الآن إلى مبدأ الترحص في القرينة عند أمن اللبس . إن الإدراك الإنساني قد لا تنبهه القرينة الواحدة ، والطبيب لا يستطيع تحديد نوع المرض من ارتفاع الحرارة فقط ، لأن من طبيعة القرينة أن تدخل في تحالف مع عدد من القرائن الأخرى يختلف نوعه باختلاف المدلول . وهكذا إذا اصم إلى درجة الحرارة قرائن أخرى معينه دل مجموع القرائن على مرض ما وإذا اصممت إليها قرائن أخرى دلت القرائن في مجموعها على مرض آخر وكذلك لا تستقل العلامة الإعرابية ببيان الباب المحوى ولو سيقمت وحدها لبيانها لاختلاط الفاعل بمائبه وبالمبتدأ وبالخبر . وهكذا كل ما استحق الرفع من أبواب المحو ، ولاحتياط المعمول به بكل ما استحق المصب ، واختلاط المجرور بالحرف بكل ما استحق الحر . لا بد للمحو إذاً أن تتعدد قرائمه ليكون منها الإعراب والبنية والمطابقة والربط والرتبة والتصام والأداة ونغمة الكلام وسياق النص الح . ولا بد لكل باب نحوي أن يستدل عليه باثمين أو أكثر من هذه القرائن ، لأن القرينة الواحدة - كما سبق - لا يستحور على اتباعها

السامع ولذا يتم تعزيزها بأختها « أن تفصل
إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ». ويحدث
في الكثير من الحالات أن يتصاغر عدد من
القرائن على بيان المعنى ، وبعض هذه القرائن
قد يكون زياده على الضرورى منها ،
حتى يمكن القول في هذا البعض : « إن
المعنى هو الذى يقتضيه ولا يقتضى هو
المعنى » . وهذا القول واضح في إعراب
« قام موسى » إذ أن المعنى هو الذى اقتضى
الرفع مقدر بضمه ، ولا وجود للضم
حتى تقتضى هي الماعل يد وهكذا أمن اللبس
حتى مع عدم الرفع وقد تكون القريه موجوده
والتله في النص ولكن المعنى يقتضيه أيضاً
فتصبح رائده عن المطاوع كما في « قرأ
السامع ابداً » إذ الماعل واضح والمفعول
واضح بدون الضمه في الأول والتمتعه في
الثاني . هنا نقول إن المعنى اقتضى القريه
وليس القريه هي التي اقتضت المعنى
هاو ضمها الماعل وروها المفعول لطل الماعل
فاعلا والمفعول مفعولا على الرفع من ذلك
وقديماً رجعت العرب القرب ونصب المسار
في قولهم « حرق القرب المسار » دون أن
يختص اللبس في المعنى . هكذا ترخص العرب
في القريه

وكل فرسة مما ذكرنا سابقاً حصعت
لترخيص على ألسنة المصحاء ذوي الحايه

وأفصح الكلام كتاب الله تعالى ومن بعده
أحاديث النبي ﷺ تم شعر الحاهلين ثم من
بعدهم . وقد وردت طاهره الترخص في
القرائن عند أمن اللبس في كل هذه الأنواع
من الكلام على نحو ما مرى في الشواهد
التالية

١ - الإعراب .

(أ) قال تعالى

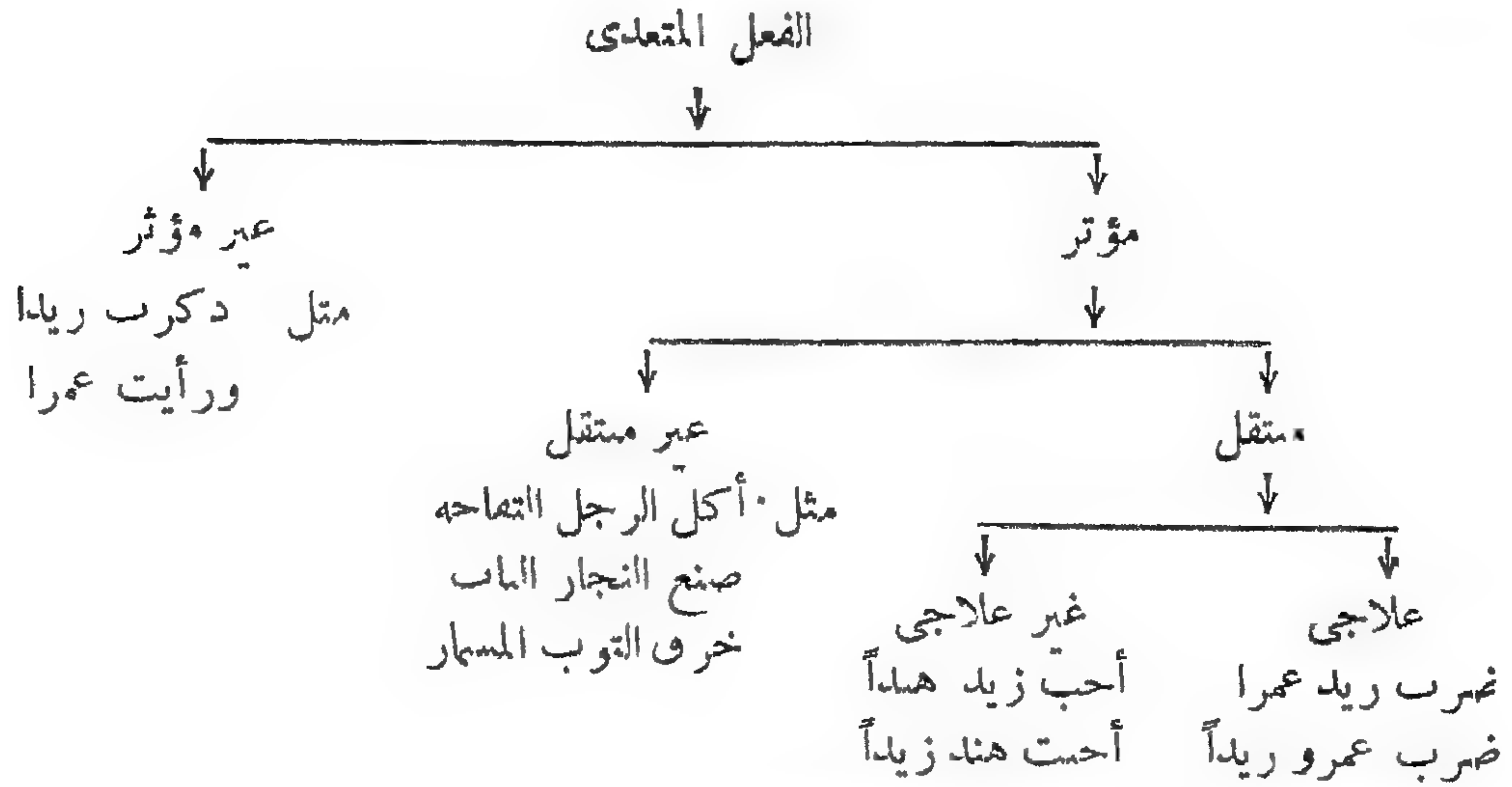
« لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما أمر إياك وما أمر من قبلك
والمطيعين الصلاة والمؤمنون الركاه والمؤمنون
بالله واليوم الآخر أولئك سيؤتيهم أجراً
عظيماً » (النساء ١٦٢) وقعت كلمة
المطيعين بين مؤمنين ومؤمنين
على العطف . وكان العطف مستنداً لترخص
في الإعراب .

(ب) قال الشاعر .

إذا اسود حبح الليل ولتأت ولتك
خطاك حمافاً إن حراساً أسداً
لو كان لدياً كما متا « حراساً » و « أسداً »
وأردنا بناء حميد اسميه لكانت « حراساً »
مستنداً لأنها معروفة . ولكانت « أسداً » خبراً
لما فيها من معنى الوصف ويؤيد ذلك أن
القاعدة تقتضي بأنه لا يمتص بين « إن »
واسمها إلا بحرف الظرف أو الحار والمجور
فإن إداً أن « حراساً » في بيت الشعر المذكور
هي اسم « إن » فلم يبق لكامة « أسداً » إلا أن
تكون خبراً مع الترخص في الإعراب بسبب
أمن اللبس .

يتبادلا التأثير بإيقاع الحدث . وبيان ذلك
كما يلي .

(ج) قالت العرب : « خرق الثوب
المسمار » . والمفعول « خرق » فعل غير
منتقل أى لا يمكن لمفعوله ومفعوله أن



وهما يتحدان الترخيص في الإعراب بسبب
أمن الابس

٢ - المليه .

ترخص القرآن في كلمة « سيناء »
فسمها « سيدى » وفي « إلباس » فقال .
« إلباسين » وحمل « ميكائيل » على صورة
« ميكال » و « مكه » صرّها « مكة » وترخص
في صيغ المبالغة فاستحدثت من الكبر
« كُباراً » ومن العجب « عجاب » وفي صيغة
المصدر فجعل « كيداً » مصدرًا للمفعول
« كذب » وفي صيغة المصارع من الافتعال
فقال « يهْدَى » و « يَحْصِمُونَ » إلخ . وترخص
الراحر في « الأهل » فقال « الحمد لله العلى
الأجل » ، وفي الحمام فقال : « أو العا مكة

وإذا كان الفعل غير منتقل اتضح الفاعل
من المفعول فأصبح لدينا فرينتان معويتان هما
الإسناد والتعدي وتعي كلتاها عندئذ عن
الإعراب إذا حدث فيه ترخص ويصح
الإعراب قرينة رائدة عن المطلوب إذا بقي
دون ترخص .

(د) قالت العرب أيضا « ححر
ضرب خرب » بحر الصفة « خرب » على
الحوار هما يعود مرة أخرى إلى
الاختصاص المعجمي وقائل الكلمات وليس
بين الضرب والخرب مناسبة معجمية كالتي
بين الححر والخرب أى أن الححر يمكن
أن يوصف بالخرب ولا يوصف به الضرب
وهكذا تصح المناسبة المعجمية (أو
الاختصاص المعجمي إن شئت) قريبه على
التبعية تجعل الإعراب أمراً غير دى بال .

من ورق الحمى » ، وترخص الشاعر في
« كيف » فقال :

كى تجنحون إلى سلم وما ثرت
قتلاكمو ولظى الهيجاء تستعر
وحسبك من القلادة ما أحاط بالعق .

* * *

٣ - الربط :

وهاك أمثلة وشواهد على الترخص في
الربط :

(أ) قال تعالى : « وإن أطمعتموهم لإيكم
لمشركون » (الأنعام ١٢١) ، حذف الفاء
الرابطية من جواب الشرط ، لوضوح المعنى
بدونها بقرينة إيمانهم وهو قرية خارجية ،
من خارج النص

(ب) قالوا : « مررت بالرقعيز بدرهم »
أى منه ، فحذف الرابط ترخصاً لاختصاص
البر والقميز أحدهما بالآخر . ولذلك
لا يجوز « مررت بالعدو اصبع على الزناد »
إذ لا يمكن الجزم بصاحب الاصبع : أهو
المار أم العدو ؟ .

(ج) قال تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزى
نفس عن نفس شيئاً » (البقرة ٤٨) أى هيه
حذف الرابط لوضوح المعنى بقرينة الجراء
وعدم التناصر وهما من خصائص يوم
القيامة .

٤ - المطابقة .

وهذه شواهد قرآنية على الترخص في
المطابقة .

(أ) قال تعالى . « هذان خصمان
اختصموا » (الحج ١٩)

(ب) قال تعالى . « وظلت أعناقهم لها
خاضعين » (الشعراء ٤)

(ح) قال تعالى . « وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا » (المحررات ٩)

(د) قال تعالى . « وهل أتاك نبأ الخصم
إذ تسورا المحراب » (ص ٢١)

(هـ) قال تعالى : « فتأتيا رعوون وقولا
لنا رسول رب العالمين » (الشعراء ١٦)

(و) قال تعالى . « قالتا أتينا طائعين »
(فصلت ١١)

(ز) قال تعالى . « السماء منهطر به ، كان
وعده مفعولا » (المزل ١٨)

* * *

ه - الرتبة .

سبق أن ذكرنا أن تشويش الرتبة
المحفوظة لا يمكن احتسابه أسلوباً عدولياً ،
ولما يعتبر ترخصاً في قرينة الرتبة ، بخلاف
تشويش الرتبة غير المحفوظة ، إذ يعد اختياراً
أسلوبياً فيما تنوّد عنه طلال المعاني ومن
شواهد الترخص في الرتبة المحفوظة ، ما سبق

من قوله تعالى : « ويصنع الفلك وكأما مر عليه ملاً من قومه سنخروا منه » (هود ٣٨) وذلك لأن جملة الحال رتبها التأخير في كل الحالات وتقدير الكلام . وكأما مر عليه ملاً من قومه وهو يصنع الفلك سنخروا منه . ومثله قوله تعالى . « وهي تجري بهم في موج كالحبال ونادى نوح ابنه » (هود ٤٢) أى ونادى نوح ابنه وهي تجري بهم في موج كالحبال . ومن ذلك قول الشاعر :

لعن الإله وزوجها معها

همد الهنود طويلة البظر

وقوله :

ألا يا نخلة في ذات عرق

عليك ورحمة الله السلام

* * *

٦ - التضام :

وهيما يلي شواهد على الترخص في قرينه التضام عند أمن اللبس .

(أ) « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف » (يوسف ٨٥) أى لا تفتأ ، وحذفت الأداة من فعل لا يستعمل إلا مقترنا بها ، ولذلك احتفظ بمعناه عند حذفها لأن الفعل اقتضى الأداة

(ب) قال صلى الله عليه وسلم « إن مما يثبت الربيع يقتل أو يلم » ، أى إن مما يثبت الربيع ما يقتل أو يلم بالقتل ، أى يكاد يقتل

ذلك أن « من » في قوله « مما » تفيد البعضية وهي لا يعبر عنها بالأفعال (مثل يقتل) بل بالأسماء والضمائر (مثل « ما » المقدرة) .

(ج) قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أى « لا أبرح » ويقال فيه ما قيل في « تفتأ » في رقم أ .

(د) قال الشاعر :

ما أنت بالحكم الترضى حكومتته

.. .. .

أى « الذى ترضى » لأن « ال » الموصولة لاتضام الأفعال وإنما تكون صلها صفة صريحة على حد قول ابن مالك . فعلم برغم ما قيل أن المقصود « الذى ترضى » .

(هـ) قال الشاعر :

ألا أيهذا الزاحري أحضر الوعى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

اعتمد الترخص على قرينتين : الأولى أنه لا يقال : زجره يفعل ، وإنما يقال زجره أن يفعل ، والثانية وجود أن مع الفعل المعطوف وهو « أن أشهد » مما يدل على وجوب تقديرها مع الأول .

(و) قال الشاعر :

نحن الأولى فاجمع جموعهم
عك ثم وجههم إلينا

أى نحن الأولى نتحدثك ، بقريته « اجمع
جموعك ثم وجههم إلينا »

ملبس فهو صواب ولئن صح أن تحتسب
الرخصة من قبيل الشاذ أو النادر أو
المسموع الذى يحفظ ولا يقاس عليه ،
لفد كان احتسابها كذلك أكرم للمصحاء ،
وأولى بما حثنا به من شواهد من النصوص
القرآنية

٢- أن هذا النوع من ترخيص المصحاء
هو مبع ما يطاق عاليا في عالم اللغة « الابتداء
في اللغة » أو « الابتكار اللغوي » . وهو
في بعض صورته يستهوى المجتمع ، فيصح
سبه في الكلام ، ويكون سببا في تطور
اللغة من عصر إلى عصر وربما كانت
الدورق إلى ما حظتها اليوم بين لغة القرون
الأولى واللغة العربية النصحى المعاصرة
ناشئة عن تأثير هذا النوع من الترخيص .
بل ربما جاءت عن ترسخ أخطاء دوى
الحياة . وهى أحوج إلى التبرير من ترخيص
المصحاء

والله ولى التوفيق :

تمام حسان

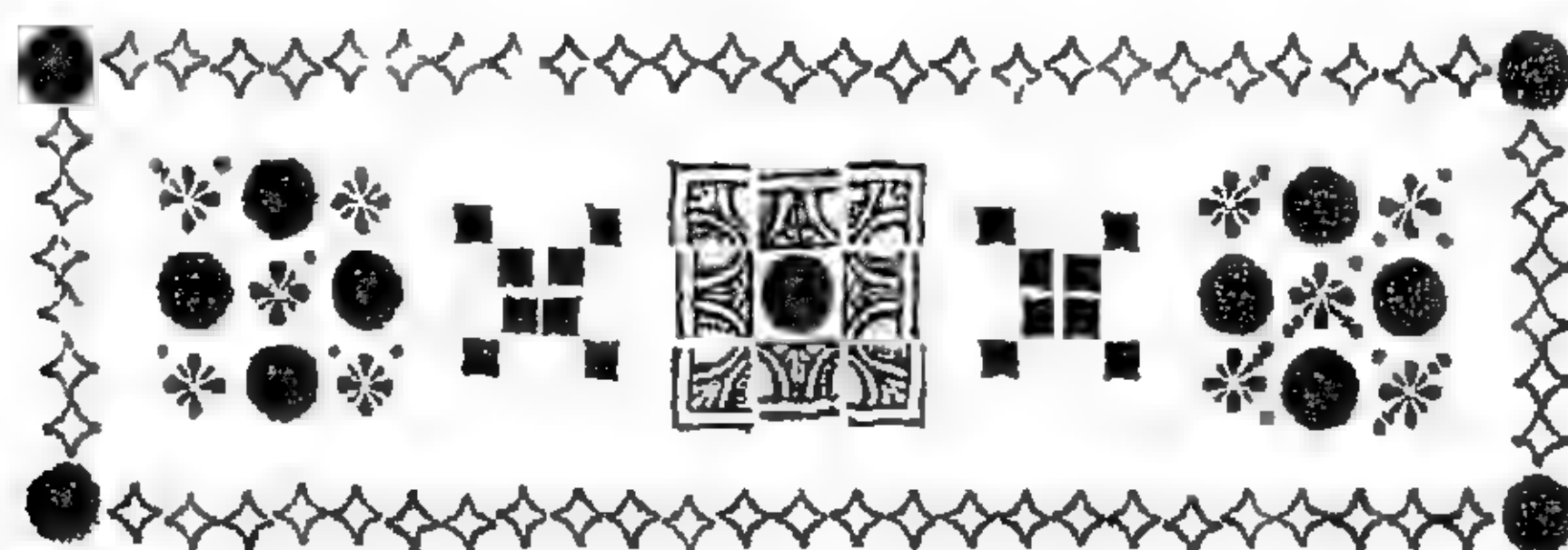
عصر المجمع

هذه للشواهد المتقدمة تدل على ترخيص
المصحاء في فرائض الكلام عند أمن اللبس
وطالبا للختم أو سعيا وراء الابتكار والإعراب
أو خصوصاً للصورة غير أن الترخيص
أدى درجاة الصواب لأنه يخالف القاعدة
والسبه المتبعة كاتيهما ، ولا يسمع اه إلا أن
اللبس معه مأهول .

ماذا يبقى بعد كل أولئك !

لا يبقى إلا الخطأ الواح الذى لا سب له
من قاعدة أو أسلوب أو أمن لبس وقد
جوز بعض المتعلمين الخطأ على المصحاء ،
وهو أمر عريب حقا لسببين

١- أن المصحيح إذا ترخص كان على
ثقة من أمن اللبس ، وإذا كان الكلام غير



بين لغة الأدب ولغة العلم

للدكتور توفيق الطويل

اللفظ

الفنية هي أداة التعبير
عن خصائص الأدب

كفن جميل ، والرياضة هي أداة
التعبير الوحيدة عن خصائص المعرفة العلمية
وبين الأدب والعلم فوارق ضخمة تصور
ما بينهما من تعارض يباع حد التوافق في
أكثر الحالات ، ويقتضيها المنهج العلمي أن
نستعمل حديثاً بتعريف ما نعصده بمفهوم
الأدب ومفهوم العلم .

مفهوم الأدب :

حين يرى الأديب مساهد الطبيعة وأحوال
الاجتماع وأحداث الحياة ، وحين يتأمل عبر
التاريخ ويستشعر بشائر المستقبل ، يتحول
كل هذا في نفسه إلى انطباعات تتمثل في
أحاسيس ووجدانات وخواطر ، يعبر عنها
في صور أدبية نثرية أو شعرية ، في لغة يحس
اختيار ألفاظها وتركيب جملتها ، ويصنف
عليها معاني ودلالات جديدة ، وجمال أدائه
يثير في نفس قارئه أو سامعه مشاعر وخواطر

تشيع فيه المبهمة والإمتاع ، ومن أجل أن
يحقق الأديب هذا ، يتيح لنفسه حين ينشئ
عباراته أن يقدم لفظاً ويؤخر لفظاً ، ويحذف
ثالثاً ويصيف رابعاً ، ويستخدم خياله الذي
يتجاوز المعاني الحقيقية للألفاظ ، إلى دلالات
جديدة ، ويزيد فيصطنع في تعبيراته الخبار
والتشبيه والاستعارة ونحوها ، مما يمكنه من
خلق صور أدبية يستعين بها على رسم
أحاسيسه وانفعالاته وحواطره في أوحاب قد
تمثل مطراً طبيعياً أو حراً بصياً أو مشهراً
من مشاهد الحياة ، وإن كان الدكتور طه حسين
يقول في كتابه «حافظ وشوقي» : «إن العقل
هو مصدر الإحادة الفنية ، وإليها إن كانت
أترا من آثار الشعور ، ومظهرها من مظاهر
الحس القوي . والعواطف الرقيقة ، والخيال
الحصب . فهي لغو إذا لم يستمد غذاءها
الحقيقي من العقل والعلم» .

والأديب بإحساسه بالإنماط اللاحقة وخصائصها
والعلاقات الحسية القائمة بين بعضها

(*) ألقى البحث في الجلسة الخامسة ٢ / ٥ / ١٩٨٥ م

وبعض ، وبقدرته على صياغة العبارات ورسم الصور ، وبموهبتة الفنية ورصيده الأدبي يستطيع أن يولد عند قارئه أحاسيس جديدة وصور طريفة ، ويشير في نفسه الإعجاب والإمتاع .

ولكل أديب أسلوبه ، أى طريقته في التعبير ، ويكون أسلوبه وليد موهبته الفنية وثقافته وتدوقه لاعة وطرقها في الأداء ، وهو يتأثر ببيئته وروح عصره والأدباء يختلفون في تركيب عباراتهم بين إيجاز وإسهاب ، وعموض وإيصاح ، وبساطة وإغراب ، وبسهولة وتعقيد ، وبسافر وجمال . ونحو هذا مما نراه كثيرا . ومرد الأمر في الأسلوب الأدبي إلى البلاءه ، وهى في تعريفها الشائع «مطابقة الكلام لمقتضى الحال» بل ذهب القدماء إلى القول بأن الأسلوب معناه العام هو «طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيصاح والتأثير ، أو الصرب من السطم والطريقة فيه كما قال عبد القاهر الجرحاني ت / ٤٧ هـ في دلائل الإعجاز

والأسلوب البليغ هو الذى يعبر بصدق عن شخصية صاحبه ، فالأسلوب هو الرجل أو الإنسان نفسه كما قال العالم الفرنسى

بوفون ١٧٨٨ G L. L. Buffon وقد شاعت قولته وأريد بها أن الأسلوب هو مرآة لشخصية الأديب (١) ومن هنا شاع القول بأن الأدب هو صدق التعبير الذى عن إحساس صادق لصاحبه وإن كان علينا أن نعرف أن الأديب لا يعبر دائما عن تجارب شخصية عاشها ، بل هو قادر بقوة خياله على أن يعيش أى تجربة إنسانية ويعبر عنها متخطيا زمانها ومكانها .

وكان أناتول فرنس ١٩٢٤ A. France يقول إن الأسلوب الأمثل في الأدب هو الأسلوب السهل الذى لا يكدر الدهن ، فللعلم علينا حق الانتباه والتأمل ، وليس للمعول ذلك الحق ، لأنها بطبيعتها تسر ولا تميد ، ووطيفتها أن تعجب ولا وطيعة لها غير ذلك ، فيحب أن تكون جذابة بغير شرط . .

يروى العقاد هذا الرأى في أحد مقالى له عن الأسلوب في «مراجعات في الآداب والمنون» ثم يناقش الرأى فيقول «إنما تمتدح السهولة في الأدب حين تدل على السوغ والمقدرة ، إذا أدى بها الأديب المعانى التى يؤديها غيره بمشقة وإعتساف... والصورة الخيالية والمعانى الذهنية هى الأصل في جمال الأساليب في الأدب والمنون .

(١) عالم ناث . قال في «خطبة في الأسلوب» محاضرة ألقاها في ٢٥ / ٨ / ١٧٥٣ أمام الأكاديمية الفرنسية ، وبص قولته هو الأسلوب هو الرجل نفسه . le Style est l'homme même.

ويقول طه حسين في الجزء الأول من حديث الأربعاء: إن الأديب عندى هو الذى يصنع أدبه ويعمله عملاً ، ويتبها له فيطيل التهيؤ ، ويفكر فيه فيمعن في التفكير ويتكلف لذلك من الجهد والمشقة ما يضمنه ويعينه . . . أما الشاعر الذى ينحت من صحر وهو الذى يعجبني ويرضيني لأنه لا يقول الشعر وإنما يعمل . . . ولأن الشعر لا يصدر عن طبعه وحده ، وإنما يصدر عن طبعه وعقائه وإرادته . »

هذه كلمة محمّاة خاطفة عن مفهوم الأدب ، فمادا نريد بمفهوم العلم ؟

مفهوم العلم :

يراد بالعلم في معناه الواسع الفضفاض أى فرع من فروع المعرفة البشرية يجرى على نهج ونظام ، ومنه علم الأدب ، أما بمعناه الاصطلاحي الصيق ، وهو ما نقصده في هذا الحديث ، فيراد به منذ أن ظهرت مناهج البحث العلمى الحديث في مطلع عصورنا الحديثة^(١) - يراد به العلم الطبيعي أى علم الفيزياء وما تفرع عنه من علوم تشاركه في مناهجه التجريبية . والعلم بهذا المعنى هو كل دراسة تتوافر فيها أربعة أركان ممتعة لا يغني بعضها عن بعض ، أولها منهج البحث الذى يتحتم أن

يكون تجريبيا استقرائيا يقوم على الملاحظة الحسية والتجربة العلميه ، إن كانت ممكنة ، والملاحظة توحيه للذهن والحواس إلى ظاهرة أو ظواهر حسية للكشف عن صفاتها وخصائصها ، توصل إلى كسب معرفة جديدة . والتجربة ملاحظة يتدخل أثناءها الباحث ليلاحظ الظاهرة في ظروف هياها وأعداها بإرادته ليدرس الظاهرة في الوقت الذى يريده ، وليحقق بذلك أغراضه ، وفي الحالين يستخدم آلات وأجهزة تعوض قصور الحواس . أما ثانى أركان المنهج فيتمتع عن أولها ، إذ طالما كان أول الأركان هو الاعتماد على الحواس في ملاحظة الظواهر ، فإن ذلك يستتبع أن يكون موضوع البحث جريئات محسوسة ، أى ظواهر طبيعیه أو وقائع جريئة في عالم الواقعي المحسوس ، فلا يجوز للعالم أن يتجاوزها في بحثه إلى دراسة ما وراء المحسوس من حقائق - كعالم الأرواح - أن يدرسها ويؤمن بها كإنسان أو مفكر أو فيلسوف وليس كعالم . وثالثها وهو أهم أركان العلم أن يتوصل العالم عن طريق دراسته التجريبية للوقائع الجريئة إلى وضع قانون عام يفسر الظاهرة التى يدرسها . يقول برترند رسل ١٩٧١ Bertrand Russell في كتابه . Scientific Gutlook إن العلم وإن كان يبدأ بدراسة الوقائع الجريئة

(١) وإن سبق إلى معرفته من العرب حابر بن حيان ت ٨١٣ أوالحسن بن الهيثم ت ١٠٢٩ م انظر كتابنا العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبى ص ٣٠ وما بعدها .

إلا أن معرفتنا التحريضية بهذه الوقائع لا تكفى لقيام العلم ، لأن العلم لا يستقيم إلا إذا اكتسبنا عن القوانين العامة التى تكون هذه الوقائع الجبرئية تطبيقاً لها ، ومن هنا كانت أهمية الواقعة الجبرئية تقوم فى أنها مجرد مثل يشهد بقانون من قوانين الطبيعة « وهذا الركن - وصح القوانين العامة - لا يتواءم فى رأينا فى الدراسات الإنسانية التى يرعم اليوم أصحابه أنها أصبحت اليوم علوماً ، مسرعة من العلوم العبرانية^(١) وإن كان هذا الرأى يغضب المشتغين بها من زملائنا .

ورابع الأركان - وهو لا يقل اليوم أهمية عن ثالثها - هو أن تترجم نتائج الدراسة العلمية (وهى القوانين) إلى رموز رياضية أى أرقام عددية ، فالعلم اليوم مولع بتحويل الكيمياء (وهى الصفات التى لا تقاس) إلى كميات عددية ، تحقيقاً للدقة والصبط ، ولهذا تأكد القول بأن لغة العلم الوحيدة هى الرياضة فلا عام إذا لم تقم دراسته على المياس أو الوزن ولهذا حولت الدراسات العلمية الضوء إلى طول الموجات وقصرها والصوت إلى سعة الذبذبة ، والحرارة إلى موجات حرارية ، واللون إلى موجات صوتية يحدتها . . . رهام حرا ، وذلك لإمكان قياس هذه الظواهر والتعبير عنها بأرقام

ومن تعريف الأدب وتعريف العلم على المحور السالف الذكر ، نستشف أن الخلاف بين لغة الأدب ولغة العلم هو خلاف تعارض قد يبلغ حد التناقض فى كثير من الحالات . وسعرض فيما يلى أهم وجوه الخلاف بين لغة الأدب ولغة العلم ، وقد حصرنا المهم منها فى سبعة مروق

١ - الجديد والقديم فى الأدب وفى العلم :

يستهدف العمل الأدبى إرضاء حساسية القارئ وإشباع ذوقه المسمى ، وإن روائع المقطوعات الأدبية شعراً ونثراً تعيش عصوراً طويلة حباً إلى حب ، والحديد منها لا يستعد قديمها ولا يقلل من روعته ، إن القطعة الأدبية الرائعة تعيش أبداً ولا تموت بمضى الزمان ، إن مقطوعات الشعراء وروائع الأدباء منذ أقدم العصور لا تزال حتى اليوم تثير عند قرائها أعظم مكانة الإعجاب ، ويقتن بها أصحاب الأدواق حتى من المحدثين والمعاصرين إن الأدب لا يغنى حاضره عن ماضيه ، لأن ماضيه ، يجرى أيضاً متجدداً مع كل أديب عبقرى فى كل عصر من عصور التاريخ ، يتشبع بهجة القارئ ويتبر متعة السامع ويهز المشاعر ويريح الأعصاب . وليس هذا هو الحال فى العلم . فنن الميسور والمألوف إعفال العلماء

(١) من بحث لما تحت عنوان إشكالية العلوم الاجتماعية أنها ليست علوماً ، وقد نوقش البحث فى ندوة علمية فى المركز القومى للدراسات الاجتماعية والحنائية بالقاهرة .

والناس لماضييه ، لأن تاريخ العلم مختلف عن العلم نفسه ، يقول «ليون روبان» L. Robin في كتابه : الفكر الإغريقي وأصول الروح العلمية^(١) . إن ماضي العلم هو الجزء الميت الفاني من المحاولات التي قام بها العلماء ابتغاء التوصل إلى الحقيقة ، أو هو الجهد الذي أدركه النسيان بعد أن بلغ أصحابه الغاية المطلوبة منه ، وهذا الماضي يشبع رغبة الطامع في التوسع في معرفه ولا يجاور هذا الحد ، وفي وسع دارس تاريخ العلم أن يصح بمعرفة النتائج التي انتهت إليها بحوث سابقيه من العلماء ، دون الرجوع إلى تطور التفكير الذي أسلم إليها ، ولهذا فإن العالم يبدأ بحوثه عادة من حيث انتهى سابقوه من العلماء ، ينظر إلى الأمام ولم يتلفت ورائه ، وقوانين العلم يلتقي عندها العلماء جميعا ، وإن تشب بين بعضهم والبعض ، يصدد أحدها ، بخلاف ، حسموا الخلاف بالرجوع إلى الواقع ، واستغناء التجربة ، وإذا كاث المقطوعة الأدبية تصدر عن صاحبها ، ولا تعرى إلى أحد غيره ، فإن قوانين العلم لا تنسب إلى أصحابها إلا على سبيل التاريخ ، لأنها ملك مشاع بين كل العلماء وجميع الناس .

٢ - ذائبة الأديب وموضوعية العالم :

واضح* مما أسلفنا أن الأدب عند صاحبه

مبدعاً ومتلقياً فوائده الذاتية الخالصة Subjectivity لأنه يصدر عن مشاعر صاحبه وانفعالاته وأخبايته وخواطره ، وأما العلم فلا قيام له بغير الالتزام في بحوثه بالموضوعية بقدر ما تسمح الطاقة البشرية ، وقد عبر «كلود برنار» Clau d Berner ١٨٧٨ عن هذه التفرقة بين المهجين بقوله . «المن أنا والعالم نحن» فالمظهر الطبيعي الواحد يصوره مجموعة من الشعراء في قصائد رائعة متباينة وبمقدار ما يكون بين بعضها والبعض من هوارق في تعبيراتها الأدبية وصورها الفنية ، يمكن أن تكون عصرية كل من أصحابها ، أما في حال العلم فإن الظاهرة الواحدة إذا عرض لدراستها مجموعة من العلماء ، انتهوا آخر المطاف بتأملها إلى نتائج واحدة ، لأن سبيلهم جميعا إلى دراستها هو الملاحظة الحسية التي تستهدف وصف الظاهرة وبيان خصائصها ، ثم إحراء التجربة التي يمكن تكرارها للثبت من صواب نتائج الدراسة ، فإن اختلاف أساليب بعضهم مع بعض ارتدوا إلى الواقع مرة أخرى واستمروا المحررة لتحسم أي خلاف يقوم بهذا الصدد .

ويراد بموضوعية البحث Objectivity

إمضاء الخبرة الذاتية لمعرفة الأشياء كما هي

(١) Leon Robin L'Esprit Scientifique Greek et les Origines de l'Esprit Scientifique Greek

نقله إلى الإنجليزية M. R. Dobie تحت عنوان

Thought the Gignes of th suentifie spirit

في الواقع، وليس كما يتمنى الباحث ويريد
أما الخبرة الذاتية فهي قوام الفنون، ومنها
الأدب، لأن صاحبها ينظر إلى الشيء من
خلال عواطفه وأحاسيسه وانفعالاته وأحيلته
فالفنون ابتداء ذهني تلقائي، والشخصية
الفردية في الفنون تحتفظ بذاتها على مر
الزمان.

٣ - صدق الأديب ونزاهة العالم :

إن نقاد الأدب المتميز شعراً أو نثراً
يجعلون معيار تقييمه هو صدق صاحبه في
التعبير الفني عن مشاعره وخواطره، ولا
يمسحون مجالاً للحديث عن إبعاد عواطفه
وميوله ورغباته في مجال إبداعه، لأنه لو فعل
هذا لعز عليه أن يكون أدبياً بينما الأمر على
نقيض هذا في حال العلم، فإن من أخص
خصائص العالم أن يكون نزيهاً، ويراد
بالنزاهة *disinterestedness* إماتة الذات
self-mortification أو تنحيه الذات وإبعادها
عن مجال البحث *self-elimination* أي طراح
الهوى والتزام الحيادة واستبعاد الاعتبارات
الشخصية وغير هذا مما ييسر للباحث الكشف
عن هدوه من غير عائق، فالعالم عليه

ألا يخضع بحثه لمصاحبة شخصية أو شهوة
فردية، أو عقيدة دينية أو نظرية علمية
أو فكرة قومية... إلى الحد الذي تنتفي
فيه أمانته في تقصى الحقيقة، بل عليه أن
يجرد نفسه من أهوائها ونرواتها وميوها
ما مكنته طبيعته البشرية من ذلك (١).

والنزاهة تقتضي إنكار الذات *self-denial or abnegation* والعروف عن استغلال العلم لتحقيق
مآرب شخصية، والعالم يظل فقيراً، بينما يثرى
أصحاب المصانع الذين يطبقون قوانينه،
لأنه اختار البحث والتأمل، وبالتالي أثر
الفقر...

ومن دلالات النزاهة أن العالم قد يتوحي
دعوة الآخرين إلى نقده وإثبات خطئه إن كان
قد ضل السبيل في بحوثه، هكذا فعل
باستير ١٨٩٥ L. Pasteur حين شجع
بوشيه Bouchet على أن يثبت صواب
نظرية التولد التلقائي *Spontaneous*
Generation التي كان باستير قد أثبت

خطأها، ومعنى هذا أن العالم يتقصد
روح القاضي النزيه، فيتجرد عن أهوائه
وميوله ورغباته ومصالحه ما أمكنه،
وينتظر في صبر حتى يعرف كل ظروف

(١) كان فلوغل J. Flugel مات منذ بضع سنين - صاحب A 100 years of Psychology وغيره
من إنتاج عرير - كان أستاذاً مساعداً لعلم النفس (Reader) بجامعة لندن، وحلأ كرسى أستاذ المادة ب مقام له
مرتجاً وحيداً، ولكن اللجة رأت أنه متعمس جداً لطريعات فرويد S. Freud إلى حد أنه يراد الحق كانه،
ويرى كل ما عداها باطلاً. وهذا يطعن في موضوعية بحوثه ودراسته كعالم، فحرمته من أن يكون رئيساً لقسم علم النفس

القصصية التي يتصدى للحكم فيها ، ويفحص كل الأدلة المؤيدة والمعارضة لها ، وكل هذا يقتضيه طاعة أخلاقية وذكاء ذهني ونزوعا نقديا لا يسهل توافره ، ولا سيما في العلوم الإنسانية التي تتخذ الحقائق البشرية موضوعا لدراستها ، والعالم الذي تعوره الراهة ، يكون موضع استخفاف واحتقار في دوائر العلماء (١)

٤ - وسيلة التعبير في الأدب وفي العلم :

لعمري الأدب أداة إثارة وتأثير وإقناع ، إنه يعبر عن مشاعره وخواطره في صور قيمة تثير في قارئه المتعة والراحة ، أما العلم فيحرص على التخلص من الألفاظ والصور العسية وعموضها ، ويتجنب إثارة المشاعر والوجدانات ، ولهذا فإن دراساته لا تكون إلا متى أمكن القياس أو الوزن ، كما أشرنا من قبل ، فالعلم الحديث كلف بتحويل الكميات (الصفات التي لا تقاس) إلى رموز رياضية أو كميات عددية ، ومن أجل

هذا لازمت البحوث العلمية آلات وأجهزة تعبر عن نتائج دراساته بأرقام يتساوى جميع الناس في فهمها ، وهذا اختفت في ساحه العلم الأحكام الذاتية والتقديرية الشخصية ، وأصبحت لغة العلم الوحيدة هي الرياضيات ، يقول سليمان J. W. Sullivan في كتابه القيم : أسس العلم الحديث « The Bases of Modern Science » إن

أقصى غاية للعلم أن يقدم لنا وصفا رياضيا شاملا للعواهر في عبارات تضم أقل عدد ممكن من المبادئ والحقائق العقلية . إن الرياضيات هي اللغة الوحيدة التي يستخدمها العلم ، ويقول هذا مكررين دون أن نمل التكرار ، وبعد أن كانت الملاحظة الحسية أهم ركن في منهج البحث العلمي ، احتل مكان الصدارة في عصرنا هذا رد الوقائع إلى أرقام تقرأ على مراقم ومقاييس ، وأصبح الاتجاه الحديث الآن هو ترجمة الظواهر الطبيعية إلى رسوم بيانية ولوحات فوتوغرافية ، وهذا

(١) قبل أن العالم الألماني هكل E. Haeckel قد زور مرة في صورة لحسن حيوان حتى تبدو قريبة الشبه بحسن لإنسان فثبتت هذه بطريقة الحديثة في التطور آملا في أن يديع اسمه فلما كشف العلماء ترويره واحسب أكاديميه برلين بعدها المتوى دعت العلماء من شتى بقاع الأرض لحضور اجتماعها ، ولكنها حرصت على أن تغفل دعوه مواطنيها هكل ، احتقارا له .

وفي أكتوبر ١٩٧٦ طالعتنا كبريات الصحف البريطانية وآخر فصيحة أهرزت لها الأوساط العلمية في العالم المتمدن ، ذلك أن السير سيريل بيرب Cyril But ١٩٧٢ كبر علماء النفس في بريطانيا قد ثبت أنه استعماري تعوره الأمانة العلمية إذ كان دوك في كتبه أن الحسن الأنص يمتار على غيره من الأحسان الملوثة بالدكاء والقدرات العقلية التي لا تحق وبالتالي تنس على المستعمرين أن يصنعوا برامج لتعليم الملوس بحيث تلامم مع مسوى ذكائهم وعقولهم وروح تلاميذه لهذه الطريقة المرعومة ثم تصدى للكشف عن كذبها بعد موته باحثون من علماء النفس في إنجلترا وأمريكا وأكثرهم من تلاميذه ورملائه تنس لهم من مراعاة مصادر كتبه أنها مخلقة لا وجود لها إلا في ذهن كاتبها وأن الإحصاءات التي أند بها بطريقة مخلقة وملفقة . . فكان هذا موضع احتقار من علماء العالم المتمدن .

أصبحت وقائع الحس في لغة العلم رموزاً رياضية، وصياعات رمزية . كما أصبحت القوانين مجرد دلالات رياضية . وهذا تعبير الوضوح في القرن العشرين عما كان عليه الحال في العصور السابقة .

فيل إن جاليايو ١٩٤٢ Galileo قد كتب قانون العصور الدائري الذي يقرر أن كل جسم يقفل على حاله سكونه أو حركته المنتظمة ، ما لم يوجد ما يعير حالته . ظل هذا بعد فانونا حتى آخر القرون الماضية . ولكن علماء القرن العشرين قد اشتراطوا طاهره التعبير عن القوانين بأرقام ، يعولون اليوم إن هذا مجرد وصف للحس المتحرك ، وليس نهانون ، فإن أريد له أن يكون قابوا وجب أن يصاغ في رموز رياضية

٥ - الخيال بين لغة الأدب ولغة العلم :

إن دور الخيال في العمل الأدبي أساسى لا يستعنى به أديب . بل إياه أهم عناصر الأسلوب الأدبي . فإن الأديب يستعين به على تكوين الصور الأدبية التي تسمح للأعاطى في تعبيراته منهاهيم حديده تثير متعة القارىء و بهجة السامع . والعالم بدوره لا غنى له عن الخيال . وإياه مصطر في نخوته - بعد مرحاه الملاحظة

والتمجربة - أن يفرض فرضا يتخيله لتفسير الظاهره حتى يتوصل إلى قانون لتفسيرها ، وعلى الباحث أن يمتحن الفرض - الذى تخياه كتمسير مؤقت - للتثبت من صوابه ، فإن تثبت بالتجربة بطلانه عدل عنه إلى فرض ثان وثالث ورابع ، حتى يهتدى بخياله إلى فرض يثبت بالتجربة صوابه ويكون قابوا ، ولجون سنورت مل ١٨٧٣ J. S. Mill في كتابه System of logic جس قواعد للتثبت من صحة الفروض (١) . وإن ثبت صواب الفرض أصبح قابوا عاما . وهكذا نرى أن فوام الفرض العامى هو الخيال الذى يتفاوت فيه الباحثون . تتماوب حطهم من الذكاء وسرعته المدييه وصفاه الدس وسعة الاطلاع وغير هذا مما يساعد على تحيل الفرض الصحيح

واكن خيال العالم غير خيال الأديب وخال العالم وسياه يستعان بها لكشف حقيقة ، ولهذا كان مرتبطا بالواقع ، فتأخيه تدميح في الواقع إلى حد أن العالم لا يتردد في التصحية بحال الحقيقة ، متى ثبت انه بالتجربة بطلانها ، أما خيال الأديب الممان وإيه يستعين بالحقيقة وسياه إلى كشف الجبال . ولهذا يستهدف الممان تحريك المتساخر حتى تتحاوب معد .

(١) فطن إلى الأصوليون من فقهاء المسلمين ومتكلميهم منذ العصور الوسطى ، أن الوا عن طريقة التلارم في الردوع إن العلة مطردة أى دور مع الحكم وحوذا . وقالوا عن طريقة التلارم في التحلف ان العلة ممكنه أى أنها دور مع الحكم عندما . وس طريقة الخدم من الامتق والاحكام عروا عهم بدوران العلة مع ماله لحوذا وعندما - أو الطد العكسى وجاتدوا فواون بطرقة خال أصور لعلمه ط ٧ من ١٦٤ وما بعدا

٦ - معيار التقييم في الأدب وفي العلم :

إذا كان قد قيل إن الأدب هو التعبير الحميل الصادق عن إحساس صادق ، فإن معيار جماله يقوم في الذوق المعنى عند صاحبه وقارته ، حقيقة إن الأديب يعيش بمقدار ما يحس التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته وحواطره؛ بشرط أن تكون إنسانية تتخطى الزمان والمكان ، ولا تكون مجرد صدى لبيئته أو روح عصره ، وإلا مات أدبه بتغيير معالم البيئة وروح العصر ، عاش شكسبير لأنه صور العواطف والغرائز البشرية ، ولم يصورها مرتبطة بأهل بلده وعصره الذي عاش ، ومع هذا فليس ثمة مقياس يقاس به جمال الأدب ، يكون خارج متاعر الأديب وقارته، وليس هذا هو الحال عند العالم ، فإن من أخص خصائص العلم إمكان التثبت من صحة قوانينه بالرجوع إلى الواقع واستفتاء الخبرة والملاحظة الحسية في أمرها ، ولا مجال لها لذوق العالم أو إحساسه أو غير ذلك من أدوات اختبار الصدق في حالات الفنون أو مما لا يدخل في وسائل الإثبات العلمي

وكذلك يبدو الصدق في الأدب مختلفا باختلاف الأفراد وذوقهم المعنى ، وروح عصرهم ، بهما يتميز الصدق في حال العالم بالثبات مع اختلاف الأفراد والجماعات زمانا ومكانا ، وإذا أثبتت التجربة أن المعادن تتمدد بالحرارة ، كان من المحتم أن نتوقع من كل معدن - لم يختلط بغيره من

مواد تمنع تمدده - أن يتمدد بالحرارة في كل مكان وكل زمان . وليس هذا هو الحال في الأدب وغيره من فنون ، ومن أمثلة هذا ما نراه في شعر شوقي أمير الشعراء ، حمل على جناحه جمهرة قرائه إلى أقصى مراحل الإعجاب، بينما كان في الوقت نفسه مثارا لحملة ضارية شنها عليه العقاد والمازني ومن ذهب مذهبهما ممن جردوه من أبسط مقومات الفن الأصيل . . .

وليس هذا هو الحال في العلم ، لأن نتأجه تتمثل في أرقام يتساوى الناس في فهمها ، يقول كارل بيرسون K. Pearson في كتابه القيم Grammar of science إن أحكام العلم لا تتأثر بالوجدان الشخصي أو الأحكام الذاتية أو الأهواء الشخصية ، وتستبعد التحيز وتتوخى النزاهة العفوية .

٧ - بين أهداف لغة الأدب وأهداف لغة العلم :

فلنا إن اللغة هي أداة التعبير في العمل الأدبي ، وإن الرياضة هي لغة العلم الوحيدة في كل صورته ، فما الأهداف التي تنهى إليها تلك الوسيلة في الحالين . . ؟

أما أهداف لغة الأدب فتبدو في اتجاهين تحددتهما مدرستان ، مدرسة ترى أن الأدب يصدر عن صاحبه كما يصدر الأرج عن الأهرار ، أو النور عن الشمس ، أو الحضرة عن النبات، وأما توجيه الأدب إلى تحقيق أعراض بعينها ترسم له أهدافا يفضى إلى

تحقيقها ، فهو إتلاف لطبيعته الفنية وإفساد لروحه . . ليس للأدب هدف مباشر يقصد إلى تحقيقه غير الجمال .

أما المدرسة الثانية فاعمل رائدها في النصف الأخير من القرن الماضي هو كارل ماركس K. Marks ١٨٨٢ وترى هذه المدرسة أن يسخر الأدب وغيره من الفنون لخدمة الإنسان في حياته الدنيا ، فيعالج الآفات الاجتماعية في مجتمعه ، يشخص أعراضها ويرسم طرق علاجها ، ومن ثم يصحح الأدب دعوة إلى تعبئة الجهود وتكتل القوى لرفع مستوى الشعب ، والنهوض به في شتى مجالات الحياة السياسية والأخلاقية والاجتماعية بوجه عام ومنذ سنوات هاجم حروشوف الميادين الذين لا يسخرون لخدمه الحياة ، وأثار بهذا الكثيرين حتى من أهل ثقافته

ومن رواد هذا الاتجاه في أدبنا العربي المعاصر الدكتور طه حسين ، فهو يقول في «ألوان» أين الأدب إذا اعتزل الحياة أصبح لعوا من اللغو ، وسحفا لاعاء فيه . . إن الفن الخميل على اختلاف أنواعه هو السلم الذي نأجح للشعب أن يرقى

ويسمو ويعنى بعظائم الأمور وحلائل الأعمال ويقول في : «أدبنا المعاصر» . . .

فالأدب لا يقاس بالجمال ولا يقاس بإرضاء الذوق ، ولا يقاس بتعميق المعاني والآراء ، ولا بهذا المذهب الفلسفي أو ذاك وإنما يقاس قبل كل شيء بالإعراب عن حاجه الشعوب إلى ما يقيم حياتهم المادية قبل كل شيء .

ومن الباحثين من ربط الفن بالأخلاق ، ورأى أن دارسه الخير وثيقة الاتصال بدراسة الجمال إلى حد جعل اليونان يستخدمون لفظا واحدا للتعبير عن الجمال والسبل الخلقى ، ويوحدون بين الكمال والجمال وإلى مثل هذا ذهب بعض المحدثين ، من أمثال هربارت J. H. Herbart ١٨٤٤ مؤسس علم الجمال وأهلاطوني كبردرج وأصحاب مذهب الحاسة الخلقية وغيرهم (١) وكرد فعل لهذا الاتجاه طهر مذهب الطبيعيين الذي أنشأه بازاك وبشر به في فرنسا رعيم هـ هذه المدرسة لإميل زولا ١٩٠٢ E. Zola الذي طبق في الفن القصصى المذهب التجريبي (الذي أخذه عن كلود برنار) فصور الحياة في أدب مكشوف Ponography ولا تنى . سوى هذه الحياة المكشوفة يعد أدبا ، لأن رسالة الفنان في رأيهم ليست رسالة وعظ وإرشاد ودين ، بل رسالة حق

(١) انظر كتابا . أسس الفلسفة ب : ف ا ص ٣٨٣ - ٣٨٩

وجمال ، والشر حق موحود في الحياة ،
وفي تصويره البارع جمال (١) .

لكن الاعتراض على هذا الرأي قديم
فقد هاجم ألاتون في جمهوريته القصص
التي يرى الذي يبدو أنه يفسد الصميم
ويشوه المثل العليا ، وكان يرى
أن الشعر والتصوير وغيرهما دجل يعمد
إلى العواطف ويشيرها ولا ياجأ إلى العمل
المتزن الرزين ، لأنه لا يجد فيه محالا لعنه
ويحس تصوير الكثير من الشهوات
والمرعات المسحطة حتى يحملنا على الإعجاب
بما ذكره ، ولهذا كان من واجب المشرع
ألا يسمح بمثل هذا الفن العاثر في المدينة
(الماضاة) حتى يكفل لاضحايا الحياة
وعلى الناس أن يصنعوا على رأس هذا
التعاعر الماكن إكايلا آيه تهديرهم له
وإعحامهم به ، ثم يشيرونه إلى حدود
المدينة ليطرده منها وهم يتغنون بديعه
واتاء عايه

ومن المحدثين من يقول أن الفن الرفيع
لا يهدف إلى التهذيب والإصلاح ، وإن
قصد إلى ذلك جاء هذا عن طريق غير
مباشر ، بل إن آثار التهذيب والإصلاح

ليست أجمل ما انتخب عبقرية الفن من
روائع - فيما يقول بوب pop's Essay on
man ويرى الدكتور أن شكسبير ١٦١٦
كان يكتب فيما يبدو بعير عرض
أخلاقي ، ولم يكن على الدوام حريصا
على أن يشير إلى السخط على الشرير ،
وما يشبه هذا ممكن أن يقال في الفردوس
المفقود للمتون ١٦٧٤ J. Milton

والكوميديا الإلهية لدانت ١٣٢١ Dante
وثوره الملائكة لأناطول فرانس ١٩٢٤
Anatole France وغير هذا من آثار
الفن الخالدة وهل يجدي مثل هذا الفن
في رفع مستوى الأخلاق عند الناس ؟
إن مثله سيكون مثل الشحاذ الذي يعرج
في موكب صاخب ، وعلى غير حدود
يانمسن بعرجه انتباه أولئك الذين يسرون
في المركب محامين له فيمايقول كاريت
Carril's Theory of Beauty

لأن الأدب إلى الصواب أن يقال
إن كلا الرأيين المتطرفين قد نائب الصواب
وايس من الحكمه أن يتضع الفن لقبود
العرف ومقنضيات التمهال ، لأنها تختلف
باختلاف الزمان والمكان وآثار الفن الخالدة

(١) من ذلك أن الشاعر العربي دودلر * ١٨٦٧ Baudelaire أصدر ديوان شعره : « أزهار الشر »
متصفا مقطوعات شعرية بصور الأحسام المتحللة والجس المادي ، ورفع أوره إلى القصاء وأدين بمرامة (٣٠٠ فرنك)
مع حذف المقطوعات التي تنافي الأخلاق . وأثار حكم القصاء أنصاره واتهم مكتور هوسو مع عمره القصاء بالعلم والظور
على قدسة الفن ولكن الحكم قد سر القائلين بتسجير الفن للحياة والأخلاق ، وكان فولك ماوي ١٩١٠ من بطلان
بالحصاع الفن لمبادئ الأخلاق ، ويرفضون الفصل بين الفن والحياة . (أسس الفلسفه ط ٧ ص ٣٨٥) .

تعيش بفصل ما تضم من عناصر إنسانية
حالة ، ولكن من العث أيضا أن نطالب
بتحرير الفن من مبادئ الأخلاق وقيمها
العليا ، وهي أصلا إنسانية خالصة
لا يحدها زمان ولا مكان فيما يقول بيري
Periy's The Moral Economy

أما عن القائلين بتسخير الأدب لخدمة
الحياة فإنهم يبالغون في دعوتهم إلى الحد
الذي يتحول فيه الأديب إلى مصلح اجتماعي
إن الأدب قد يصور الحياة، ولكنه ليس
صورة لها ولا بديلا عنها ، ولا إصلاحا
لعيوبها ، وقيمة العمل الأدبي تقوم في
أثره في نفوسنا ، والأدب خلق في
مخالف عناصر الحياة التي نشأ عنها ، ويترك
فيها أثرا أعمق من آثار تلك العناصر .

كان أرسطو يقول إن الواقعية ليست
في أن نصور ما حدث ، بل ما يمكن
أن يحدث له لا حسب منطق الحياة
كما نعرفها، بل حسب منطق الحياة في
القصص نفسها . . . ولو توقعنا من العمل
الأدبي أن يكون صورة صادقة للحياة ،
لأغتنا كتب التاريخ عن الأعمال الأدبية
حقيقة إن العمل الأدبي يصدر عن الحياة ،
ولكن الأديب إذا أحس بماء عاتس في
خدمة الحياة مثاث السنين .

هذه فكرة عابرة عن أهداف العمل
الأدبي ، فما هي أهداف البحث العلمي ؟

أهداف لغة العلم :

في أهداف لغة العلم اتجاهان يحددهما
مدرستان شبيهتان في بعض الوجوه بالمدرستين
السابقتين ، فالأولى تتمثل قديماً في فلسفة
اليونان، وهي ترى أن العلم في كل صوره
يكون هدفه العلم ، أي الكشف عن الحقيقة
بباعت من اللذة الفعلية دون نظر إلى
ما يحتمل أن يترتب على ذلك من خدمة في
حياتنا العملية أو إشباع لعواطفنا الدينية ،
كما كان الحال في حكمة الشرق القديم
أما المدرسة الثانية فهي أعم وأشيع ، وهي
تربط بين نتائج البحث العلمي ومطالب
الحياة الدنيا، وإن كان النظر يسبق العمل،
ولعل أكبر من مهدوا هذا الاتجاه من الأوربيين
المحدثين فرنسيس بيكون ١٦٢٦ F Bacon

واضع اصول المنهج العلمى :

رأى بيكون أن أسمى أنواع العلم هي التي
تمكنا من السيطرة على طواهر الطبيعية لنتحكم
فيها من أجل مصلحة الإنسان في حياته ،
وهذا أوجب بيكون أن يسخر العلم لتحسين
أحوال الناس وتحقيق رفاهيتهم ورفع مستوى
معاشتهم ، فقيمة العلم مرهونة بأثره في
حياتنا العملية ، « والمعرفة قوة » ، كما كان
يقول دائما . وأكد هذه الروح العملية من
المعاصرين أصحاب الفلسفة البرجماتية من
من الأمريكيين فيقول « جون ديوى » ١٩٥٢
J. Dewey : إن العلم مجرد فن تطبيقي أو

مشروع عملي ، والقوانين العامة ليست تفسيراً للظواهر الطبيعية ، إنما هي وسيلة لإجراء صفقات ناجحة في التعامل مع الوقائع الحسنة ، والهدف من ذلك ، تحقيق أغراض بشرية نافعة . . . إلى آخر ما يراه في بحوثه في المنطق التجريبي وما يتردد في كتابات غيره من دعاة الفلسفة العملية البرجماتية .

ومن آثار النزعة العملية في تصور العلم أن اتجه الباحثون منذ القرن الثامن عشر إلى تطبيقات القوانين العامة ، فكان ما نسميه اليوم بالتكنولوجيا ، وهي قوام حضارتنا المادية في عصرنا الحاضر^(١) فالبحث العلمي أساس التقدم ، والتكنولوجيا هي السبيل لتحويل ثمار هذا البحث إلى مواد وأجهزة ومعدات قابلة للاستخدام في الحياة العملية (كما يقول معجم العلوم الاجتماعية) .

حسبنا هذا من فروق تميز بين لغة الأدب ولغة العلم . .

ولا بأس من أن يحتتم حديثاً بكلمتين ، نجمل في أولاهما موقف الأدب الحديث من العلم ، ونوضح في ثانيتهما خطأ النقد والباس في استخفافهم بالأدب والقول بأنه مجرد تسلية ومصبغة لا وقت :

(١) موقف الأدب الحديث من العلم :

تقدم العلم في القرن الماضي تقدماً مذهلاً وأصبحت نظرياته آية في الدقة والإحكام

وأمكن تطبيقها فكانت مخترعات يسرت حياة الناس من ناحية ودمرت الكثير من أسباب الحصار الإنسانية من ناحية أخرى ، اخترعت آلاته أدت إلى إتقان الصناعة والزراعة وتيسير وسائل النقل ، وكان انقلاباً في حياة الإنسان لم يسبق له مثيل ، ولكن كثرت المصانع التي تستخدم الآلات الحديثة فكان شيع البطالة بين العمال ، إذ استغنى أصحاب المصانع عن كثيرين منهم ، فحدث في إنجلترا في أوائل القرن الماضي أن تجمهر العمال وأضربوا وهجموا على المصانع لتعطيلها وطالبوا بنصيبهم في ثرواتها لأنها نشأت عن كدهم ، وظهر المتطرفون من الاشتراكيين الذين يريدون هدم نظام التملك القائم وقتذاك ووسط الجو المضطرب المعتم كان للمحدثين من الأدباء موقف من الآلة والمدنية العامة نشير إليه في الكلمات التالية

نتخير ثلاثة من أئمة الأدب الإنجليزي المعاصر ، من أصحاب النزعات الصوفية الرومانسية ، لنشير إلى تمردهم على الآلة التي ظنوا أنها جمدت الحياة الحديثة ، وأحالتها إلى ضجر مجذب ، وهؤلاء هم : دافيد هربرت لورنس ١٩٣٠ وتوماس ستيرن اليوت ١٩٦٥ والدوس هكسلي ١٩٦٣ .

فأما لورنس فيقول إن الآلة هي المسئولة عن العقم الذي أصاب الحياة الإنسانية في

(١) وإن عرفنا المجتمعات الدائمة وأرادت بها المعرفة المساحة لتشكيل الأشياء المصنوعة في الحرف والمهن اليدوية ، كما تدل على المهارات في صنع الآلات .

العصر الحديث ، لأن الإنسان أصبح خادماً لها وكان سيدها ، فتضاءل شعوره بمرديته وكيانه كإنسان ، وأضحى موقفه من الحياة لا يعدو أن يكون موقف المتفرج .

ويتفق معه « إلبوت » في نقد الحياة العصرية ، ويصفها بالعقم والعشل ، ويرجع ذلك إلى المدنية العالمية التي يعترف بأنها أدت للإنسان الكثير من وجوه الخير المادي ، وزودته بالمعربة والعالم ، ولكنها باعدت بينه وبين الحياة وكنهها ، وطهست إدراكه الروحي ، وتركته وهو أشقى مما كان قبل أن يعرفها . إنها لم تعطه مريداً من الحكمة ولا من الإنسانية ، بل تهملته عن نفسه فأضاع حياته فيما حد عليه من شئون العيش وأضاع العلم نفسه فيما جمع من شتى المعارف .

أما « ألدوس هكسلي » فقد خالف ريميليه قليلاً في تورته على المدنية العلمية ، فهو في روايته Brave New Waird وهي تدور حول قصة العالم مستقبلاً يصور بطلها شاعراً رقيقاً يشد الحب والشعر والجمال والحرية والفصاحة ، ولكنه يعتقد في الحضارة الجديدة كل هذه المعاني الحميمة إلى نفسه . . .

وهؤلاء الأدباء الثلاثة لا تختلف فكرتهم حول المدنية العلمية عن فكرة شعراء الحركة الرومانسية في النصف الأول من القرن

التاسع عشر ، من أمثال وردزويرث ١٨٥٠ وشيلي shelley وبيرون ١٨٢٤ في ثورتهم على تصنيع إنجلترا في عهدهم مع فارق واحد هو أن أولئك يضيفون بالواقع ، ويهربون منه ، بينما كان أدباؤنا الثلاثة المعاصرون يضيفون بالواقع ، ولكنهم يواجهونه بمواجهة صريحة قوية فعالة .

ونضيف إلى هذا موقف أديب فرنسي سبق هؤلاء إلى ما يشبه هذا الموقف هو جان جاك روسو ١٨٧٨ J. J. Rausseau فقد ذهب في صدر شبابه إلى أن اردهار العلم يؤدي إلى انحطاط الخلق . وأن التفكير مناقص لطبيعة الإنسان ، وأن الإنسان الذي يفكر ويتعقل حيوان فاسد الأخلاق .

مع أننا نرى أن الإنسان ميزته على الحيوان الأعجم عقله وتفكيره : وعلى أي حال عدل « روسو » عن الكثير من أفكاره في كتابه « إميل » (١)

ومع هذا فما من شك في أن الأدب قد تأثر بالتقدم العلمي الحديث ، ومن دلالات هذا شيوع القصة العلمية في الأربعين عاماً الأخيرة ، شيوعاً أدى بالكثيرين من أئمة الفكر والأدب في أوربا إلى التوجس من أن يؤثر ذلك على أنواع القصص الأخرى ومنذ ثلاثين عاماً ظهرت في عام واحد ، وفي شارع واحد

من شوارع لندن عشرة محلات تخصصت جميعاً في بيع القصص العامية ، وكثرت محلات بيعها في نيويورك، إلى أحد يجعل السائح يتوهم أن نيويورك لا تقرأ إلا هذا النوع من القصص ، كما كان يقول صديفنا المرحوم الدكتور رشاد رشدي .

ولعل ما قلناه عن الأدب الفرنسي ، الإنجليزى المعاصر كان له صدى له بعض المعاصرين من أدبائنا في مصر .

(ب) الأدب في خدمة الفلسفة :

كثرت الحديث عن الأدب الذى يتطلب صدق التعبير عن أحاسيس صاحبه ، مشاعره وخواطره ، في لغة يتخير ألقاظها ويحسن وضعها من الحمل ، مع تخيل الصور الفنية التى ترضى حساسية القارئ ، تشيع في نفسه الامتناع ، وشاع القول بأن الأدب يستهدف تصوير الجمال ولا يتجاوز هذا الحد إلى الاهتمام بآفاق الحياة الاجتماعية وعلاج مشكلاتها ، وقد أدت هذه الأقوال بالكثيرين من الباحثين والنقاد والناقدات إلى الاسخفاف بالأدب شعراً ونثراً ، والقول بأنه مجرد تساية ومصيبة لاوقت ، وهؤلاء محطون أشد الخطأ وأودحه ، وحسبنا للتدليل على خطئهم أن نقول : إن استقراء تاريخ النهضة شرقاً وغرباً يشهد بأن نقطة الشعوب تبدأ بالحركة الأدبية ،

ثم تأتيا النهضة العلمية في كل المجالات هكذا كان الحال مع العرب أيام بنى العباس وكان هذا أيضاً هو الحال في نهضة أوروبا في مطامح مصورها الحديثة .

لقد بدأ عصر الإسلام الذهبى علم وفائفة وحضارة — في منتصف القرن الثامن للميلاد — الثانى للهجرة — بعد أن سبقه نهضة أدبية تمثلت في أواخر العصر الأموى في شعراء من أمثال جرير والوليد بن يزيد ، وفي كتاب من أمثال سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الكاتب — وهو أشهر من أن يعرف — والحسن البصرى وغيرهم .

وأما عن عصر النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فيمكن أن يقول عنه أكبر مؤرخى العلم « جورج سارتون » « ١٩٥٦ في كتابه History of Science nowhumanism — إنه عصر ذهبي في الفنون والآداب ولكنه عصر مخيب لآمال مؤرخ العلم أى أن مؤرخ العلم لا يجد فيه من العلم ما يستحق أن يؤرخه . (١) ولكن اليقظة قد أعقبت عصر النهضة ، وكان ثلاثتها في القرن السابع عشر على يد تيخو براه ١٦٠٩ Tycho-Brahe عالم الفلك الدنمركى الذى كان يباشر عمله

(١) مع استثناء لـوناردو دافنشى ١٥١٩ وميكافلى ١٥٢٧ والمصورين الملورنسين الذين مهدوا لنشأة علم التشريح ، وفيساليوس ١٥٦٤ وكوبرنيكوس ١٥٤٣ ولم يكن هؤلاء من أهل العلم الأصل

فى أول مرصد عرفته أوربا ، وتلميذه كبلر ١٦٣٠ Kepler الذى استغل ملاحظاته فى تحديد مدار المريخ حتى توصل بعد تسع سنين إلى المدار السبضى وتسرّع فى وصح قوانينه ، وجاليليو ١٦٤٢ Galileo الذى أتم عامياً رأى كوبرنيكوس ١٥٤٣ Copernicus فى القول بدوران الأرض ، واختراع المقرّب (التلسكوب Telescope) ، وكان فخر النهضة العلمية الحديثة ، وكان أول رائد حديث شغف بالرياضيات واعتبرها أداة العلوم الفيزيائية . وغير هؤلاء

بل تقول فى التدايل على خطأ الدين يستخفون بالأدب ويعتبرونه مصيبه للوقت . إن الفلسفة تقوم أصلاً على منطق العقل ، وتستبعد العاطفة والخيال ، وتهتم بالتجريد فتصعد من المحسوس إلى المعقول المجرد ومع ذلك فإن الماظر فى تاريخها ، قديمه وحديثه ، لا يملك إلا أن يقول إنها استعانت بالأدب ، شعره ونثره ، فى التعبير عن أعماق الأفكار وأدق المعاني :

فالفلسفة منذ أيام أفلاطون — أى منذ نحو أربعة وعشرين قرناً من الزمان — حتى يومنا هذا لم تستعن فى فترة من حياتها عن الخيال أو تتحلّى عن الشعر . . . فمن قديم

الزمان أدرك حكماء البشرية أن الحقيقة كثيراً ما تتخفى وراء الأساطير والخرافات والأقاصيص والحكم الشعبية ، ولهذا قيل إن الفيلسوف مهما حاول أن يجعل عقله حكماً فى كل قضية تعرض له ، أو أن يعد فلسفة مجرد أنظار عقلية أو حكمة تمتاز بالدقة فإنه يجد نفسه محمولاً على أجنحة الخيال إلى عالم تختلط فيه الحقيقة بالشعر ، ويمتزج فيه الواقع بالخيال :

وحديثاً عبر الوجوديون عن المواقف الميتافيزيقية بالأسلوب الروائى ، وكانت الروايات والقصص والمسرحيات عندهم هى التعبير الحى عن تجارب الإنسان بوصفه موجوداً ميتافيزيقياً ، والحقيقة عندهم لا تدرك بالعقل وحده ، ولهذا يعبرون عن الواقع كما يتكشف لهم خلال العلاقة بين الإنسان والعالم ، وهى فعل وعاطمة قل أن تكون فكراً وتصوراً كما تقول «سيمون دى بوفوار» ، ومن ثم أصبحت الرواية غير دخيلة على الفلسفة ، بل تعبيراً حياً عن المواقف الميتافيزيقية ، وبها تنكشف علاقة الإنسان بالعالم وبالأخرين :

ومن الفلاسفة المحدثين من كان يقدر الشعراء حق قدرهم ، وفى مقدمة هؤلاء

« هيرجسون » ١٩٤١ وكان هو نفسه من خيرة الكتاب المحدثين في الفلسفة ، بل كان من الفلاسفة أدباء ، ومن الأدباء فلاسفة ، فكان كبير كجار ١٨٥٥ Kierkegaard ونيتشه ١٩٠٠ Nietzsche والوجوديون المعاصرون من أمثال سارتر ١٩٨٠ وسيمون دي بوفوار يعبرون عن أفكارهم الفلسفية في روايات ومسرحيات وأفلام سينمائية ، بل رأى الفيلسوف الإنجليزي هويتيد ١٩٤٧ A. N. Whitehead الالتجاء إلى الشعراء بين الحين والحين تيسيرا للتعبير عن بعض الأفكار الفلسفية العميقة .

وإذا كان هذا هو شأن الفلسفة مع الأدب ، فإن الأدب بدوره قد احتل في فرنسا إبان الستين سنة الأخيرة مجال الفلسفة ، ولا أدل على هذا مما نراه في إنتاج الأدباء من مسرحيات وروايات وأشعار ومقالات . شغلت مجالات فلسفية عند أمثال بلزاك ١٨٥٠ وفكتور هوجو ١٨٨٥ V. Hugo وبول فاليري ١٩٤٦ . ومع هذا فإن الأدباء يجأرون بالشكوى من " تطفل الفلسفة على موائد الأدب ، واحتلالها لأرضه على غير إرادته . ربما كان السبب في ذلك شيوع الفلسفة في فرنسا واتساع جمهورها بعد الحرب العالمية الثانية ، بدليل كثرة المحلات الفلسفية

وتعدد الندوات الأدبية والفكرية إلى حد أن أصبحت الفلسفة حديث الناس في الطرقات والملاهي والخوانيت ، ولعل مرجع ذلك إلى أن الفلاسفة قد ارتدوا إلى الاهتمام بدراسة الإنسان ، وهو موضوع الأدب المعاصر .

وإذا كان من الأدباء المعاصرين من يحتاج على غزو الفلسفة لأرض الأدب ، فإن من الفلاسفة المعاصرين من يهاجم الخلط بين الفن والفلسفة ، فن ذلك أن بعض أصحاب الوضعية المنطقية ينددون بدعاة الميتافيزيقا الذين يمزجون الفلسفة بالفن ، ويهتمون بمذاهبهم بأنها نخاوية من الحقيقة ، لأن هؤلاء الوصفيين المنطقيين يرون أن وظيفة الفلسفة تقوم في تحليل الألفاظ والعبارات تحليلًا منطقيًا ، في ضوء ما سموه بمبدأ التحقق Principle of Verification ومؤداه أن كل لفظ لا يكون له مدلول حسي في الواقع ، يكون فارغا من المعنى ، وهذا رأوا أن المحسوس هو وحده الذي يحمل معنى ، وهذا المعيار استبعدوا من محلات البحث : الميتافيزيقا والعلوم الفلسفية المعيارية والفنون على اختلاف أشكالها ، وقالوا إن الميتافيزيقا تبحث في المجردات دون المحسوسات ، وأنها عمل فني لا يستقرئ الواقع ، بل يقوم على الخيال ، وأصحابها - في رأيهم -

شعراء قد صلوا سبليلهم وراحوا يقدمون
قصائد من نسج الخيال . . . فداهمهم
الميتافيزيقية ملاحم شعريه تعبر عن إحساس
أصحابها بالوجود والحياة ، بل جاهر
رودلف كارنب ١٩٧٠ Camap بأن
الموسيقى ربما كانت أقدر من فلسفتهم
على تأدية هذه الوظيفة لأنها مجردة من كل
عنصر موضوعي ، فالميتافيزيقيون في هاه
العصور موسيقيون عديموا كل موهبه
موسيقية . إلى آخر ما رآه في كتابه

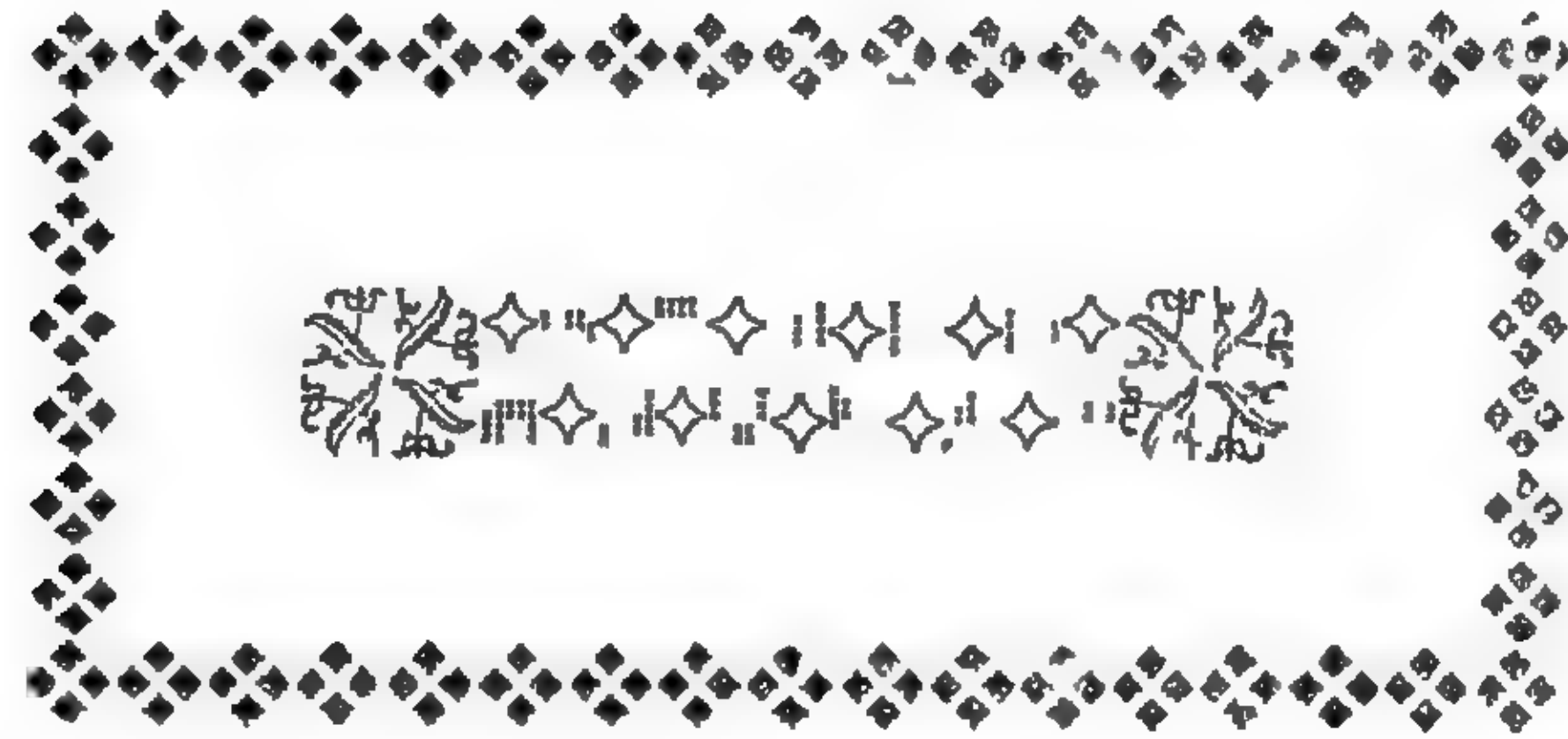
عن العلم والميتافيزيقا مع أن الفلسفة في حقيقة
أمرها تستهدف الكشف عن الحقيقة وليس
التعبير عن الجمال ، ومعيارها هو الصدق
المنطقي ، لا الحسن وبراءة التعبير عن الأحاسيس .

حسبنا هذا بيانا لأهم الفروق الصخمة
التي تميز بين لغة الأدب ولغة العلم ، وقد
بدا لنا من خلالها أن التعارض بينهما كان
يبلغ حد التناقض في أكبر الحالات .

شكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

توفيق الطويل

عضو المجمع



قصيدة للشباب

قصيدة للشباب على إبراهيم

الوليد أتري ماذا يروعه [١] ولم تسيل على الخدين أدمعه
أهاله صرف دهر ليس يعلمه [٢] أو هل تبدى له في الأفق مصرعه
وغادر المهد وثابا وفارقه وصدر أم رؤوم كان يرصده
سرعان مادب في درب الحياة فتى إن الطريق طويل سوف يذرعه
إن الشباب نعيم لا يحس به بل إنه في مسار العمر أينعه
قد غره طيب عيش بات يغمره وعنفوان شباب طل يخذعه
ما كان يحسب أن الدهر مرصده وأن ثوب شباب سوف ينزعه
سباحة الميل ما كانت لتزهقه وفرسخ الجرى سهل حين يزمرعه
خاص الملاعب جباراً يُدان له ما من غريم وإلا كان يصمرعه
ومارس الطب جراحاً وهام به وكم تجول في الأجسام مبهضمه
خاض الغرام فتيا فاتكا شرهاً ما من ضمير ونصح كان يردعه
تبدل الحال ما قد كان يولعه بالأمس أصبح في دا اليوم يفزعه
لم الوصال وقد زالت دواومه ما كان يدفعه للوصول يمنعه
ماذا دهاه دبیب الشيب حل به وخط المشيب بفود صار يبذعه

(*) أُلقيت القصيدة في الجلسة السادسة ٤ / ٥ / ١٩٨٥ م .

ماذا يريد من الدنيا وقد ذهبت
 هل الطعام غدا صعباً تَلَوُّكُهُ
 إن الضروس هي البلوى ليحلمها
 قال الطبيب لكى تهذا مخاوفه
 اعتاض عنها بأسنان تضايقه
 والأكل صار قليل منه يتخمه
 وسلم كان يجرى فى مصاعده
 هل زاد ميل خطى قد كان يصعددها
 هذى العصا يشتريها كى تساعده
 قد كان يسمع همس الريح عابرة
 كانت ذراعاه للأثقال حاملة
 ما للشتاء أتى بالبرد قارسه
 كم سار فيه أسم الرأس حاسره
 والصيف هل زاد حرّاً كى ينو به
 خيانة الناس والدنيا تؤرقه
 أين الأحبة والأتراب فد ذهبوا
 تعود الفقد والأحباب قد دونوا
 ما ضاق بالخطب مهما ناء كل كلة
 كم نام نوماً عميقاً لا تؤرقه
 قد فارق النوم حميه وأسفده
 ما حرب الهم إلا هم نزوته
 قد كان ينظر للدنيا وفنتها

وهل شباب تولى سوف ترجعه
 لا يستساع أم الأسنان توجعه
 فالضرس أصبح بعد الفرس يقلعه
 لكل سن بديل سوف أصنعه
 أيصع الخلق ما لخلق مبدعه
 وكان كل طعام ليس يشعه
 واليوم صار بشق النفس يطلعه
 أم هل علا درج بل كاد يوقعه
 فساقه اليوم كات ليس تدفعه
 واليوم رعد دوى ما كاد يسمعه
 واليوم ناءت بحمل الريش أدرعه
 ولم يكن فى قديم العهد يلدعه
 واليوم يبقى بعقر الدار يقبعه
 وكان يسهجه فى القيط شعثه
 يصيق صدرٌ بها والهم يوسعه
 من فرق الشمل يوماً هل سيجمعه
 فصار فقد قريب ليس يدمعه
 والآن صار أقل الخطب يصلعه
 روى تحقيق ولا الأفكار تحرعه
 ليل طويل قليل منه بهجمه
 واليوم صار مصير الكون يفزعه
 واليوم أصبح للأخرى تطلعه

صدر يجيش بآمال وأخيلسه
رؤى من الأمل المعسول ترفعه
زالت أمان كمار كان ينشدها
هذى المفاصل كم لانت ولم صلبت
تقوس الظهر وارتجت مفاصله
هدى العويسات ما مرت بخاطره
مارجة فيه لو أن الدنيا ارتعشت
خائته داكرة كاست توأزره
كل الحوادث حتى كل ما فربت
ما عاد يذكر شيئاً كان يقرؤه
عانى السعال وسهدا هز مضجعه
باعت وباء بها أحمال أدوية
إن الحياة مضت والموت معترب
قالوا المشيب حميل في ررانتة
تجمع العلم فيه والنهى رجحت
إن حر ركن الصبا فالعلم بسيدته
تجمعت خسارة الأيام واكتملت
فيه الحصى تم واشتدت قوائمه
ماذا يفيد ذرى علم وتحربة
وأى جدوى لعلم لا توأزره
عانى من الشيب أهوالاً منعصه
متع شبابك بالدنيا وأنعمها
أقول للناس عيشوا قدر طاقتكم

واليوم ضاقت بصرف الدهر أضلعه
فكان فوق مسار النجم مطبوعه
فاليوم صار أديم الأرض يقبعه
سير الزمان على عظم يصمغه
وضاق من ألم فيها يروعه
يغيرها اليوم خط ليس يقشعه
واليوم ارتجفت في الخط أصبعه
فكل ما مر فيها كان يرجعه
تبهرت ومضت كالشوب يخالعه
بالأمس سهواً وصار السهو يتبعه
وكل ماهز ببضا صار يسدعه
تخف داء كطهر بات يرفعه
كأس الماية دان سوف يجرعه
وأنه في طريق العمر أمتعته
وكل أمر أتاه صار يسدعه
ما هذه السن إن العام يرفعه
فيه المعارف فهى اليوم تلمعه
وطول تحربة فى العمر تنفعه
يعدو تراباً ببطن الأرض ووضعته
قوى الصبا وشباب ليس يدعه
لو أن للشيب أنفاً كان يجذعه
فإن كل نعيم سوف تمتعته
مع الشباب وقولى من سيسمعه

من كنائس النواور

بدرستاز عبد السلام هارون

(٦)

الكرم العائلي :

عبارة خالده امتدت عبر التاريخ من عصر
المثل السائر : « أحود من حاتم »

إن أحواد العرب كثيرون ، تكفل صاحب
العقد سر دأخبارهم في تفصيل ، وجمعهم فربق
عريق في ذلال الجاهلية ، وعريق في نور
الإسلام أما أهل الجاهلية مع تار صاحب
العقد (١) إليهم قائل : الدين انتهى إليهم الجود
في الجاهلية ثلاثه بمر حاتم بن عبد الله
الطائي ، وهرم بن ساد المري ، وكرم
ابن مامة الإيادي

و أما أحواد أهل الإسلام (٢) فأحد عشر
رجلا في عصر واحد لم يكن فيهم ولا بعدهم
متابعهم من الجحار طهر عبید الله بن العباس
عبد الله بن جعفر . وسعيد بن العاص ،
ثلاثة ، وحميد معهم من أحواد البصرة
عبد الله بن عامر بن كريب . وعبيد الله
بن أبي بكرة مولى رسول الله . ودهسان

اس رباد ، وعبيد الله بن معمر العربي ،
وطائفة الطامحات الذي يقول له العر .

بصّر الله أعظم دموها

بسحستان طائفة العالمات

وثلاثه من أهل الكوفة . غناب بن رفاء
الراحي . وأسما بن خارجة الحراري ،
وعكرمة بن ربيع الصياص .

ورسم صاحب العقد لكل من هؤلاء
صوراً رائعة من الجود والسماحة والندى
تمنى عن طب العنصر العربي في جاهليته
وإسلامه ثم ألحق بكل أولئك طبقة ثانية
من أحواد الإسلام تنهت في الحكم بن . طب
الذي كان والياً على مخرج فعال رجل مرهاها :
فدم عايها الحكم وهو مفاق فقير أغناها
وأقرانا أفضل له كيف أعناكم وهو مير ؟
قال . عايها المكارم فعاد عينا على رتا :
يعنى ما كان منه من قدوه فاعاه .

(*) ألقت في يوم الثلاثاء ١٣ من جمادى الثانية سنة ١٤٠٥ هـ من مارس سنة ١٩١٥ .

(١) العقد ١ : ٢٨٧ .

(٢) العقد ١ : ٢٩٣ .

ومن رجال هذه الطبقة الثانية : معن بن رائدة الذي قيل فيه : « حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج » . ومنهم كذلك . يزيد بن المهلب ، الذي مر في طريقه إلى البصرة بأعرابية فأهدت إليه عنزاً فقبلها وقال لابنه معاوية بن يزيد : ما عندك من نفقة ؟ قال . ثمانمائة درهم . قال ادفعها إليها . قال . إنها لا تعرفك ويرضيها اليسير . قال : إن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي . وإن كان يرصمها اليسير فأنا لا أرضى لها إلا بالكثير .

ومنهم (١) يزيد بن حاتم الأزدي الذي قال الشاعر بيه وببن يزيد آخر ، وهو يزيد بن أسيد القيسي ، في حود الأول وشيخ الثاني فقال

لشئان ما بين البريدين في المدى

يزيد سام والأغر ابن حاتم
فهم الفتي الأزدي إتلاف ما

وهم الفتي القيسي جمع الدراهم
وهم كذلك أبو دلف ، ومعن بن رائدة . وحالد بن عبد الله القسري ، وعدى بن حاتم الطائي الذي قال فيه الشاعر
أبوك حواد لا يشق غباره
وأنت حواد ما تعذر بالعلل

ولا ريب أن رأس هؤلاء جميعاً حاتم الطائي ، الذي نشأ في بيت كله شهامة وكرم كانت أمه ذات يسار ، وكانت من أسخى الناس وأقراهم لصيف ، وكانت لا تمسك شيئاً تملكه ، فلما رأى إخوتها إتلافها ذلك حجبوا عليها ، ومعهوها مالها ، فمكثت دهرها لا يدع إليها شيء منه . حتى إذا ظنوا أنها قد وحدت ألم ذلك أعطوها صيرمة من إبلها ، أي قطيعاً . فاحتاجتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها . دويلك هذه الصيرمة فحديها ، فوالله لقد عصني من الجوع ما لا أمح معه سائلاً .

هذه أمه أما بنته سمانة بنت حاتم فيقول أبو الفرج (٢) كانت من أحود نساء العرب . وكان أبوها يعطيها الصدقة بعد الصدقة من إبله فتشبهها وتعطيها الناس .

ولعل أعجب صوره حفظها التاريخ من صور كرمه مارواه أبو الفرج عند حدوث جماعة بالبادية أدهمت الحف والظلف ، وحاءته إمرأه تشكو جوع صبياتها ، ولم يكن عنده ما يجود به ، فمادا يصنع ؟ قام حاتم إلى درسه فذبحها ، ثم أوقد النار وأججها ، ودفع إلى المرأة شجرة حادة وقال لها . استوي وكلي ثم جعل يأتي بيوت الحى ويقول اهصوا ، عايكم بالنار . فاجتمعوا حول تلك المنرس وحاس ناحية ، يقول أبو الفرج . فما أصبحوا ومن المنرس قليل ولا كثير

(١) العقد ١١ ٣٠٠

(٢) الأعشى ١٦ ٩٣

(٣) الأعشى ١٦ ٩٤ .

إلى عظم وحافر ، وإنه لأشد جوعاً منهم
وما ذاقه .

هذه الصورة العظيمة من الإيثار مع
الخصاصة هي التي خلدت ذكر حاتم
ورفعته مكاناً بين العرب علياً ، ولكن هل
يسلم الشرف الرفيع من الأذى ؟

لقد لقي حاتم من شعراء عصره من
يهجوه أقدم الهجاء ، ويقول فيه (١) :

لعمرى وما عمرى على بهين
لهس الفتى المدعو بالليل حاتم
إدابة أتى كالثور أخرج فائق
نخبته أقتاله وهو قائم

كأن بصحراء العميط بعمامة
تبادرها حبحر الطلح نعام
أعارتك رجلها وهامى لبها
وقد حردت بيض المتون صوارم

جعلته كالثور الحائر وقد أحيط به ولم
يخر حراكاً ، كما شبه بالعمامة الشاردة الحمقاء
وهذا عاينه في المحو .

وهجاء شاعر آخر بأنه لا يصنع المعروف
ولا يستعمله ، وأنه بعيد كل البعد عن البر
والإحسان فقال (٢)

لعمرى وما عمرى على بهين -
لقد ساءتني طورين في الشعر حاتم

أيقظان في بخصائنا وهجائنا
وأنت عن المعروف والبر نائم

وهكذا لا يستطيع امرؤ مهما بلغ قدره
أن يلقى إجماعاً على اعتراف الناس له
بالفضل

ومن ذا الذي ترجى سجايه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معاينه

بر الأبناء :

هذا خالد بن عبد الله القسري يضرب مثلاً
رائعاً من أمثلة سماحة الإسلام الذي لا يكره
أحدًا على الدخول فيه « لا إكراه في الدين
قد تبين الرشيد من العبي » وهناك أمر آخر
حرص الإسلام عليه أشد الحرص ودعا
إليه في إنجاب محكم . « ووصينا الإنسان
بوالديه إحساناً » والأم الوالدة أحق الناس
بحسن الرعاية وكريم الوفاء

ومن هذا المنطلق رأى خالد بن عبد الله
القسري ، وهو أمير الكوفة أن يبنى لأمه -
وكانت نصرانية - بيعة تتعمد فيها هي ومن
على محلتهما من المسيحيين

وقد وجدت هذا النص النادر في معجم
الميلان لياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ (١) عند
الكلام على (بيعة خالد) قال . مذسوبة
إلى خالد بن عبد الله القسري ، كان ماها

(١) معجم البلدان ٢ . ٣٣٩ .

لأمة وكانت نصرانية ، وبني حولها حوانيت
بالآحر والخص ، وذاك لتعمير هذه النقرة
تم وجدت أبا المرح الأصماني (١) السابق
ليافوت دحو ثلاثة قرون ، يذكر هذا الخبر
أيضا ويقول : إن أم خالد كانت رومية
نصرانية ، فبني لها كنيسة في طهر قناه المسجد
الجوامع بالكوفة .

وفي تاريخ الطبري في عمده مواضع أنه
كان يقال لخالد بن عبد الله القسري هذا :
« ابن النصرانية » ولكن مع هذا المعبير السامع
لم يستطع عقرو أمه أو طرح البر بها . بل
مكنها كما تمكن المسيحيون في سرعد الإسلام
السومج من اداء شعائهم الدينية

عيد الغطاس :

لعل أقدم من أخرى إذ ذكرها هو المؤرخ
الخفرا في التقديم أبو الحسن المسعودي المتوفى
سنة ٣٤٦ في كتابه مروج الذهب (٢)

والغطاس عيد من أعياد المصارى في مصر
يقول المسعودي « وأهل مصر يمتحرون
بصماء النيل في هذا الوقت . وفيه يختزن الماء

أهل تيس . ودمياط ، وتونة (٣) ، وسائر
قرى البحيرة ويسوق المسعودي تصويرا لما
كان يجري في ليلة الغطاس يقول « وليلة
الغطاس بمصر تتأن عظيم عند أهلها ، لا ينام
الناس فيها ، وهي ليلة إحدى عشرة تمضي
من طونة وستة من كابون الثاني

ولقد حصرت منه تلاتين وتماثة ليلة
الغطاس بمصر . والإحشيد محمد بن طنج
في داره المعروفة بالمختاره في الحريرة الراكمة
لنيل النيل يطيف بها . وقد أمر وأسرح
من حارب الحريرة وحارب الممسطاط ألما
وسجل غير ما أسرح أهل مصر من المتاعل
والسمع . وقد حصرت النيل في تلك الليلة مشو
آلاف من الناس من المسامين والمصارى
من المأكول والتمارب والملابس وآلات الذهب
والفضة . والخواهر والملاهي . والحرف
والقصص . وهي أحب ليالي يكون بمصر
وأسمائها سرورا ولا تغل فيها الدروب
ويعطس أكثرهم في النيل . ويرغمون أن
ذاك أمال من المرحن ومري الداء

ويأتي من بعده أحمد بن علي القماشدي
بماهرى المتوفى سنة ٨٢١ فيذكر أن أعياد
المنط المته يوره أربعة عشر عيدا (٤) . وهي على

(١) الأعل ١٩ - ٥٩

(٢) الطري ٦ - ١٠٩٠ و ١٥١ - ٥٢٢ .

(٣) مرجح ١ - ٤١ - ٣٤٣

(٤) ترا ٥٥٥ حيرة قرب نيل ودمياط من الدار المصرية ، يصرب النيل حسن معمول بامها وطارها
لما يترك قوت وأما البحيرة فهي تسمية مدينة حذاء وياقوت المتوفى ٦٢٦ سمها بحيرة الإسكندرية ويقول ليست
بوزة ماء . بل هي كورة معروفة من وادي الإسكندرية بمصر يشيل على مري كثيره ودخل واسع .

(٥) صبح الأعشى ٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦

ضربين : صغار وكبار ، ويجعل خاتمة الأعياد الكمار عيد العطاس ، يقول . ويعملونه في الحادي عشر من طوبة من شهور القبط تم يذكر أن أصل هذا العيد أمر ديني . وهو أن يحيى بن زكريا عاينه السلام ، ويعتونه بالمعمدان ، غسل عيسى عليه السلام مسجبه الأردن . وأن عيسى لما خرج من الماء اتحل به روح القدس على هيئته حماه والمصري يعمسون أولادهم فيه في الماء مع أنه يقع في شدة البرد .

ويقول القائله لى بعد ذلك إلا أن عقمه يحيى الوقت - أى تظهر حراره الجو يقول المصريون عطستم صغتم ، ونوررتم شتيتم . ومن المعروف أن عيد الميرور يكون في شهر توت من أول السنه القبطيه .

ويأتى من بعدهما شهاب الدين أحمد الحموى المتوفى سنة ١٠٩٨ في كتابه «عجائب المحاورات» وهو غير صاحب «عجائب المحاورات» المعروف بالقرويين والمتوفى سنة ٦٨٢ فيذكر محواما ذكر القلقه لى . ويتولى نقله من بعد ذلك العلامة الآلوسى في باوع العرب^(١) معروا إليه

المسلم القبطى :

هذا هو أبر عمرو عند الملك بن عمير بن سويد الاحمى الكوفى القبطى المرسى . كان قاضيا على الكوفه بعد السجى بذكرون أنه رأى على س أنى طالب . وروى عن حابر بن عبد الله ، ويروى ابن حلكان^(٢) أنه قد عمر حتى باع عمره مائه سنه وثلاث سموات .

و روى ابن حلكان عنه أنه قال : كتب عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفه حين حىء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه . فرأى قد ارتعدت ، فقال لى : مالاك فاب أعيدك بالله يا أمة المؤمنين . كتب لهذا القصر بهذا الموضع مع عبد الله بن زياد فرأى رأس الحسين بن على بن أبي طالب بن يديه في هذا المكان ثم كتب فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت فيه رأس المختار بين يديه . ثم هذا رأس مصعب بن الزبير بين يديك . قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم ذلك الطاق الذى كما^(٣)

ثم يقول ابن حلكان والقبطى بكسر القاف وسكون الهمزة الموحدة وكسر الطاء المهملة ، هذه السنه إلى ال ، وهو فرس

(١) بلوغ العرب ٢ . ٣٥٨ .

(٢) في تاريخ ١٤٠٠ - ٢٨٦

(٣) الطاق . ما عطف من الأنسة ، وعقد البناء حيث كان . والجمع طاقات وأطواق وطبقان .

سابق كان له فنسب إليه والفرسى نسبة إلى هذا المرس أيضا وأكثر الناس يصححه بالنقرشى .

وفد ذكر القرصى في كتاب المشتبه (١) ، وقال « كان له فرس يقال له القمطى فعرف بهرسه » وفي حواشى المشتبه عن ابن ناصر الدين محمد بن أنى ذكر القيسى « ومهم حر بن عبد الله القمطى ، مولى بنى غفار ، وفد رسولا من المقوقس ، اريّة القمطيه إلى رسول الله ﷺ قال سعيد بن عفير فالقبط تمتحر بحر هذا الذى توى سنة ٦٣ ومهم أبو رافع القمطى مولى رسول الله ﷺ مهاتان السببتان الأخيرتان إذن لم تكونا نسبة دينيه ، بل نسبة إلى العصر المصرى الذى كان يسميه العرب بالقبط في ذلك الزمان القديم

تحقيق عسكرى :

لخط المسعودى . وهو يقرأ كتب العارى والسير آل الأورحين يحتاجون عدد العروات والسرايا والسوارب والبغوت ، وعددها بعضهم ثلاثا وسبعين . وبعضهم ستا وسبعين . وبعضهم ستا وستين . وبعضهم بينا وخمسين وأن محمد بن إسحاق جعلها حمسا وثلاثين والواقلى ثمانى وأربعين والمسعودى تحقيق . وقد عرا ذلك الخلاف إلى أن مهم من يعتد سرايا لا يعتد بها آخرون لأن بعض السرايا كان يطلق من بعض المعارى . فيتردها

بعضهم . وجعلها البعض الآخر في حملة المعارى .

ثم ذكر أن الصابط الحق الذى اعتمده دوا المعرفة سياسة الحروب وتبدير العساكر والجيوش ومقاديرها وسماتها أن السرايا ما بين الثلاثة إلى الخمسمائة ، وهى التى تخرج بالليل . وأما التى تخرج النهار فهى السوارب . من قوله تعالى « من هو مستخف بالليل وسارب النهار » . فالدين كثروا العدد صموا السوارب إلى السرايا .

ثم يقول . وما زاد على الخمسمائة إلى دوا الثمانمائة فهى المناسر . وما بلغ الثمانمائة فهو جيش . وما زاد على الثمانمائة إلى دوا الألف فهو الخشخاش وما بلغ الألف فهو الجيش الأرم ، وما بلغ الأربعة آلاف فهو الجيش الححمل ، وما بلغ اثني عشر ألفا فهو الجيش الجرار . وإذا اترقت السرايا والسوارب بعد خروجها مما كان دوا الأربعين فهى الجرائد ، وما كان من الأربعين إلى دوا الثلاثمائة فهى المقائب . وما كان من الثلاثمائة إلى دوا الخمسمائة فهى الجمرات وكانوا يسمون الأربعين رجلا إذا وجهوا العصاة .

ثم يقول « ويقول الناس فيما ذكرنا كلاما كثيرا . وقد ذكرنا من ذلك أصل ما قيل وأوحى (٢) .

(١) المشتبه ١ ٢٨٦

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودى ٢٤٢ - ٢٤٤ .

حساب العقد :

يقول الجاحظ في 'أحصره لأنواع الدلالات على المعاني'، في كتاب البيان والتبيين^(١) : «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء ، لا تنقص ولا تزيد . أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات »

ويقول أيضا في تفسير النصبة^(٢) : إنها الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيئة بغير اليد ، وذلك ظاهر في حاق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق . ومثل الجاحظ لذلك بالإسكندر الذي قام أحد الخطباء يؤبنه وقد قام الخطيب على سريرته وهو مسجى ، يقول : «الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعط منه أمس » . فكأنه نطق بأن كل حي إلى فناء .

وكما نلاحظ أنه جعل أنواع الدلالات في كتاب الحيوان^(٣) أربع دلالات فقط : لفظ ، وخط ، وعقد ، وإشارة فأغفل ذكر النصبة هذه . وليس بين النصين تناقض ، فإن الجاحظ وإن لم ينص في الحيوان عليها نصا صريحا ، فإنه جاء بها في ختام هذا

التقسيم ضمما ، إذ يقول بعد كلام طويل : «والأحسام الحرس الصامتة ، ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحه الشهادة ، كما خبر الهزال وك . وف الأول عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن وحسن المضرة عن حسن الحال » .

ويقول : « فمن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا مدهما له جواز في اللغة ، وشاهد في العقل » .

وبذلك يرتفع الخلاف بين هذين النصين

الذي يعيننا من هذا كله كلمة «العقد» الذي جعله الجاحظ ضرباً من ضروب الدلالة . وهو استعمال قديم جداً ترجع جذوره إلى عهود الجاهلية الأولى .

والعقد : نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين ، ويقال له «حساب اليد» . وهو طريقة حسابية إشارية كان العرب يستعملونها ، يعبرون بها عن العدد ولا سيما عند المساومة على البيع .

وقد ورد في صحيح البخاري^(٤) من حديث سفيان بن عيينة يسوق السد إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش ، قالت

(١) البيان ١ : ٧٦ .

(٢) البيان ١ : ٨١ .

(٣) الحيوان ١ : ٣٣ - ٣٥ .

(٤) الألف المختارة ، الحديث ٨٩٦ .

«استنظ النبي ﷺ من اليوم محمرا وجهه يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب . من شر ند اقترب . فتتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه . وعقد سنيك تسعين أو مائة »

وهذا مفسر سراج الحديث عهد التسعين بأن يجعل الرجل طرف إصبعه السابعة اليمنى في أصابعها ، ويضمها ضما محكما بحيث تطوى عقد ها حتى نصير كالحية المطوية . وأن عهد المائة مثل عقد التسعين لكن بالخصر اليمنى وأقول أيضا إن استعمال العهد في الحساب لا يزال مستعملا عند العرب ، بل عند الشعوب قاطبة ، حيث تسعمل أصابع اليدين العشر في الدلالة على العدد ، ثم الأصابع واحدة إثر أخرى بلدا ، الإبهام أو الخصر في إحدى اليدين .

لكن العقد عند العرب عهد له نظام مقنن معقد يقول فيه المعدادي (١) « وقد ألفوا فيه كتبا وأراحير ، منها أرحوره أي الحسن بن علي ، الشهير بابن المعري وقد سرحهما عند القادر بن علي بن شعبان العوفي ، منها في عقد الثلاثين .

واصممهما عند الثلاثين ترى كقابض الإبرة من فوق ترى قال شارح الأرجورة « أشار إلى أن الثلاثين تحصل بوضع إبهامك إلى طرف السابعة ، أي جمع طرفيهما كقابض الإبرة » .

(١) الخزائن ٧ : ٣٨٠

(٢) الموشح للمريزبان ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ثانية

ومن شواهد العقد في مأثور الأدب ما روى المرزبان في الموشح (٢) من أن نصيبا استنشد الكهيت من شعره فاستمع له ، فكان فيما أدشده .

وقد رأينا بها حورا مسممة
بيضا تكامل فيها الدل والشنب
وأن نصيبا تنى حصره وفي روايه
أخرى فعقد نصيب يده واحداً ، فقال له
الكهيت ما تصنع ؟ قال أحصى خطأك .
تعاذت في قولك . « تكامل فيها الدل
والشنب » هلاقات كما قال ذو الرمة .

لمياء في شفتيها حوه لعس
وفي اللات وفي أنيابها شنب

وهذا المص يشير إلى أن العرب كانوا
يتشبهون إلى الواحد تنى الخصر وهو أصغر
الأصابع ومن ذلك قول العرب : فلان تنى
غايه الخصر ، أي هو واحد دهره وفريد
عصره

أخبركم فلان ، وحدثكم فلان :

المألوف في عبارات المحدثين عهد الرواية
أن يقول الراوي حدثنا فلان ، أو أخبرنا ،
أو أبانا . ودان حين يسمع الحديث من
الشيخ ومعه غيره من طلاب الحديث .
وأن يقول : حدثني أو خبرني ، أو أبائي
إذا انفرد الراوي بالسماع من الشيخ . لكننا

نجد في بعض عناصر الرواية مبدأ غريباً يتضمن التعريو بين أخبرنا وحدثنا ، وأن أول من أحدث الفرق بين هذين اللفظين هو ابن وهب تحدث مصر . فعبارة حدثنا تقتضي أن الشيخ يطق بالمط الحديث وأن الطالب قد سمعه منه . وأما أخبرنا فتقوم مقام قول القائل . «أنا فرأته عليه » لا أنه لمط به لي .

ونجد نصاً عربياً آخر ، وهو التفرقة بين أخبركم فلان أو حدثكم فلان . وهذه إنما تتأني حين يحكي الطالب عند قراءته على الشيخ كتاباً . سناً كصحیح البخاری من رواية معينه . كرواية المربري . وإذا قرأ الطالب ما أمامه في الكتاب فإدا يقول حين يترمت ؟ لا بد على هذا أنه يقول . أخبركم أو حدثكم المربري ، لأن الطالب لم يخبره المربري ولم يحدثه

ومن المبالغة في الدقة في هذا ما وجدته في مقدمة ابن الصلاح عند الكلام على أقسام طرق نقل الحديث^(١) من حكاية عن أبي حاتم الهروي أحد رؤساء أهل الحديث بخراسان ، أنه قرأ على بعض السيوخ عن المربري صحيح البخاري ، وكان الشيخ يقول له في بدء كل حديث . «حدثكم المربري » فلما فرغ من

الكتاب سمع الشيخ يذكر أنه إنما سمع الكتاب من المربري قراءه عليه . أي إن الشيخ لم يسمع لمط شيخه . بل سمع لمط القاري عليه . فما كان من أبي حاتم الهروي المتزمت إلا أن أعاد قراءه صحيح البخاري كله على ذلك الشيخ مره أخرى . وكان هذه المره يقول في بدء كل حديث : أخبركم المربري .

وقد وجدت تطبيقاً لهذا في الجزء الأول من تفسير الطبري . قال أبو جعفر إن سألنا سائل فقال إناك ذكرت أنه غير حائز أن مخاطب الله تعالى ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهم . وأن يرسل إليه رسالته إلا باللسان الذي يفهمه . فما أت قائل فيما حدثكم به محمد بن حميد الأردى . قال حدثنا حكيم بن مسالم قال حدثنا عيسى عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبي موسى ، وفيما حدثكم به . . . وفيما حدثكم به . . . يكرر هذا ثلاث مرات

ثم يقول . قال أبو جعفر وكل ما قلنا في هذا الكتاب حدثكم محمد بن حاتم .

ومهما يكن من أمر فإنها صيغة نادرة في الحديث ، يصعب الحصول عليها في كتب

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٥٥

(٢) تفسير الطبري ١ ١٣

الحديث والآثار وهي مطهر من مظاهر
الدقة الصارمة في رواية الحديث .

الشيراز والشواريز :

ترد هاتان الكلمتان في كثير من
المخطوطات عرفتني على وجوه شتى ، فيقال
شبراز وشبراد وشوارير وشوانيز وغير ذلك
والحق أن صواب الكلمة الأولى .
« شيرار » ، وهو نوع من الجبن المأكول . وقد
يظن أن الكلمة فارسية لأنها لم ترد في معاجم
اللغة العربية ، ولكن المعاجم الفارسية ومنها معجم
استينجاس^(١) تذكر الكلمة مقرونة بالرمز A
الذي يدل على أن الفارسية أخذتها من العربية .
وبدلاً تلتقي نسبتها إلى الفارسية ويثبت أنها
من الكلمات الدخيلة على العربية وأن المرس -
بعد ذلك تلقفوها من العربية وقد فسرهما
استينجاس بقوله : Asort of cheese
أي ضرب من الجبن . ووجدت في كتاب
الطبيخ^(٢) للبخاري ضرباً من الأطعمة هو
شيرار بيقول فيه النعناع والكرفس .

ويروى يا قوت في معجم البلدان في رسم
(النهران) قصة ليهودي ساحر أراد أن

يدس سماً إلى أحد الأكاسرة ، فقدم له
عضارة من ذهب^(٣) فيها شيرار في عاية
الطيب ، وطرح في الشيراز أقرطاساً كان
فيه سم ساعة . إلخ . والقصة فيه مطولة

ومن أقدم النصوص التي ورد فيها لفظ
الشواريز القصة التي أوردها ابن الدليم في
الفهرست^(٤) . عن أبي بكر بن دريد قال .
رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة ، يقرأ
كتاب المطق لابن السكيت ، ويقدم الكوفيين
فقلت لاريثي ، وكان قاعداً في الوراقين ،
ما قال - يعني تقديمه للكوفيين - فقال -
والرياشي بصرى - إنما أخذنا اللغة من
حرشة الضباب وأكلة البرابيع ، وهؤلاء أي
الكوفيون أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة
الكواميخ^(٥) والشواريز ، وكلاماً يشبه هذا .

وفاة ابن الدليم سنة ٣٨٥ و وفاة الرياشي
سنة ٢٥٧

وهذا النص يطالعنا أيضاً على طاهرة
من طواهر التعليم ، إذ كانت سوق الوراقين
محالاً للتعليم والمدارسه ، يتلاقى فيها الطلاب
والشيوخ يخدمون العلم . ولأمر ما نهض العرب
الأول بذلك نهضة علمية مباركة .

(١) معجم استينجاس ٧٧٣

(٢) الطبيخ لمحمد بن حسن البخاري المتوفى نحو سنة ٦٢٣ . وعنايته منه نسخة مطبوعة نادرة .

(٣) العضارة : وعاء من حزم .

(٤) فهرست ابن الدليم ٨٦

(٥) الكواميخ . ضرب من الصمغ يؤخذ منه ، نحو ما يقال له المستردة .

وهذا مطهر آخر من مظاهر الحرص على التقافة، وفيه عجب أيضا، يروى السيوطي في المعية^(١) في ترجمة محمد بن يوسف الجزري المتوفى سنة ٧١١ أنه كان حسن الصورة، سابع الشكل حلو العماره كريم الأخلاق، ساعيا في حوائج الناس، وأنه نصّب نفسه للإقراء، فقرأ غايه المسامون واليهود والنصارى.

باب الخلق:

تسمية حديثه جدا لهذا الحى من أحياء القاهرة الذى تقوم إلى الآن فيه دار الكتب المصريه القديمة وكان يجرى فيه الخايج الذى أقيمت فوقه بعض القناطر، منها قنطرة سقر، وقنطرة الذكّة، وقنطرة الذى كسر وقد شاهدنا هذا الخايج يابساً قبل أن يردم ويجرى فيه الترام، وكان باب الخلق هذا متزها شعبيا تمحرق فيه الرياح، ولعل هذا سبب تسميته بباب الحرق.

وقد استمرت التسمية بباب الحرق بالراء إلى عهد على مبارك صاحب الخطط التوفيقية المتوفى سنة ١٨٩٣ الذى كتب فيه بحثاً طويلاً في هذه الخطط وبين حدوده وما تفرع منه من الشوارع والحوارى والأزقة، كما ذكر قصور بعض الأعيان الذين كانوا يقطنون في هذا الحى، وقال ابتداءً من آخر شارع تحت الربع، وامتداه أول شارع عيط العاده بحوار مسجد الساطان ساه.

وأقدم مرجع ذكره بهذه الصورة «باب الحرق» هو الخطط المقريرية لأحمد بن على المقريري المتوفى سنة ٨٤٥ قال «قنطره باب الحرق يقال للأرض البعيدة التى تحرقها الرياح لاسنوائها: الحرق» وهذا تعليل للتسمية. ثم يقول: «وهذه القنطره على الخليج الكبير كان موهبها ساحلا وموردة للسقائين في أيام الخلفاء العاطميين. فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق، وعمر به المناظر في سنة ٣٦٩ أوشأ هذه القنطره لمر عليها إلى الميدان المذكور. وقيل لها فنطره باب الحرق» وهذا النص يطالعنا أيضا على بدء هذه التسمية، التى حرقت من عهد قريب إلى باب الخلق، تأدياً

وفي خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر للمولى محمد أمين الحبي المتوفى سنة ١١١١ هجرية في ترجمة عبد الله بن محمد المعروف بابن الصبيان، أن هذا المترجم ابن العساك ذكره المناوى في طبقات الأولياء، وقال في ترجمته: «شأ وقرأ القرآن عند ابن الماديلي بباب الحرق»

وهذا مثال من أمثلة التغير في أعلام التاريخ، فلو لا هذه الوثائق لسار في التاريخ

(١) دعية الس طى ١٢٠

(٢) الخطط الموصفة ٣ ٥١ .

(٣) الخطط المقريرية ٣ ١٤٧

(٤) خلاصة الادب ٣ ٦٤١ .

أن هذه التسمية الحليدية المخرقة هي التسمية
الأسبانية لهذا الحلي . ولضاع معالم مهما يكن
صئيل الميحه فان له قيمه تاريخيه حصاره

العبد اللاوى :

ويسميه العامه في مصر « العبد لاوى »
تتشديد اللام . وهو ضرب من التهام يقال
للأنحصر منه في مصر « عحور » وإذا أصبح
اصغر واكتسب حلاوة ورائحة طيبه يلى
أى شىء تنتمى هذه النسبه ٢

إن سميته بذلك قديمه جدا ترجع إلى عهد
الوالى العربى عبد الله بن طاهر الخراعى الذى
ولى مصر من قبل المأمون سنة ٢١٠هـ وفيه يقول
بعض الشعراء :

يقول أناس إن مصرا بعيدة
وما بعدت مصر وفيها اس طاهر

ويقول اس حاكمان (١) . « وذكر الوزير
أبو القاسم بن المعرى في كتاب أدب
الخواص إن الطييح العبد لاوى المرحور
بالديار الصريه منسوب إلى عبد الله المذكور »
ويقول اس حاكمان أيضا « وهذا النوع
من الطييح لم أره في شىء من البلاد سوى
الديار المصريه » وعال نسبته إليه بقوله

« ولعاه نسب إليه لأنه كان يستطيعه ، أو أنه
أول من ررعه هناك » .

ويدكر الأمير مصطفي الشهابى في معجمه (٢)
أن عبد اللاوى هو العبدلى والعبدلاوى على
ما ذكره عبد اللطيف المعدادى وغيره «

وفد وحدته برسم (العبدلى) عبد داود
الأنطاكي في رسم (الطييح) ووصفه بأنه
بطيخ له عنق طويل ياتوى ، وفي الجهة
الأخرى رأس يطول إلى نحو شبر ، والوسط
كبير ، أصابه من سمرقند ، ويسمى عبدنا
الشرى ، وبمصر . العبدلى

الملوخية :

كلمة لم تعرفها العرب ، ولا حرت
على لسانها ، وإنما عرفوا أحبتها وتثقيقتها :
« الخمارى » التي تذكر المعاحم أنها بقلة
معروفة عريضة الورق .

والملوخية أو الملوكية يعرفها الباتيون
وعلماء المفردات الطمية أنها النوع البستاني
من الخمارى البرية . ويذكر صاحب المعتمد
يوسف بن رسولا صاحب اليمن المتوفى
سنة ٦٩٥هـ أنها التي يسميها أهل الشام :
الملوكية (٣) . ويقول الأمير مصطفي الشهابى (٤)

(١) وفيات الأعيان ١٦٢ ٢٦٢

(٢) معجم الألفاظ الزراعية ١٧٨

(٣) المعتمد لاس رسولا ص ٣٥٢

(٤) معجم الألفاظ الزراعية ص ١٨٤ .

لعل أصابها ملوكيه بالكاف ، كما ذكر الخفاجي في شفاء الغليل^(١) . ولكن الأرجح أنها من ملوحيون أو ماوخي اليونانيين الدالتين على الحباري ، وقد انتقل اللفظ إلى السريانية فالعربية .

وفي المعتمد أيضا أمها الملوكية^(٢) ، وهي ضرب من الحباري ، واجوده الأحصر العظيم الورق الذي قصبانه إلى الحمرة . وذكرها دواد الأنطاكي في التذكرة في رسم الحباري . ووصفها بسحو ما في المعتمد .

وفد بين تاريخها صاحب سماء العايل فقال : « ولم تكن معروفة قديما وحدث بعد سنة ثمانمائة وستين من الهجرة ، وسببها أن المعز باي القاهرة لما دخل إلى مصر لم يوافقه هواؤها وأصابه يابس في مزاجه فدبر له الأطباء قانونا من العلاج من هذا العلاء فوجد له نفعاً عظيماً في التبريد والترطيب وعوفي من مرضه فتبرك بها . وأذكر هو وآتباعه من أكابها ، وسموها ملوكيه ، فحرقها العامة وقال : ماوحيا .

هذا ما كان من أمر المعز لدين الله الماطمي .

أما ما هو معروف ويذكره التاريخ للحاكم بأمر الله الماطمي فإن الحاكم سعى عن بيع القمع والملوحيا والترمس والجرجير والسماك الذي لا فسر له ، كما أنه منع

من بيع العنب ، في حمايات كثيرة يسردها ابن خاكان في ترجمته . والله أعلم .

الملح في مكة في القديم والحديث :

أما في الحديث فحدث عن الثالج ولا حرج فقد تحملت به الدهرياء بوسائلها المحتملة من الأجهزة الحديثة المتعددة . وأما في القديم فأقدم نص تاريخي هو ما عثرت عليه في تاريخ الطبري في حوادث سنة ١٦٠ من الهجرة إذ يقول الطبري : « وفي هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثالج للمهدي حتى وافي به مكة ، فكان المهدي أول من حمل له الملح إلى مكة من الخلفاء » .

وهذا النص لما يرى نص عمل ، لم يعتبر فيه الموضع الذي اجتنب منه الثالج ، والمظنون أن يكون من قسم الجبال العالية القريبة من مكة على مستوى الجزير العربية .

وهو يذكرنا بالبحر الحديث الذي كات المملكة السعودية قد أرناسها منذ زمن ليس بالبعيد . أن نسوق بوسائل العمل البحريه الحل الصالحه من ملح المحيط الجنوبي ، إلى السعوديه ، لمحياء إلى ماء للارتواء والروع ولحس وجد بعد الدراسات المسعوديه المسقيصة اسها باهظه النخالييف هاييله الخدوى ، فعدل عنها .

(١) سماء العايل الخفاجي ص ١٩٦ .

(٢) المعتمد ص ٣٥٢

بيت عائر من الشعر القديم :

سألني عنه بعض الفضلاء فلم أعرف
نسبته مع أنه بيت مشهور يتمثل به الكثيرون
وقد عثرت على النسبة في تاريخ الطبري
في حوادث سنة ١٥٩ يقول الطبري : عزل
المهدي إسماعيل بن إسماعيل عن الكوفة
وولى مكانه إسحاق بن الصباح الكندي
ممشورة شريك بن عبد الله قاضي الكوفة
ولما أفرد شريك هذا بولاية الكوفة جعل
على شرطها إسحاق بن الصباح هذا فلم يقيم
إسحاق بواجب الشكر لشريك الذي ولاه
الشرط . فقال فيه شريك

صلى وصام إذ نيا كان يأملها

فقد أصاب ولا صلى ولا صاما

ومن هذا يتضح أن عمر هذا البيت
هو على التحديد الآن ١٣٤٦ عاما

ببحر العلماء العرب في خدمة العلم :

ولسا بحاجة إلى صرب الأمثال في ذلك
نخدمتهم لعلوم الحديث والتفسير والتفقه .
والتفريعات التي أحروها في جميع مجالات
الشتى الثقافية ولعل كتب المتناوى المتعددة
الأسماء والصروب وموسوعات الحديث
والتفسير والتفقه وأصوله ، وأمنلة رائعة
في ذلك لا يجد لها نظيرا أو مثيلا في ثقافة غيرهم
من الأمم ، وعناية أي المرح الأصمهان بتسجيل
أصوات الموسيقى في كتابه المارغ مما

يستوجب الدهشة وشديد الإعجاب .
ولأضرب مثلي من براعتهم المائفة الحد
في عنايتهم بالسحو

أما المثل الأول فإننا نحده في ترجمه
السيوطي للنحوي الحسن بن الوليد القرطبي
المعروف بابن العريف النحوي. وبعد أن نقل
قول ابن القرطبي أنه كان نحويا مقدما فقيها
في المسائل : حافظا للرأي ، حرج إلى مصر
ورأس فيها وفيات سنة ٣٦٧ قال قات
وصنع لولد أبي عامر المصور مسألة
فيها من العرب مائتا ألف وحه واثان
وسبعون ألف وحه وثمانية وتسعون وحه
أي ٢٧٢٠٩٨

أما المثل الثاني فما ورد في كتاب المعنى
لنقي الدين مەصور بن ملاح النحوي الذي فرع
من تأليفه سنة ٦٧٢ وهو ما سماه النحت
التاسع في الرياضه . يعرض نموذجاً لتسلسل
الأحبار في نحو قولهم . زيد أبوه أخوه عمه
حاله ابنه بنته صهرها حاريتة سيدها صديقه
قائم . وهو أسلوب صحيح على ما يبدو
فيه من الاستكراه ، ولكنه رياضه ذهبيه
ترقيّة من الممكن أن تعالج بيسر إذا أعيد
كتابتها على الورق ، ويقصد بهذا الأسلوب
أن صديق سيد حاريتة صهر بنت ابن حال
عم أخى أبي زيد قائم ، وكل مهما أسلوب
صحيح واضح وإن كانا يحتاجان إلى معالجه
ذهبية تستوجب تنبها من الدكاء .

ومع هذا يمكن أيضا أن يطول هذا الأسلوب الخيالي إلى ما لا نهاية له مع استعمال الضمائر الرابطة، ولكن في هذا القدر كفاية كما يقولون .

ومن اجتهادات هؤلاء السلف ما يروى عن أحمد بن محمد بن يحيى اليزيدي النحوى الموحى المتوفى قبل سنة ٢٦٠ أنه صيغ بيتاً يجمع حروف المعجم ، وهو قوله :

ولقد شجنتى طمأة برزت صحى
كالشمس خيما العظام بلى العضا

بعض أخطاء الضبط :

(البيرونى) يخطئ كثير من الأدباء والعلماء فيسقطون هذا العلم بفتح الباء ، حريا منهم على ما ألفوا من الخطى بسطيره البيرونى المنتهى بالتاء نسبة إلى بيروى الحميميه والصواب الذى لا ريب فيه أن يقال الأول بكسر الباء .. والبيرونى هذا هو أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى ، الفيلسوف الرياضى المؤرخ المتوفى سنة ٤٤٠ الذى يقول فيه ياقوت فى بيان مؤلفاته « رأيت مهرستها فى وقف الخامح بمرور نحو الستين ورقة ، بخط مكتمل » أى مجتمع ممتلىء . وهو صاحب الآثار الباقية عن القرون الخالية . والجواهر فى معرفه الجواهر ، والقاموس المسعودى

ولست هذه الكلمة نسبة إلى جنس أو إلى بلد معين ، بل هى كلمة خوارزميه بمعنى البرانى مقابل الجوانى ، كما ذكر ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ فى ترجمته ، وقال : « سألت بعض الفضلاء عن ذلك وزعم أن مقامة بخوارزم كان قليلا ، وأهل خوارزم يسمون العريب بهذا الاسم ، كأنه لما طالت غربته عنهم صار عريبا »

وفد ذكر السيوطى فى بغية الوعاة هذا النص أيضا ، ورجوعى إلى المعجم الفارسى لاستينجاس وجدته يفسر بيرونى بلفظ . Extcernal ومعناها الغريب .

وكلمه « البرانى » قال فيها صاحب تاج العروس تعليقا على قولهم « من أصلح برابه أصلح الله جمواتيه » قال : قال أبو منصور : وهذا من كلام المولدين ، وما سمعته من فصحاء العرب البادية . والمعنى : من أصلح سريرته أصبح الله علانيته أحد من الجود والرءاء ، فالجود كل بطن غامض والبر : المثن الظاهر فحاءت هاتان الكلمتان على النسبة مع زيادة الألف والنون .

(عزون) من التسميات التى أولع الأعاجم بحتمها بالواو والنون ، وجرى على هذا كثير من إخواننا بالمغرب وقد يقرأ هذا العلم وهما بكسر العين على أنه من العر

(١) بغية الوعاة ٢٠

(٢) بغية الوعاة ٢٨٨

والحق أنه بفتح أوله « عزون » وليس أدل على ذلك مما ورد في الشعر الذي لا يحتمل الشك ، من قول ابن السيد البطليوسي، وهو يذكر ثلاثة أبناء لابن الحاج صاحب قرطبة وهم : عزون، ورحمون ، وحسون . وكان هؤلاء الأبناء من أجمل الناس صورة . وأربعهم ابن السيد وقال .

أحرب سمي حتى كاد يخفي

وهرب في حب عرو فعرى

تم ارحموني برحمن فان طيبت

نفسى إلى ريق حسون فحربى

ومما يحذر ذكره أن الحاجة قد تعرضوا لأعراب هذه الأسماء، ولعل أول من أفتى في ذلك أبو على الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ إذ مع صرفها للعامة وشبه العجدة . حين رأى أن جهادون وأشباهه من الأعلام الريد في آخرها واو بعد ضمه ونون لغير حده لا يوحد في استعمال عربى محمول على العربية . بل في استعمال عجمى حقيقه أو حكما . وألحق بما مع صرفه للتعريف والمجتمعة المحصية (١)

فلال النحو والصرف :

(الواحد عشر) نحن نقول انقول الحادى

عشر . والثانى عشر والثالث . وهكذا

ونقول : الباب الحادى والعشرون والثانى والعشرون، وهكذا :

وكلمه « الحادى » هنا معناها الواحد ، وهى مقابضة منه بلا شك ، إذ ليست من الحذاء وقد التزم العرب ذلك القلب اطراد ، ولم يبتغوا بالأصل ، إلا ما حكى الكسائى من قول بعض العرب شذودا : الواحد عشر وقد نزل هذا النص عن الكسائى صاحب التصريح وحاء في الأشموى أيضا (٢)

« وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم واحد عشر فساد منه به على الأصل المرفوض قال في شرح الكافية ولا يستعمل هذا الباب في واحد إلا في تأكيد مع عشره ، أو مع عشرين وأحواله .. . وانظر ما كتبت من تحقيق في حواشى الخراء تعاليفا على قول البعدادى « الشاهد الواحد والتلاتون بعد الستائة

(الأوله) نحن نقول . الباب الأول وإذا وصفا الأنثى قلنا التخصية الأولى أو المسألة الأولى والأول والأولى من باب أفعال التى مؤنثة فعلى كالأكر والكبرى ، والأصغر والصغرى . والأفصل والتفصيل ، من الأوصاف التى تؤنث بالثاني المتصرفة

(١) الأشموى ٣ . ٢٦٢ .

(٢) التصريح ٢ : ٢١٧ .

(٣) الخزانة ٨ : ٢٣١ .

لكننا نجد من يقول في تأنيثها (الأولة) يؤنسها بالتاء وأقدم نص عثرت فيه على استعمالها ما وجدته في الفهرست لابن النديم^(١) المتوفى سنة ٣٨٥ أن الكتاب العبرانية كانت في لوحين من حجارة، فلما نزل موسى إلى الشعب من الجبل ووجدهم قد عبدوا الوثن اغتاظ عليهم ، وكان حادا - أى حاد الطبع ، فكسر اللوحين ، وندم بعد ذلك ، فأمره الله جل اسمه أن يكتب على لوحين الكتابة الأولى .

ثم وجدت ابن بطلان المتوفى سنة ٤٥٤ أى بعد ابن النديم بتسع وستين سنة فقط يستعمل الكلمة نفسها في جميع المواضع من كتابة «شرى الرقيق وتقليب العبيد»^(٢) فيقول : «الوصية الأولى» ثم يعيد العبارة نفسها في ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

ومن المعروف أن ابن بطلان رحل إلى مصر سنة ٤٤١ وأقام بها ثلاث سنين ثم عاد إلى أنطاكية فأقام بها إلى أن توفي . ويبدو أن ابن بطلان التقط هذا اللفظ من المصريين الذين لا يزالون يستعملون كلمة «الأولة» كثيرا في أعانيهم الشعبية . وقد وجدت لهذا الاستعمال سندا في اللسان (وأل ٢٤٤) وفيه وحكى ثعالب .

(١) الفهرست ٢٢ .

(٢) بواد المخطوطات ١ ٢٥٤

(٣) الحرب بالتحريك ذكر الحارث .

هن الأولات دخولا والآخرات خروجا ، واحدها الأولية والآخرة .

(مايئة) يصك أسماعا من يطق بكلمته «مائة» الفصيحة على هذه الصورة التي نخالها عامية شنيعة، والحق أن لها سندا من الاستعمال العربي القديم ، عثرت عليه في كتاب المقرب لابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٩ في مخطوطة عتيقة بدار الكتب المصرية يرجع تاريخها إلى سنة ٧٢٢ وهي مقابلة على أصول صحيحة ، يقول ابن عصفور عند الكلام على الجمع في الورقة ٨١ . «ولا يجوز العطف وترك الجمع ، إلا أن يراد الكثير نحو قول الحكم بن المنذر :

* بل مائة ومائة ومايه *

بوضع فتحه على الميم الثالثة ، وسكون على هائها . فهذا شاهد على صحة كلمة «مايئة» في التعبير عن المائة ، على ما بها من شذوذ .

(الأخوة) بضم الهمزة ، لفظ يستكره كل الاستنكار جمعا للأخ ، والفصيحة فيه إخوة بكسر الهمزة لكن ذكر صاحب اللسان في مادة (أحو) أن الأخ ، وورنه فععل ، يجمع على إخوان مثل خرب وخربان^(٣) وعلى إخوة وأخوة عن الفراء ثم يقول :

« فأما سيدويه فالأخوة بالضم عنده اسم
للجميع وليس بجمع ، لأن فعلاً ليس مما
يكسر على فُعلة »

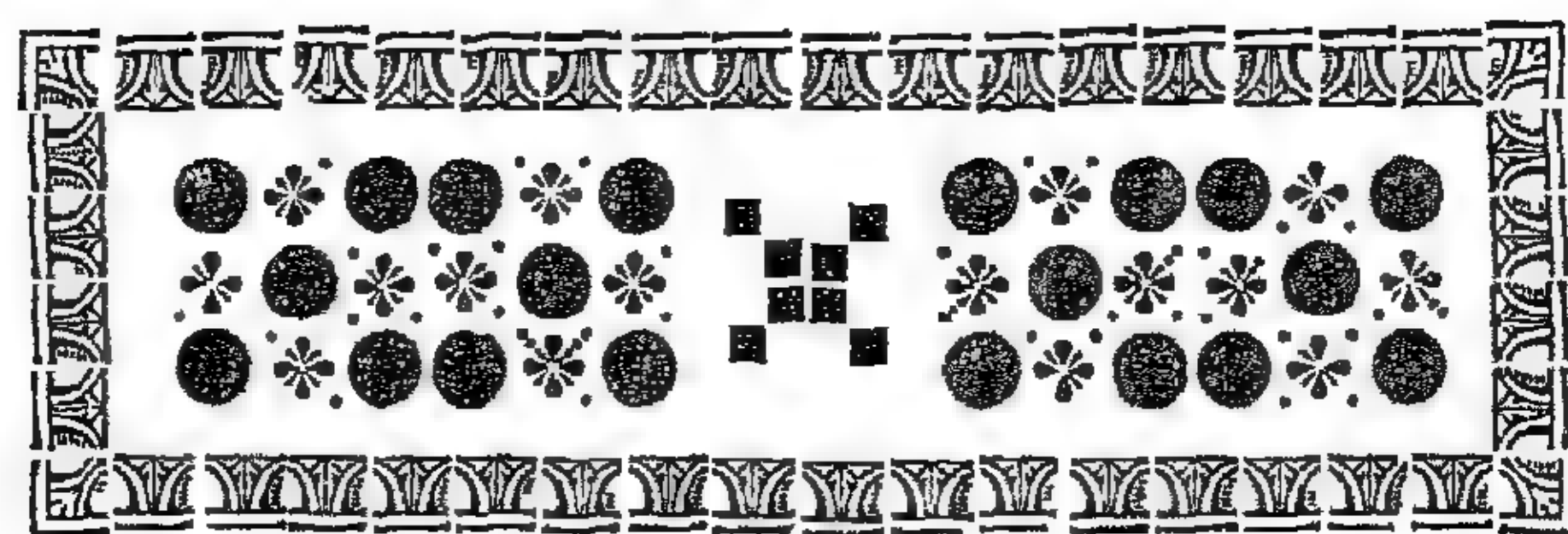
(حَوْق) يقول العامة في تعبيرهم حينما
يشكون قلة ما يقدم إليهم من مال أو طعام :
ما يحوَّقَس ، أى لا يحوَّق . ويحوَّق كلمة
عربية أصيلة ، وفي حديث أبي بكر
حين بعث الجند إلى الشام ، كان في وصيته
« ستجدون أقواما محوَّقة رءوسهم » أراد
أهم حلقوا أوساط رءوسهم ، من الحوق
بالضم ، وهو الإطار المحيط بالشئ المستدير .
وقد وجدت تعريزا لهذا البص في مقدمة
ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن المتوفى
سنة ٦٤٣ وحدثه وهو يرسم المنهج في
مقابله المخطوطات يـقـول . وإن كان

فيها نقص ، أى في النسخة المعارض بها ،
والزيادة في الرواية التي في متن الكتاب ،
حوق عليها بالحمرة » ، أى أدار على النص
الرائد دائره مرسومة بالمداد الأحمر .

وإذن همجاز قولهم لا يحوق ، أى
لا يكمل الدائرة ، أى لا يمثل الكفاية
المطلوبة .

وأقول هذا بعض من كل ، مما أردت أن
أُسجله في كلمة اليوم ، وهو لا يحوَّق أيضا
على بعض ما أرجو أن أُسجله وأنشره
للعلماء والأدباء ، من نوادر كاشتي التي
أعتر بها كما أعتز بكم جميعا ، إخوة
أشقاء ، وضيؤا أعراء أجلاء ما

عبد السلام محمد هارون



كلمة "إلا" في القرآن الكريم للأستاذ سعيد الأفغاني

على معاني الأدوات التي استنبطها من الشواهد في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب، نثره وشعره، بل بسط معظم مسائل النحو وهو يناقش الشاهد، وإن كان في كثير مما ذهب إليه نظر.

وبعد، فحداني على بحث معاني «إلا» في القرآن الكريم، عقدة في نفسي وأنا تلميذ في الصفوف الإعدادية في (مكتب عبر بدمشق)، حين أسمعنا المدرس لأول مرة مصطلح (الاستثناء المقطع) ومثل له بالمثال الشائع في كتب المتأخرين كشرح ابن عقيل مثلاً (فام القوم إلا حمراً)، فلم يسغ لدهني الناشئ فهم المثال وإن شرح بأن المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه، وقلت في نفسي كيف أخرجه من شيء لم يدخل فيه من الأصل؟! ثم مصت سوس، وشرعت في التدريس الابتدائي والثانوي والجامعي إلى اليوم، خمس وخمسون سنة، حبيب إلى فيها ابتكار

الالتفات إلى الكلام على معاني الحروف

بـ

في المئمة الثانية للهجرة، تم تلاه كتب في اللامات، أقدمها فيما أقدر (كتاب اللامات) لأبي ريد الأنصاري المتوفى سنة (٢١٥ هـ) وكتب في الألف واللام وغيرها. وكلها رسائل في أوراق، ثم جاء الزجاجي في المئمة الرابعة (٣٤٠ هـ) فألف رسالته في الحروف، وتتابع التأليف وتنامى مع الزمن حتى إذا وصلنا إلى المئمة الثامنة، طالعا علماء ثلاثة طبعت مؤلفاتهم فرأينا كيف اتسع الكلام على الحروف، أولها (رصف المباني في حروف المعاني) للمالقي المتوفى سنة (٧٠٢ هـ)، وثانيهما (الحنى الداني في حروف المعاني للمرادي المتوفى سنة (٧٤٩ هـ)، ثم جاء الثالث فأدسى - في رأيي - ما قبله وما بعده، ذلك هو ابن هشام الأبصار المتوفى سنة (٧٦١ هـ) فأخرج مؤلفه الممتع (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لم يقتصر فيه

ما أقرب به لطلاني المحو ، وأعرض بأساوي
المادة الدسمة لا علم في مطولاته شروحا وحواسني
وتعليقات وتقارير في القديم والحديث آخذاً
نفسى بأصول أيقنت بسلامتها وبما تعود
به على العلم من خير وصبى وإقناع ،
مستفيدا من أساليب حديثة في التربية وأصول
التدريس ومن مباحث في تقرير مسائل
العلم ، تستند إلى منطق عامي واضح
الصواب ، وانتهيت إلى أن المحو في حقيقته
هو ما استند إلى الموثوق به علمياً من كلام
العرب ، بتمحيه الضرورات الشعرية عن
طريق القواعد ، ورجوت للمحو زيادة في
الوضوح ، حتى أزيل ما بنى على غير ذلك ،
وبقى من حذل لفظي كثير ومما حركات وترتيف
تواهد أوسدت العلم وأضعفت ملذات
وأضاعت أوقاتاً لو أنفق بعضها على تذوق
اللغة وأدبها لعاد على الملكات بأعظم
الخير .

* * *

أحصيت المواضع التي وردت فيها
كلمة (إلا) من القرآن الكريم فبانت
(٦٤٣) ، كثرتها الغالبة طابعت معانيها
أعاريها وكانت من الاستثناء حقاً ، و (٣٤)
منها لها معنى آخر لا يذكر في كتب المحو
المدرسية كشرح ابن عقيل لألفية ابن
مالا ، وشرح شذور الذهب لاس هشام

الأنصاري ، لكنك حين تقرأ شرح هذه
الآيات في التفسير تجد ذكر المعاني الصحيحة ،
فيقول المفسرون . (إلا) هما معناها (لكن)
وبذلك تنقطع هذه الأداة عن معنى الاستثناء
لتؤدي معنى الاستدراك ، ويكون ما بعدها
جماعة جديدة تدفع ما قد ينشأ من توهم
في ذهن السامع ، وهذا هو معنى الاستدراك

وكالمفسرين في تحديد هذا المعنى الصحيح
لـ (إلا) المعجميون ، فترى الجوهري
ينص على أنها تكون في (الاستثناء المنقطع
بمعنى (لكن) ، ونقل قوله هذا ابن
منظور في معجمه (لسان العرب) وأيده

فانظر في ثلاث من هذه الآيات محكمين
المعنى المقصود الآية الأولى قوله تعالى .
١ - «هَذَا مَذْكُورٌ لِمَا أَنْتَ مَذْكُورٌ لِسْتِ
عَلَيْهِمْ بِمَسْطُورٍ إِلَّا مِنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ
اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (١)» .

بوضعنا (لكن) مكان (إلا) يحصل في
يدنا معنيان : الأول (لأنك التذكير
لا السيطرة) والثاني (من تولى وكفر يعذب
الله العذاب الأكبر) . وبذلك ورد سؤالاً
قد ينشأ عن الحملتين الأوليين وهو (إذا
لم يسجدوا ولا سيطر على عليهم فهل يترك
وشأنهم ؟) فكان ما في الآيتين الأخرين
الجواب الشافي . (من تولى عذبه الله) ،
وهذا هو المعنى المتسار إلى ذهن العربي
السليق .

لكن موقف الصنّاعين يختلف ، فليس فيه هذا اليسر والوضوح في الوصول إلى المعنى ، ولأقتصر على اثنين منهم ألفاً في النحو وفي التفسير ، وهما الزمخشري (٥٣٤ هـ) وأبو حيان الغرناطي في المئنة الثامنة (٧٥٤ هـ) وكل منهما متأثر - شعر أم لم يشعر - بتقاليد صنّاعته وقيودها

قال الزمخشري في تفسيره (الكشف) :

« إلا من تولى » استثناء منقطع ، أي لست بمستول عليهم . ١ هـ

وهذا سهو منه رحمه الله ، إذ لو كان استثناء لأصبح المعنى كما هو واضح من السياق . أنت تستولى على من تولى وكفر لا على من ذكرته (لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فأنت مسيطر ١ هـ) وهو - كما لا يخفى - عكس المقصود

ثم قال (ولكن من تولى وكفر فإن لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الأكبر الذي هو جهنم) .

وليته اكتفى بحمالة (لكن) التي فرضها عليه المعنى وأسقط ما قبلها وما بعدها ، لكنه كرر عليها بما يضعفها فزاد . (وقيل استثناء من قوله « فذكر » أي فذكر إلا من انقطع طمعه من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ، وما بينهما اعتراض) يريد قوله تعالى : « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وبذلك عاد على قوله (ولكن من تولى . . .)

بالإلغاء ، وأتى بإثباته هذا القول الضعيف بمعنى غريب هو : (فذكر إلا من انقطع طمعه من إيمانه) ، ولم يتساءل غفر الله له - : كيف يعرف ذلك منه قبل تذكيره ؟ وما الفائدة من تذكيره إذا ؟ كان التالي لهذه الآيات أقرب إلى فهمها الصحيح قبل أن يفرع إلى هذه البابلية في تفسير (الكشف) .

ويأتى بعد الزمخشري بمثنى سنة أبو حيان النحوي المفسر (٦٥٤ - ٧٥٤ هـ) في تفسيره (البحر المحيط) ما يأتي :

(إلا) حرف استثناء ، فويل متصل أي . فأنت مسيطر عليه (يريد قوله . إلا من تولى وكفر) ، وقيل متصل من (فذكر) أي فذكر إلا من انقطع طمعه من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ، وما بينهما اعتراض ، لم يزد على عبارة الزمخشري إلا نفقة شيئاً ، ثم قال . (وقيل منقطع ، وهي آية موادة نسخت بآية السيف) ١ هـ ولم يذكر معنى الاستدراك الستة .

وكذلك فعل مختصر البحر في كتابه (النهر)

والطريف أن أبا حيان أورد بعد ذلك قراءة ابن عباس ورید بن علی وقتادة وزید بن أسلم (ألا من تولى وكفر : .) و (ألا) فيها حرف تنبيه واستفتاح ، وهي

قراءة تؤيد أن جملة «إلا من تولى»
كلام جديد لاستثناء فيه ، لكن أبا حيان
غفل عن فقهها الذى يؤيد استدراكه
(إلا) كل التأيد .

وبعد مئة سنة شفى النفس جلال الدين
الحلى (٨٦٤ هـ) فى تفسيره المختصر
(تفسير الجلالين) ، فأخذ من كل الأقوال
السابقة معنى الاستدراك فقط بوضعه إلى
جانب (إلا) كلمة (لكن) ليصح الكلام .
لكن من تولى وكفر فيعذبه الله . . إلح
بقدر كان محققاً كل الحق فى هذا ، وأعرض
عن كل ما سبق من أقوال فأحسن ثم
أكمل السيوطى تفسير الحلى الذى فسر النصف
الثانى من المصحف فقط ، واجتهد فى
اتباع منهج الحلى . فكان هذا التفسير
المسمى بتفسير الجلالين إشاره إلى الجلال
السيوطى ، التفسير الذى - لولا ما فيه من
إسرائيليات - لكان أجود مختصر وأسرع
مسعف فى بيان المعنى للعجلا .

٢ - والآية الثانية قوله تعالى فى اليهود .
« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى
وأن هم إلا يظنون » (١) .

لم يعرض الزمخشري فى تفسيره لمعنى
(إلا) فى هذه الآية لكنه قال «إلا
أمانى» . إلا ما هم عليه من أمانهم ، وأن
الله يعمو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم
بخطاياهم ، وأن آباءهم الأنبياء يسمعون

لهم ، وما تمنىهم أحبارهم من أن النار
لا تمسهم إلا أياماً معدودة ، وقيل . إلا
أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فتقبلوها
على التقليد . ثم قال : «إلا أمانى من
الاستثناء المنقطع» ١ هـ

أقوال مختلفة ، ولو عرض أولاً للمعنى
(إلا) فقال . لكن يعلمون أمانى لقنوها
وأكاذيب) تمكن المعنى فى نفس القارئ
منذ البدء .

وقرباً من ذلك فعل أبو حيان فى
تفسيره (البحر المحيط ١ - ٢٧٥) ،
عنى بالصاعقة قبل تعرضه لشرح المعنى ،
قال :

«إلا أمانى» ليست من جنس الكتاب
ولا مندرجة تحت مدلوله ، وهو أحد
قسمى الاستثناء المنقطع ، وهو الذى
يتوجه عليه العامل ، ألا ترى أنه لو قيل
(لا يعلمون إلا أمانى) لكان مستقيماً
وهذا النوع من الاستثناء يجوز فيه وجهان :
أحدهما المصعب على الاستثناء وهى لغة
أهل الحجاز ، والوجه الثانى الإتيان
على البدل بشرط التأخر ، وهى لغة تميم ،
فنصب أمانى من الوحيين (١ هـ)

لم أدر ما علاقة هذا كله بهم الآية ؟
لكن أبا حيان بعد هذا ناشر الموضوع
فقال :

(والمعنى : إلا ما هم عليه من أمانهم ،

وأمانهم أن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم . . . أو لا يعلمون إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من عالمهم نفاوها على التقليد . (وهذه عبارة الرمحشري نفسها) وقيل معناه (إلا تلاوة) أى لا يعلمون فقه الكتاب ، إنما يقتصرون على ما يسمعون به يتلى عليهم .) ١ هـ

في هذا المثال أيضاً كان تفسير الحلالين الموجز خيراً منهما في حلاء المعنى . فقد حط عليه مباشرة واكتفى بقوله .

(ومن اليهود عوام لا يعلمون التوراه إلا أماني) لكن أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها)

وبتفسير (إلا) بـ (لكن) وضع المعنى على طرف الثام ، وأضرب عن ذكر الاستثناء المنقطع ، وتقسيمه ، وعلى اللغات فيه بين المصوب والرفع وتوجيه كل منها .

٣- ونأتى إلى الآية الثالثة . « فلولا كانت قرية آمنت وصعبها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كتمانهم عذاب الجحيم في الحياة الدنيا ومتبعهم إلى حين » (١)

في كشف الرمحشري . « إلا قوم يونس » استثناء من القرى ، لأن المراد أهاليها ، وهو استثناء منقطع بمعنى (لكن) متصلاً والجملة في معنى النفي ، كأنه قيل .

ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس ، وانتصابه على أصل الاستثناء . وقرئ بالرفع (إلا قوم يونس) على البدل ، هكذا روى عن الجرمي وسيمويه . ١ هـ

لقد حمدت لارمحشري هنا تصريحه بأن معنى إلا هو (لكن) وإنما تمام هذا التصريح في كلامه على الاستثناء المنقطع ، وحوار المتصل بها إلى آخر ما قال . أما أبو حيان فاشتغل عن التفسير بمقالات نحويين في الاستثناء متصلاً ومنقطعاً ، ولم يعرض للمعنى (إلا) في الآية البتة ، إذ قال : « إلا قوم يونس » . و (قوم) مصوب على الاستثناء المنقطع ، وهو قول سيمويه والكسائي والفراء والأخفش ، إذ ليسوا (يرباء قوم يونس) مندرجين تحت لفظ (قرية) ونقل قول الرمحشري السابق ، ثم عطف بقول ابن عطية . (هو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه المحويون ، وهو بحسب المعنى متصل ، لأن تقديره : ما آمن أهل قرية إلا قوم يونس ، والمصوب هو الوجه ، لذلك أدخاه سيمويه في باب ما لا يكون فيه إلا المصوب ، وذلك مع انقطاع الاستثناء . وقالت عوفه : يحور فيه الرفع ، وهذا مع اتصال الاستثناء . وقال المهدوي : والرفع على البدل من قرية . وقال الرمحشري . وقرئ بالرفع على البدل ، عن الجرمي والكسائي : ١ هـ

سقت هذا والكتب الثلاثة كتب تفاسير وشرح معنى ، لا كتب في النحو الصاعى . أما تفسير الجلالين ، فقد قال كلمة واحدة أغت وألغت كل ماتقدم ، وتكفأت بإصباة الهدف ، قال : « إلا قوم يونس : لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم .

ومن المفيد الإشارة إلى أن من العلماء قبل أى حيان من هدى إلى المعنى الصحيح (إلا) فقرره لها محتجاً بآيات كريمة وإن لم يكن كتابه كتاب تفسير ، بل كتاب نحو ، عنيت الذى طرى النحو بأسلوبه العذب ، أما البركات ابن الأنبارى (= ٥٧٧ هـ) فى كتابه المستساغ (الإنصاف فى مسائل الخلاف) لقد أقر الاستثناء المنقطع كما قبل غيره قبله وبعده ، لكنه كان محسناً كل الإحسان حين قال فى المسألة ٣٥ (١)

(إلا) فى قوله تعالى (٢) « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني » . استثناء منقطع ، والمعنى : لكن الذين ظلموا يخشون عليكم بغير حجة ثم استشهد على هذا المعنى بقوله تعالى : « ما لهم به من علم

إلا اتباع الظن » (٣) قال : معناه . (لكن يتبعون الظن)

وبقوله تعالى . « وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » (٤) معناه لكن وبقوله تعالى . « ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » (٥) معناه : لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون . لقد فطن إلى تمام الجملة بعد (إلا) كما فطن إلى أن المعنى هنا هو الاستدراك فحسب

* * *

ونتساءل : هل تتابع النحاة بعد أبى حيان على إهمال معنى الاستدراك (إلا) فى كتبهم ؟ . المؤسف أن ذلك استمر ، ولقد كان من المتوقع أن ينهى الإهمال ويتلافى بالمشروع الجليل النفع الذى تصدى له ابن هشام الأنصارى (= ٧٦١ هـ) صاحب (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب) أوسع كتاب ألف فى معانى الأدوات فى اللغة العربية . لقد اجتهد فى تصيد معانى كل أداة من قريب ومن بعيد ، فجمع ما فى محوطة ومصادره من شواهد كل

(١) ص ٢٦٩ من الجزء الأول

(٢) سورة البقرة ٢ / ١٥٠

(٣) سورة النساء ٤ / ١٥٧

(٤) سورة الأعلى ٩٢ / ١٩ ، ٢٠

(٥) سورة التين ٩٥ / ٥ و ٦

أداه من القرآن الكريم، بقراءاته المتعددة ،
ومن الحديث الشريف ، ومن كلام
العرب نثره وشعره ، حتى إذا أَرْضاه
الجمع كر على شواهد يستقصى فيها
معاني كل أداة على حدة ، فصبر وصابر ،
بل بالغ في إضافة معانٍ لا تحتماها الأداة
مفردة ، فحملها ما أوحى به سياق ما في
نظره . . . ، فلما وصل إلى الأداة (إلا)
والكمال لله - حملها معنيين لا أصل لهما ،
وفاته معنى أصيل مستفيض ، وهو الاستدراك
جعل ابن هشام لـ (إلا) أربعة معانٍ (١) .

١ - الاستثناء ٢ - مرادفة (غير)

٣ - العطف . ٤ - الزيادة

والمعنيان الأخيران لا يصحان .

أما العطف فتبع فيه ابن هشام كوفيين
عملوا عن المعنى الحق للآيات الكريمة ،
وقد مرّ بعضها ، وأما الزيادة فقد
عرره فيها شاهداً أحدهما لا دليل فيه
لاحتماله وجهاً آخر صحيحاً يسقط الاستدلال
به على الزيادة ، وأما الآخر فجهول لا يعرف
قائله أو صانعه الذي اضطره الوزن إلى إسقاط
حرف نفي في أوله ليستقيم له الوزن ، وقد
عراه إلى أحد بني سعد وهو

أرى الدهر إلا منجمونا بأهله
وما صاحب الحاحات إلا معدداً

وتمام الكلام (ما أرى الدهر إلا منجمونا
بأهله وما أرى صاحب الحاحات إلا معدداً)
والممنجون هو الدولاب .

فأنشأ ابن هشام رحمه الله قسماً خاصاً
بسبب هذا البيت هو محي (إلا) رائدة فجعل
الأصل (أرى منجمونا) وما هي بالزائدة ،
ولم في كلام العرب (إلا) زائدة .

لم يسعنا إلا التحسر لهذه الشعر الواضحة
في كتابه العظيم (معنى البيت) فقد أراد
هو لتفسير أكثر منه للمحو ، وألمه على المعاني
أول تنبيه ، ولما سئل : (لم لا تؤلف
تفسيراً للقرآن الكريم ؟) أجاب (ألفت
المحو)

كان بين أيدي الدين أنوابعد ابن هشام
مادة عريضة جداً في المحو والتفسير حوتها
المحادثات التي سلمت مما حاق بالترات العري
من نكات ، ومع سقم أساليب التأليف ومع
الركاكة عند كثير من المتأخرين ، حتى المئة
الثالثة عشرة للهجرة ، لم يحل بعضهم حواشي
المطولة في النحو من الالتفات إلى هذا المعنى ،
معنى الاستدراك في (إلا) ولو عرضاً ، جاء
في حاشية الشيخ محمد الخضرى المتوفى في
المئة الثالثة عشرة ، التي جعلها على سرح
ابن عقيل لألفية ابن مالك

(١) معنى البيت ص ١٠٢ طعة بيروت سنة ١٩٧٢ م

ومتى كان ما بعد (إلا) جملة فهي بمعنى (لكن °) ولو كان (الاستثناء) متصلاً، لكن إن نصبت تالي (إلا) و (لكن °) المشددة كما سيأتي، أوردُ فَعَ كالمجمعة (لكن °) أفاده الصبان عن الدمامي . . تم يعلل المصنف (إلا) بكونها فيه بمعنى (لكن °) وعمليات عملها، وخبرها محذوف عالماً نحو . (جاء القوم إلا حماراً) أى لكن حماراً لم يحىء، وقد يذكر الخبر نحو «إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم . . » اهـ (١)

ومع صرف النظر عن ضعف تمثيله بجملة لاتصح عربياً وهي (جاء القوم إلا حماراً) (٢)

حمدنا الله على ذكره المعنى وعلى جملة الإعراب على المعنى وتعويله عليه، ولوفى حاشية على شرح على متن .

أعود من هذا العرض الملخص بنتائج أربع هي .

١ - إلغاء ما سموه (الاستثناء المقطع) من بحث الاستثناء، لأنه لاستثناء فيه، لأنه لا معنى لأن تخرج شيئاً لم تدخله قط

٢ - لكلمة إلا أربعة معان، ثلاثة منها تكثر في الكلام وهي .

(١) الاستثناء حين يكون في الجملة مستثنى منه .

(ب) الحصر (وهو ما سموه بالاستثناء المبرغ، والخبر أن يحذف أيضاً من باب الاستثناء)

(ح) الاستدراك

(د) والمعنى الرابع قليل الاستعمال وهو الوصفية أو مرادفة (غير)

٣ - إن المعاني الثلاثة الأولى (إلا) الاستثناء والحصر والاستدراك مما يسعى بيانه للمبتدئين قبل إسهاء دراستهم الابتدائية وتدرج أمثلتها من القرآن الكريم وغيره في الكتب المدرسية (لمنطقيتها) ولسهولة فهمها .

٤ - يلي (إلا) الاستدراكية جملة تامة، وقد يحذف خبرها أحياناً ويكون مفهومها من السياق، أما الأصل الذي صدرت عنه في كل ما تقدم فهو المظهر في سياق المشاهد بعد الوثوق من صحته، ومراعاة معناه، بل تحكيم المعنى في كل قول يعرض فما اطرده معه كان هو المقبول، وما حاله وحب الإغصاء عنه مهما يُحط به من تعليقات صناعية غير مقبولة، ولو تواردت عليه كتب قديمة وحديثة، ونحن نعرف أن الحرافا

(١) حاشية الحصري على شرح ابن عثقل ٢٥٤ / ١

(٢) الصواب أن يقال (جاء القوم إلا حمارهم) أو ((إلا حماراً لهم))، لأن المستثنى يجب أن يكون معرفة أو بكرة مختصة على الأقل .

خميها لمؤلف قديم، ينقله خالف عن سالف من
دون تبصر عامل في بلبلة العلم وإفساد الماكّة،
والمخلص في مثل هذا تحكيم المعنى، ومع
أننا نتناقل ما انعقد عليه الإجماع في القول
السليم المشهور (الاعراب فرع المعنى)،
مع ذلك فقليل ما يراعيه

إن أربعة وثلاثين شاهدا من القرآن
الكريم وحده، تفهم بيسر، ويصح معناها
روضعنا فيها (لكن) أو (لكن) موضع
(إلا)، كافية لاعتماد قاعدتها بل فوق الكافية
بينما وصع ابن هشام قاعدة لا يسندها إلا
بيت شعر تطرق إليه الاحتمال، وبيت آخر
اصطر الشاعر فيه إلى إسقاط حرف نون
في أوله اعتمادا على قرينة (إلا) فيه وعلى
شطره الثاني منه، بله جهالة المؤلف اسم
صاحب المشاهد هـ

واللافت للنظر أن معنى الاستدراك في
(إلا) أصيل باق إلى اليوم حتى في لهجاتنا
المحلية الدارجة، كثيرا ما يسمع في الشام
ومصر وشمال أفريقيا مستمع حديثك، يعقب
بقوله مثلا (هذا صحيح إلا أنه كذا...) أو
(هذا صحيح لكن كذا...) لقد بقي هذا
المعنى (إلا) حيا طول هذه الأعصار ما
نال من حياته إغفال المؤلفين له إن
الاستثناس بما في اللهجات الدارجة من
فصاحة في المفردات والأساليب خلاق بنظر
الباحثين.

مع هذه الكلمة ملحق فيه الآيات الكريمة
الأربع والثلاثون التي يتضح فيها معنى
الاستدراك (إلا) وبالله التوفيق.

سعيد الأفغاني

عضو المجمع المراسل من سورية



ملحق

بالآيات التي فيها (إِلَّا) للاستدراك بمعنى (لكن) وعملها

الاية	رقمها	السورة	
			١ - « وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ وإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » (لكن أكاديب تلقوها)
٧٨	٢	البقرة	٢ - « لَيْسَ إِلَّا يَكُونُ لِبَاسٍ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْتَوْنِي » ..
١٥٠	٢	البقرة	(لَكِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا لَا يَحْتَجُّونَ بِغَيْرِ حُجَّةٍ) ٣ - « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّهُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (لَكِنَّ الَّذِينَ تَابُوا . فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ)
١٦٠-١٥٩	٢	البقرة	٤ - « وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ . إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حُجَاجٌ إِلَّا تَكْتُبُوهَا » (لَكِنَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ... فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ)
٣٨٢	٢	البقرة	٥ - « لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (لَكِنَّ الَّذِينَ تَابُوا . فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)
٨٩	٣	آل عمران	

السورة رقمها الآية

٦- « وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . إِلَّا

الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ »
(لَكِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ . . .)

٩٠

٤

السماء

٧- « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ

فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا

الْمُسْتَضْعِفِينَ . . . »
(لَكِنَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ . . . فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ)

٩٨

٤

٨- « وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا

وَأَصْلَحُوا فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ »

١٤٦

٤

(لَكِنَّ الَّذِينَ تَابُوا . . . فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)

٩- « مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ . . . »

١٥٧

٤

(لَكِنَّ يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ)

١٠- « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ »

٣٣ - ٣٤

٥

المائدة

(لَكِنَّ الَّذِينَ تَابُوا . . . يَغْفِرُ لَهُمْ)

١١- « فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا

إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ . . . »

٩٨

١٠

يونس

(لَكِنَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ)

- ١٢ - « وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . . . فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ . . . » ... التوبة ٩ ٤
- (لَكِنَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ)
- ١٣ - « كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ . . . فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ . . . » ...
- (لَكِنَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)
- ١٤ - « ... إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ . إِلَّا (لَكِنَّ) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » ... هود ١١ ١٢
- ١٥ - « فَسَوْفَ يُلْقُونَ غَيًّا . إِلَّا (لَكِنَّ) مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » مريم ١٩ ٦١
- ١٦ - « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا (لَكِنَّ) سَلَامًا »
- ١٧ - « مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا (لَكِنَّ) أَنْزَلْنَاهُ (تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى) » طه ٢٠ ٣
- ١٨ - « وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلَّا (لَكِنَّ) الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . . . » ...
- ١٩ - « وَيَحُلِدْ فِيهِ مُهَانًا ، إِلَّا (لَكِنَّ) مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ » ... الفرقان ٢٥ ٧٠

السورة رقمها الآية

- ٢٠ - « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا (لَكِنْ)
 مَنْ أُنِيَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . . » (فَإِنَّهُ يَنْفَعُهُ) الشعراء ٢٦ ٨٩
- ٢١ - « إِنِّي لَا يَحَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ إِلَّا (لَكِنْ)
 مَنْ نَدَلَ حُسْيًا رَعَدَ سُوءٌ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ » النمل ٢٧ ١٢
- ٢٢ - « وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ
 إِلَّا (لَكِنْ أُلْقِيَ) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
 طَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ . . . » القصص ٢٨ ٨٧
- ٢٣ - « وَأَوَلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي
 كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا
 (لَكِنْ) أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا »
 (بَوَصِيَّةٍ فَجَائِز) الأحزاب ٢٣ ٦
- ٢٤ - « وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ
 إِلَّا (لَكِنْ) فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (لَمْ
 يَتَّبِعُوهُ) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا
 (لَكِنْ) لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ يَمِينُ هُوَ
 مِنْهَا فِي سَكٍ » سبأ ٣٤ ٢١
- ٢٥ - « وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ
 عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا (لَكِنْ) مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ خَزَائِرُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا . » سبأ ٣٤ ٣٧
- ٢٦ - « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ
 إِلَّا (لَكِنْ) اللَّامَمَ » النجم ٥٢ ٣٢
- (يُغْفَرُ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ - الْجَلَالِيِّينَ)

السمرة	رقمها	الآية
الحديد	٥٧	٢٧
« وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ، إِلَّا (لَكِنْ فَعَلُوهَا) ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ . . . »		
الجن	٧٢	٢٢
٢٨ - « وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا . إِلَّا (لَكِنْ أَمْلِكُ) بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ . . . » .. .		
المدثر	٧٤	٣٨ - ٤٠
٢٩ - « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّا (لَكِنْ) أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ » .		
النبأ	٧٨	٢٤
٣٠ - « لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا (لَكِنْ) حَرِيمًا وَعَسَاقًا . . . » .. .		
الانشقاق	٨٤	٢٥
٣١ - « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا (لَكِنْ) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ »		
العاشية	٨٨	٢٤
٣٢ - « لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ إِلَّا (لَكِنْ) مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ »		
الليل	٩٢	١٩ - ٢٠
٣٣ - « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُحْزَى . إِلَّا (لَكِنْ فِعْلُهُ) ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى »		
التين	٩٥	٥ - ٦
٣٤ - « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا (لَكِنْ) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » .. .		

الأثر النفسي والاجتماعي من تعريب التعليم للدكتور يوسف عز الدين

ليس

تعريب التعليم أمراً سهلاً ، أو قصيدة بسيطة الحل بعد أن مر العرب بمرحلة صويلة من التأخر العلمي ، والجمود الفكري .

لأنه مشروع ضخم من مشاريع الحضارة العربية الجديدة ، ويظهر خطره باتساع الميدان وتشعب الجذور ، واختلاف المصادر ، ولا بد لدراسة هذا المشروع ، والنهوض بأعبائه الكبيرة من أن نخطط له تخطيطاً كاملاً وأن نلام بجوانبه المتشعبة ولا سيما الجانب الاجتماعي والأثر النفسي بعد أن سبقنا العرب في ميدان التقنية العلمية بأعمال ضخمة ومنجزات مثمرة في النمو والتطور.. وسيطرت على نفوسنا شدة البهر والانبهار وفقدنا الثقة بالنفس على مجاراته بما نراه كل يوم من المخترعات ونقرأ عن تطور الفكر والعلم ولا سيما العلوم والمعرفة والتجارب المادية الكثيرة التي دخلت في حياتنا اليومية بالمستحدث الحديد وأثر في عقولنا بالاتجاه الحصارى الغربى دون وعى أو تمحيص .

وأخشى أثر هذه الحصاراة في نفوسنا التي هزقتها التمرق الفكرى حتى عدت اللغات الأجنبية ومصطلحاتها سمة الرجل الذى يدعى العلم والثقافة فدخلت هذه اللغات في الكتب والمقالات والحديث اليومي .

وراد الطين بلة اختلاف الأقطار العربية في وضع المصطلحات العلمية والترجمة المتباينة في لغة العوام .

فالتخطيط ضرورة لوضع حد لهذا الاختلاف . والمنهج هو الذى سيقف حائلاً دون الفوضى اللغوية والتضارب الفكرى ويحول دون الانقسام اللغوى والقلق الفكرى والحيرة البيانية التي تأتي من اختلاف الآراء وتشعب القواعد وتباين الماهج في الأقطار العربية .

التعريب في العراق :

وقد قام العراق بوضع خطط لتعريب التعليم الجامعى وعقد عدة ندوات ، وقد

(*) ألقى البحث في الجلسة التاسعة ٧ / ٣ / ١٩٨٥ م .

طبعت محاضرها ومن أبرز هذه الندوات (مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد ما بين الرابع من شهر آذار والسابع منه سنة ١٩٧٨) .

وقد حضره عدد من الأساتذة والمختصين من أكثر الأقطار العربية كالكويت والأردن والمغرب والخرطوم ولبنان وتونس ودمشق وصنعاء وأبي ظبي والجزائر وجامعة بيرزيت وقد حرمت الندوة من حضور القاهرة بسبب القطيعة السياسية المعروفة

وقد كان صدر قرار بالبدء في تعريب التعليم العالي في العراق يوم حزيران ١٩٧٨ وبدأت العلوم تدرس باللغة العربية في الصفوف الأولى وأجل التعريب في كليات طب الأسنان والطب البشري ، على أن يطبق التعليم باللغة العربية من أول سنة ١٩٨٠ الاردن .

وهو حدثني الرميل العاقل الدكتور عبد الحريم خليفة بأن عملية التعريب في الأردن تسير مسيره جيده

تونس اما

وفي تونس يندل المجلس العلمي (للمؤسسة الوطنية لترحمه ، التحقيق والدراسات) جهودا مشكوره في تنظيم حركة الترحمة وأدشأت معهدا باسم (المعهد الوطني لترحمه الأدبيه والعلميه ووضع المصطلحات) .

عوامل النجاح :

إن عماية تعريب التعليم لا بد أن يصمم لها أهم مقومات النجاح ، ولعل من أعمق هذه المقومات قول التعريب بمسما من المجتمع والطالب والأستاذ، وخلق الاستعداد النفسي ودرع الثقة باحترام اللغة العربية، وأما أعرف عن أحد الأقطار العربية أن الموظف إذا كاتمه بالغة العربية ارور عملك بعد أن أصبحت اللغة امرسية حرة من الحياه الاجتماعيه وأخذ الطالب يتعاسها ويتحدث بها لأن أمه ترى بأن الحديث بالهرسيه سوف يجلب لابها الاحترام . ومن الصعب التلاؤم الروحي والرضا النفسي عند هذا الإنسان . فتكلم بها العامل والملاح والجمال .

وقد سرب بين المجتمع نظرة غير محترمة لعلم اللغة العربية ، فقد كان يقال للطالب المحقق أتريد أن تكون معلم لغة عربية تم إن بعض الأقطار العربية تدفع لمدرس اللغة العربية أحرأ أقل من أجر مدرس العلوم والرياضيات ويفصل مدرس العلوم والرياضيات ، في السكن على مدرس اللغة العربية الذي يقف أحرأ نصف ويكون أحر من يحصل على السكن *

وحدثني أحد الرملاء أنه سافر إلى قطر عربي فوجد استعداداً مسمياً للحديث بالفرنسية لأنها لغة عالية متحصرة وهذا ما دعا أبناء الشعب إلى التمسك بالهرسية والدفاع عنها .

وبالمقابل نجد أن اللغة الفرنسية كانت مستعملة في مدارس دمشق ولاسيما الطب ولما انفصلت عن الدولة العثمانية أخذ أساتذة الطب يتعلمون العربية ويستعينون في كتابة المحاضرات بأساتذة العربية ، لأن الثقافة كانت تركية ، فتعرب هؤلاء على اللغة الأجنبية عندما ترجموها إلى العربية ووصعوا لها المصطلحات وهذا ما وجدناه في زمن محمد علي باشا وقد أشار إليه أستاذنا الدكتور مذكور في اليوم الأول من هذه الدورة

إن الاستعداد النفسي عند شعب من شعوب العرب وتمسكهم بالحدود العربية هو الذي عرب التعليم في سورية . . وأخره عند شعب آخر . مازال يحب في تعلم لغته .

لذلك أرى أن أهم مقومات النجاح هي

١ - توفير الكتب العاجية ومصادر البحث والمراحة باللغة العربية لطلاب العلوم ، بعد أن كبرت هذه الكتب في اللغات الأجنبية وتنوع مروح العلوم نتيجة الحروب العلمية وتطور التقنية والمخترعات والاكتشافات وتطور الحساسة السريع في معاهد الحرب العلمية .

٢ - إعداد الأساتذة لإعداد نفسي ليكون الأستاذ قادراً على تدريس العلوم الصرفة لا سيما الطب والهندسة والصيدانية باللغة العربية لأن كثيراً من الأساتذة تعلموا علومهم باللغات الأجنبية وتعمقت في نفوسهم الثقة باللغة الأوروبية واستمروا على القراءة

والمحاضرات بها واتسعت أروقته بين أعمهم واللغة الأجنبية التي أتقنها .

٣ - إن العامل النفسي الذي أسلفنا تحدث عنه من أهم العوامل المؤثرة في نشر التعليم باللغة العربية ، لأن حاق الاستعداد النفسي والاجتماعي في تقل الدراسة باللغة العربية ضرورة من ضرورات الإبداع ونحاق الثقة بقابلية العربي في استيعاب العالوم الحديثه وهضم الحضارة الحديثة لتكوين وحدة روحية تزرع الثقة العميقة بأصالة اللغة العربية والاعتداد بالآثار الإسلامية وبالتالي إعادة الثقة بقابلية الطالب العربي والاعتداد بالمستوى العالمي للآستاذ .

إن العامل النفسي ضروري لكسب ثقة المدرسين ، والمدرسين وإقناعهم بأهمية ما يقومون به ، وإن تعليم العلم الصرف باللغة العربية يحفظ مستقبلهم ويصون مصيرهم ويطور حضارة الأمة العربية .

وقد تكون بدايه هذا الإقناع عاطفيه الحدور . لأن المشاعر ذخيره متنامية تحاق المواقف الكثيره وتؤثر في حياة المجتمع العربي وسياسته العامة وأرجو ألا يقتصر الإقناع الروحي على الطالب والأستاذ إنما لا بد من إقناع الرأي العام ليؤثر بدوره في جو التعليم كله ويرى بأن التعليم باللغة العربية لا يختلف عن التعليم باللغات الأجنبية وهي مرحلة صعبة .

ولعل من المعول عليه أن يمتد الإقناع إلى أصحاب التوجيه الإداري والعمل

التشريعي لضمان مواقف الدول العربية لإصدار
التشريع المناسب الذي يحقق نجاح مشروع
التعريب .

وتذكرون أننا عقدنا في العراق اجتماعا
للمجامع العربية وحضر بعضكم إلى بغداد
وسعدنا بالحضور إلى مجتمعتكم الموقر، لكن موقف
الدول العربية حالت دون أن تستمر المكرة
الرائدة التي كنا ننشدها من اجتماع المجامع
الثلاثة في كل عاصمة عربية .

إن بعض المشرفين على التربية في الأقطار
العربية وبعض الأساتذة ، يظن أن إلقاء
المحاضرات باللغة العربية تحط من قيمته
الجامعية ولا تعطيها الطعم العلمي لأنه ذوق
التعليم باللغة الأجنبية وألف الكلمات العربية
وأصبحت أداته السهلة في التعليم وقد درس
بها وكتب بحوثه بمصطلحاتها. وأصبحت جزءا
من كيانه الروحي وفكره العلمي وابتعد
عن اللغة العربية ، ولم تعد لعتة العربية
نفي بما يدور في فكره العلمي من آراء
ومصطلحات ، لأن اللغات تؤثر بعضها في
بعض وقد مر أكثرنا بمثل هذه التجربة
عندما درسنا في العرب وألفنا اللغة الأجنبية
وأحسننا بحلاوة كلماتها فآثرت في اللغة الأجنبية
اللغة العربية مع أننا درسنا اللغة العربية إلى مرحلة
متقدمة ، فاللوم على المختصين الذين يذهبون
صعارا للدراسة في العرب . وبرغم صعوبة
اقناع هؤلاء ، فمن الضروري كسب جانبهم
للتدريس بلغتهم بإقناعهم نفسيا .

ومن مظاهر هذا الابتعاد عن
اللغة ، التبرير النفسي بصعوبة ترجمة اللغة
العلمية إلى اللغة العربية وانعدام المصطلحات
والكلمات الدقيقة فيها ، لأن الأستاذ في
تدريسه لا يريد أن يحس بأنه لا يقدر على
التدريس بلغته العربية بدوافع نفسية
عميقة ، منها الوطنية والقومية ونظرة المجتمع إليه
بأنه ضعيف لا يعرف غير اللغة العربية .
فيحاق التبرير النفسي لإرصاد الذات الاجتماعية
ولإقناع اللاشعور بما يعمل .

ولعل بعض الأساتذة لا يقدر على
ملاحقة المواد العلمية وحقائق المخترعات
الحديثة ومصطلحاتها وقد يكون بعيدا
عن المنهج العلمي والدراسة الموضوعية
لضعف في اللغة والعلوم التي تخصص فيها .

إن بعض الأقطار التي ما زالت تدرس
بالفرنسية والإنكليزية وخلقت طبقة من
المتعلمين ، عدت مؤثرة في اتجاهات
التربية فسمعت هذه الطبقة باللغة العربية
حفاظا على مصالحة الطبقة التي تمثلها .
وقد ورثت هذه الطبقة امتيازاتها من الأجنبي
الذي كان قد فرض لعتة على تلك الأقطار
وأصبح المتكلم باللغة العربية أقل مقاما
من أولئك الذين يتكلمون لغة المستعمر ،
وبذلك خلقت عقدة الشعور بالنقص بالنسبة
للغة العربية ، وخير سبيل أن تقابل هذه
العقدة بالإقناع النفسي ، ومتى حلت هذه
العقدة النفسية واقتنع هؤلاء بأن اللغة العربية

لغتهم ولغة تراثهم وأن يتحدث بها معث
فخر واعتداد بالنفس، سيذهب عنهم الخوف
على طبقتهم ويأمنون على مصالحهم وينمحي
إحساسهم بتفوق العلم الغربى ولغته . وسوف
يسهمون فى حركة التعريب

إن من يرى اللغة العربية غير قادرة
على الوفاء بالتعريب لا لوم عليه، لأن كل
عمل جديد وكل نقله حصارية تكون
مجهولة النتائج تخيف القائمين عاها . إن
الخوف من التجديد والتطور سنة الكون
فالقديم يحاول الحفاظ على قديمه ويقف
أمام التيار الحديث ولكن الإقناع ورسم
صورة واضحة للمستقبل سوف تقنع
هؤلاء وتتخلص من الموقف السلبى وسوف
تساير الركب .

الكتاب :

إن الشكوى التى يرتكز عليها الخائفون
من التعريب ويبررون عدم التدريس بها
علاوة على العامل النفسى الداخلى وعدم
وجود الكتاب باللغة العربية وقلة المصادر
التي يعتمد عاها الباحث والطالب ، تلك
حجة صحيحة وصادقة، ولكن إذا آمن هؤلاء
بأن تعريب التعليم واجب من الواجبات
الوطنية والقومية وأنه ضرورى للتطور
الحصارى فلا بد أن يسهموا فى إعداد الكتاب
الذى يلائم المستوى العلمى الذى يسير
فى هديه الطلاب .

وقد برهنت اللغة العربية منذ تأسيس
دار العلوم والجامعة المصرية ثم كلية الطب فى
دمشق ومدرسة الحقوق والهندسة فى بغداد،

على قابلية اللغة العربية فى كثير من العلوم
وقد هضمت اللغة العربية كل المصطلحات
بسهولة ، فقد رأيت كتباً فى الطب العام
والتشريح والهندسة والكيمياء والفيزياء فى
رمن محمد على باشا وقد ترجمت هذه
الكتب واستوعبت مصطلحات الطب
والهندسة والكيمياء والجغرافيا . وقد ترجمت
كتب الطب والكيمياء ووضع لها المصطلحات
ورموز الكيمياء بالعربية وأحرقت التجارب
العلمية وكتبت نتائج هذه التجارب
فيها وفى (يعسوب الطب) أدق الشواهد
وأوضح البراهين ويمكن للباحث أن يجد
فى الكتب الطبية التى ترجمها الطبيب محمد
بدر أفندى فى علم الأمراض الباطنية والطبيب
أحمد أفندى نيدا (مدرس علم المواليد
الثلاثة) بالمدرسة الطبية والطبيب
محمد شافعى فى (أحسن الأغراض فى
التشخيص ومعالجة الأمراض) سيطرة
العربية وقوتها فى إيصال العلول الطبية إلى
الطلاب .

إذا كانت اللغة العربية فى بداية الترجمة
والاحتكاك بالغات قادرة على وضع كتب
العلوم باللغة العربية ، فلا شك فى أنها قادرة
بعد التطور الحصارى والفكرى من أن
تستوعب لغة العلم وتضع كتباً متطورة
اليوم وقد درسنا كتباً فى الفيزياء والكيمياء
والهندسة والعلوم الصرفة باللغة العربية
ولا بد أن الدراسة فى الجامعات ستسير
فى هذا الطريق وتصل إلى ما وصلت إليه
الجامعات الأجنبية فى التدريس بلغاتها .

إن وضع الكتاب باللغة العربية والشعور
بقدرتها على استيعاب هذه العلوم وبالتالي
نتخلص من عقدة النقص التي استولت على
بعض الدارسين .

ويقدر الطالب على فهم العلوم بسهولة
ويسر، وتهي استوعب الطالب علومه وضمها
وفهم مصطلحاتها وسوف يكون قادرا على
الاختراع والاكتشاف والإبداع عندما يصل
إلى مرحلة من التعليم كافية لأن فهم القواعد
العلمية الأولى ضرورية للتطور والتحديد
وبقي بأن الطالب الياباني والروسي والصيني
لم يدع أو يكتشف ويطور العلوم إلا
بعد أن درس العلوم ولعبته القومية وأحسن
بالسيطرة على هذه العلوم والاستفادة منها .

إن وجود كتاب باللغة القومية أول
أسس القواعد النفسية التي تعسدى
الطالب بالثقة بقدراته لأنها تمكنه من
فهم الحريثات العلمية، وبالتالي تمكنه من
الإبداع . فعند أن فهم الياباني لعلم العلم
عكف على مخترعات العرب وطورها
وبافس أصحابها في عقريديارهم، بل اكتشف
ما لم يخطر ببال العرب من الأمور الدقيقة
والحريثات الصغيرة التي لم يصل إليها
العرب بعده

الطالب :

متى أصبح الأستاذ مقتنعا بنفسه بضرورة
التعريب وأمن بأنه يقوم بعمل قويم ووطي
وأعدت الكتب وترجمت المصادر، سيكون

تدريس الطالب أمرا سهلا ونقضى على
العامل النفسي

إن التعريب لن يبعد الطالب عن الأستاذ
ويصح حاجز اللغة بينهما بعد أن وصفت
المصطلحات وكتبت الكتب بأسلوب عربي
مبين :

وقد لاحظت من خلال تمنى للتعليم
في زمن محمد علي باشا مقدار الجهد الذي
بذله المشرفون لإيصال العلوم إلى أفكار
الطلاب . فقد كان الأساتذة لا يعرفون
اللغة العربية، وكان المترجمون لا يعرفون
إلا اللغة العامية المصرية وكان مهم الطلاب
والفرنسيون ولن يكون القرن العشرون ،
بعد أن كثرت الدين يعرفون اللغة الأحادية وتوفر
ما ترجم وما وضع من معجمات - حائلا
دون فهم الطالب ولن يجد صعوبة في
التعريب ؛ فقد سهلت المعجمات والترجمة
على الطالب انعلم وفهم النظريات الحديثة
التي تعلم قواعدها الأولية في الثانوية ؛
وسيجد أن اخته العربية قادره على إيصال
العلم إليه . وعندما يدرس العلوم الصرفة
فيها سيكون قادرا على الفهم ورفع
مستواه العلمي والمكرى وبالتالي سيقود
هذا الفهم إلى الإبداع كما حدث في اليابان
وروسيا والصين

ختاما :

إن التعريب باللغة العلمية سوف يعمق
الأصالة الفكرية وأرحو ألا يقف التعريب

عند ترجمة البحوث ووضع المصطلحات إنما أرجو أن يكون أداة صادقة للإبداع فإذا ساعدت اللغة اللاتينية اللغات الأوروبية في وضع المصطلحات لتقارب محارجها ووحدة جذورها ، فاللغة اليابانية بعيدة كل البعد عن اللاتينية وفي اللغة العربية يساعدنا الاشتقاق والسوابق والواحق على تطور المصطلح العلمي وتوحيده

إن ما ورثناه من مصطلحات العلوم التي وضعها الرواد المسلمون في البحث العلمي مثل أم بكر الرازي في (الخواص) وما كتبه عن (محنة الطبيب) و(الحدري) وابن سينا في (القانون) وابن البيطار في (جامع مفردات الأدوية والأغذية) والحسن بن الهيثم في (الصورة) وجابر بن حيان في علم الكيمياء والفارابي والخوازمي والمجريطي والبيروني وغيرهم من العلماء والمفكرين الذين تعرفونهم جميعاً ، حافظ لنا في وضع أسس التعريب الحديث .

إن وحدة اللغة العلمية سوف تكون ركيزة للوحدة الفكرية ، تحافظ على الهوية العربية وتحد من التمزق اللغوي ، الذي بدأ يسرى في اللغة العلمية مع أن اللغة العربية هي لغة جميع العرب ومن أصالتها يستمدون حاضرتهم اللغوية وبالتالي سيكون الفكر العربي موحداً علمياً ويمكن الاستعانة المباشرة من جهود العرب الحديثة في الإكتشاف العلمي ويشاركون العالم في صنع الحضارة بعد أن بذلت الجامعات العربية جهوداً كبيراً في تيسير المصطلح وصقله وجاء جيل جديد تعلم الأجنبية وأتقنها .

الوسائل :

وأخيراً أتمنى لتحقيق هذه الغاية أن .
١ - تولى لجنة عربية مختلفة الاختصاص تشمل العلوم الصرفة والعلوم الإنسانية يكون عملها قاصراً على الترجمة واختيار أمهات الكتب التي صدرت في اللغات الأجنبية وما ستصدر في المستقبل وأن تخصص جابجا من نشاطها على ترجمه المقالات التي تصدرها الجامعات العلمية والأغوية والمعاهد المتخصصة وتوزع مع الكتب على جميع ذوي الاختصاص ومواكبة التطور العلمي في جميع أنحاء الدنيا المتحصرة وهذا العمل هو الذي اختصر الهوة بين علماء العالم ورغم الاختلاف السياسي وتباين العقائد في الشرق والغرب ، وادى بالتالي إلى تبادل المعلومات العلمية بين أمريكا ودول أوروبا وإلى إزالة الفوارق اللغوية والتعاب على الاختلاف الفكري وتقريب وجهات النظر في الاختلاف الذي سببه اختلافهم السياسي .

٢ - جمع المصطلحات الحديثة التي تضعها الجامعات والمؤسسات العلمية والجامعات وتوزعها على جميع مصادر وضع المصطلحات الحديثة ، لإقرار ما اتفق عليه الذوق العام .
٣ - إصدار مجلات علمية متخصصة لاستعمال المصطلحات الحديثة وقد سبقنا إلى هذه في العصر الحديث العاملون على مجلة (يعسوب الطب) و(روضة المدارس) وأوائل أعداد حريدة (الوقائع المصرية) وفي العراق (لغة العرب) على ضيق المال

وقلة العلماء والمترجمين ولا يمكن أن يقتصر العرب اليوم - بما لهم من أموال ومن كثرة في الأساتذة ووفرة المترجمين والمختصين - على مجارة الرواد الأوائل .

٤ - تشجيع البحث العلمي بإعداد شباب في الدراسات العليا يوقفون بحوثهم على جهود العرب في العصر العباسي وعصر محمد على لدراسة لغة العلم في هذه الحقبة وحصر المصطلحات العلمية التي استعملت في كتب العلوم الصرفة بصورة خاصة والعلوم الإنسانية بصورة عامة .

٥ - القضاء على الانفصام الفكري الذي بدأ ينتشر بين العرب في فهم لغة العلوم وإقناع الأساتذة بضرورة التعريب لأنه من أهم أسس الأصالة العلمية للأمة وتطويع حضارتها وغرس الثقة بقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الحديثة والتأكيد على أن الروابط التاريخية والوطنية والقومية تقوم على وحدة اللغة التي تنهض الجسور بين الشعوب العربية وتعمق الصلات الروحية والحضارية بينهم . بعد أن أثر هذا الانفصام في كثير من اتجاهات المفكرين المعاصرين ، بعد الترقق الداخلي للأمة العربية الذي حال دون وحدة الفكر والمصالح المشتركة

٦ - ضرورة توحيد التشريع لتعريب التعليم باللغة العربية ، وقد سبق مجلس قيادة

الثورة في العراق إلى وضع هذا التشريع وطلق في الجامعات العراقية ولا بد أن الأقطار العربية الأخرى فعلت ما فعل العراق . وآخر ما صدر قرار من الملك فهد بضرورة استعمال اللغة العربية في جميع المملكة العربية السعودية

إن تعريب التعليم لا بد أن يكون متكامل الأهداف ليصل إلى وحدة فكرية ولغوية ولن يصل إلى حد النجاح ما لم يكن هناك رابط نفسي يندسق هذا العمل الكبير وأن يكون له مركز يوجه هذه الأعمال الكثيرة . يتابع تطبيق ما تضعه الجهات العلمية من مصطلحات وترجمات وتعريب .

وان تخدم القرارات التشريعية وحدها الهدف الكبير ، ما لم يساند فكريا ، يؤمن الجميع بأن التعريب يقرر مصير اللغة العربية المعاصرة ومستقبل الأمة كلها ، وسوف يأخذ الأمة إلى مستوى علمي راق لتواكب الحضارة الغربية ، بعد أن سبقنا العرب بمراحل واسعة

أرجو من الله التوفيق وأن يأخذ بيد العرب نحو أسمى هدف من أهدافها في وحدة فكرها ولغتها ومصيرها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف عز الدين
عضو المجمع المراسل من العراق

حرفا "الباء" و "الضاء"

بحث الدكتور عمر فروخ

لاشك

في أن الأبجدية كانت
نعمة عظيمة على المدنية
والثقافة واللغة والعلم . ولكنها كانت
أيضاً قيداً على اللفظ الإنساني .

لسنا نعلم متى استطاع الإنسان أن يضع
الأبجدية ولا نعلم في أي الأقطار قد وضعها .

ولكننا نرى من الأبجدية وجهين . ظاهر او باطنا .
أما الوجه الأولي الظاهر فهو أن التجار
الكنعانيين (ومن الناس من يقول : الفينيقيون
خطأ) هم الذين نقلوا الأبجدية (بعد أن
وصلت إليهم من مكان ما) إلى الإغريق .
ومن الإغريق انتقلت الأبجدية إلى اللاتين .
ومن اللاتين انتشرت في العالم الغربي .

ولعل انتقال الأبجدية من الكنعانيين
إلى العرب كان من طريق الآراميين ، لا
من طريق العبرانيين ، ذلك لأن العربية
والسريانية تكتنان بحروف موصولة .

وأما الأمر الباطن أو الغامض فهو أننا

نعلم أن الأبجدية وصلت إلينا اثنين وعشرين
حرفاً من الكنعانية إلى الآرامية إلى العربية ،
غير أننا نجهز لأنفسنا أن نقول إن الأبجدية
(أي مجموع الحروف المعبرة عن الأصوات)
كانت قبل الكنعانيين (أي قبل أن تصل
إلى الكنعانيين) أقل من اثنين وعشرين
حرفاً ، لما أنها أصبحت بعد أن حملها
الكنعانيون إلى الإغريق أكثر من اثنين
وعشرين حرفاً .

وتعليل ذلك ليس مستعصياً إذا درسنا
الحقائق التالية .

إن العبرانية زادت حرفاً (مشتقاً
صوت السين) .

وإن الأبجدية الإغريقية زادت حرفين
مركبين ، وتبدل فيها أحرف ، أشهرها العين
التي أصبحت واوا قصيرة مفخمة .

وأما اللاتينية فنشأ فيها ياء جديدة وقاف

(إذا كان في الكلمة كاف يتلوها حرفاً

علة) :

كما احتاجت اللاتينية إلى حرف يقع في الكلمات المستعارة من اللغة اليونانية . وغفلت جميع الأمم إلا العرب عن دقة التمييز بين الأصوات المقاربة في لغاتها فكتبت أصواتا متقاربة أو متباعدة بحرف واحد ، من ذلك مثلا أن صوت الكاف وصوت الحاء يكتبان في السريانية والعبرية بحرف واحد ، على بعد ما بينهما في المخرج

وأما العرب فرادوا في الأبجدية ستة أحرف يجمعها قولك (تخذ صطع) هذه الأحرف الستة تمثل أصواتا موحودة في اللغة العربية وأصواتا مفرقة في لسان غيرها تذهب الإنكليز لثلاثة أصوات في لغتهم الثاء والذال والظاء وكتبوها كلها بمجموع واحد مؤلف من حرفين . وقالوا thun (ث - بالكسر) و the (دا ، دى) thus (ظاس - بالفتح) .

ومثل ذلك فعل الألمان بصوت الحاء الخفيفة أو الثقيلة وفعل الاسكتلنديون بصوت الحاء وكتبوه جميعهم بحرفين . ich و doch (بالألمانية) ثم Loch (اسم بحيرة في اسكتلندا بالإنكليزية) .

وأما صوتا الضاد والطاء فهوجودان في لغات كثيرة ، سأكتفي من الأمثلة بما يلي : » إن الكلمة العرسية ich والكلمة الإنكليزية done والكلمة الألمانية Dorf (وهي كلها بضاد واضحة) تكتب في اللغات الثلاث بالذال .

* * * وأن الكلمة الفرنسية temps والكلمة الإنكليزية tail والكلمة الألمانية Teufel (وهي كلها بطاء واضحة) تكتب في اللغات الثلاث بالتاء .

* * *

هذه المقدمة الطويلة كانت ضرورية للانتقال إلى الأصوات العامضة التي يعبر عنها بحرفين وهي في الأصل صوت واحد سمعته الأمم سماعا مختلفا . واسمحوا أن أبدا من اللغة الأحبية كيلا يظن بي تنيء من الميل على لغتنا القويمة . وسأقصر كلامي هنا على حرف الباء وحرف الغاء . ولكن يحسن أن نعلم أن هناك باء واضحة وباء مهموسة ثم فاء واضحة وفاء مهموسة

— إن شهر نيسان يعرف في اللغة اللاتينية باللفظ . april (باء مهموسة) (ويجيء بالفرنسية avril (باء مهموسة) وبالإسبانية abril (باء واضحة) وبالإنكليزية والألمانية والهولندية والإيطالية april, aprile (باء مهموسة) .

— ويصعب الذين يسمعون الألفاظ أحيانا بين الأصوات وطلالها . قال الإنكليز للقرود ape ، وقال الألمان Affe وقال الألمان للتفاح Apfel (باء مهموسة بعدها إفاء واضحة) وقال الإنكليز apple (ببائين مهموسين) .

وسأتناول الكلمات الغربية الخائرة بين
الباء والفاء من حائنين من جانب يتناول
الكلمات عند انتقالها في صوء التاريخ من الأمم
الأجنبية إلى العرب ثم من الحائنين إلى العرب
فيه الكلمات العربية على اللسان العربي

كان للعرب من قبل الإسلام احتكاك
باليونان والرومان واليهود والفرس وجميع
هذه الأمم تعرف البائين: الواضحة والمهموسة
سمعوا من الهنود أو من الفرس كلمة (بيل)
فقالوا فيها: بيل. وسمعوا من الفرس: دارس
فقالوا فيها: فارس والفرزدق والفاريد والفرسج
وسمعوا من اليونان باراديس وبلاطون
وبيثاغورس فقالوا فيها: البردوس وأفلاطون
وبيثاغورس. ولكنهم سمعوا من اليونان
أيضا بريميناس (أحد كتب أرسطو
في المنطق) فتركوها بريميناس ثم سمعوا
أيضا فيليستين (اسم شعب حاء جزيرة
كريت) وفيلوسو فافتركوها بالفاء .
فلسطين وفلسفة .

* * *

ونأتي الآن إلى كلمات تقال في العربية بالباء
وبالفاء ، والمعنى بالحرفين واحد أو كالأحد
لا أظن أن أحدا منا يستعرب إذا قيل له
إن حرفي الجوالباء المكسورة والفاء ، المكسورة
المشبعة بالياء ، صوت واحد في الأصل
ثم إن الفعلين باء وفاء معاهما « رجع » (في

المعجم الوسيط) ثم هالك بأر ، وفار بمعنى
حضر . وبقر السطن شقه . وفقر الأرض شقها
ونخر الأرض شقها وحفرها والعامية يقولون
في حفر فحفر ثم هالك حناه وحفاه بمعنى أعطاه
ثم تقع الحلة خالط لونه لون آخر وقع
اللون الأصفر .

ومن هذا الباب خبت ذكره تخفي وخمت
بصوته أخفاه هفت الريح هت . وتخفي
اختفي ثم تخفي استقر وتوارى . ومن ذلك
أيضا برف هرع ودهش ثم [فرق جرع
واشتد خوفة

* * *

هذه حولة قصيرة في القاموس — وفي
جانب واحد منه — دارت حول جانب من
فقه اللغة المقارن ، لم أقصد أن آتي بهذه الحولة
على جميع ما يمكن أن يقال فيها ولكني
أقصد أن أفتح نافذة صغيرة على التروة العظيمة
الحميلة في لغتنا العربية في ذلك الدور القديم
من تاريخها حينما كان الصوت معبرا عن
عن المعنى أو حينما حاول الإنسان أن يعبر
بالصوت عن المعنى في ذلك الحين . لم يكن
هالك فرق بين لغة ولغة . سأفتح في هذا
المقطع الأخير الباقي من كلمتي هذه ناهده
أصغر بكلمة واحدة هي موضوع حديث .

في اللغة العربية جاءت اللام مع الهمزة
أو مع الهاء ومع الواو ، للدلالة على الصوت
المرتفع في الحزن والألم أو في الفرح والنشاط
وكادت الهاء مع اللام تختص برفع الصوت
بالتلبيه أو الدعاء في المواسم الدينية . والتلليل

في الحج في الإسلام أمر مشهور (راجع تاح العروس القاهرة ٧ : ٣١١ و ٨٠ ١٦٠ ١٧١ ، ١٧٣ ، راجع ١٧٧) وليس من المستغرب أن نجد مثل ذلك في المائدة والعبرية فهما لغتان أعرابيتان . ولكن لعل نرا ما يستغربون أن يجدوا هذا الصوت في اللغة الإنكليزية معبرا عن مثل ما يعبر عنه في اللغة العربية إن هذا الصوت انعمالي (لا إرادى) يبدر من الإنسان في حالة الطرب (من المرح أو الحزن) ومن الحماسة في الحرب . وأغرب من ذلك أن يكون هذا الصوت قد انتقل من اللغات الأعرابية إلى اليونانية أو إلى البيزنطية (اليونانية المتأخرة والمسيحية) على الأصح ثم إلى الإنكليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والإسبانية وإلى سائر اللغات التي ينطق بها المسيحيون في العالم . وتكرر هذه الكلمة هلياويا في هذه اللغات بين البدء بالهمزة أو البدء بالهاء كما أنها في العربية حائرة بين الهمزة والهاء أيضا . الآليل والتهليل وقد أنصف « المعجم الكبير » (١ . ٤٢٥ - ٤٣٢) هذا الجذر « ال » من ناحية الاشتقاق والشواهد

أما صلة « ال » و « هل » هذا البحث بين الماء والفاء فهو لفت النظر إلى الحروف التي يحل بعضها مكان بعض في اللغة العربية وفي سائر اللغات ، وذلك لتقسيم مراحل اللغة ثلاثة أدوار

— الدور الصوتى - حينما كان لفظ الكلمة يدل على معناها

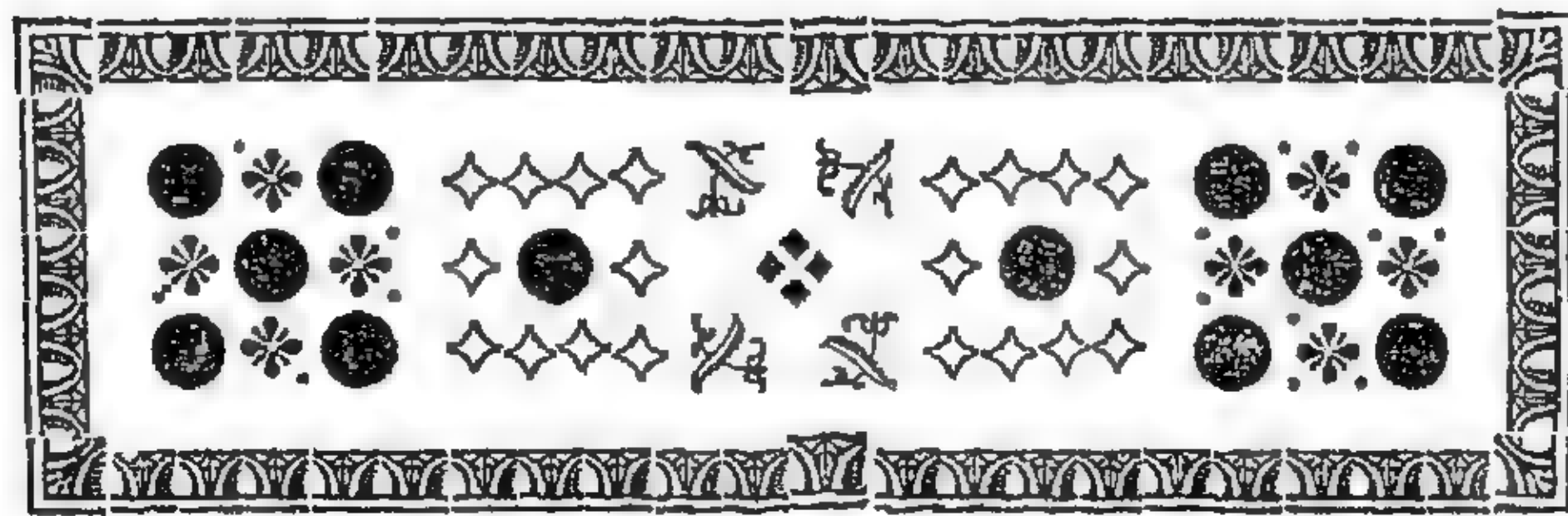
— الدور اللمطى . حينما احتاج الإنسان إلى التعبير عن معان وأشياء فتواضع على ألفاظ لا صلة بها بين الصوت والمعنى

— الدور الاجتماعى حينما نقل الإنسان الألفاظ من حاب إلى حاب على سبيل المحار مما لا صلة ، بالتواضع على ألفاظ معينة ولا بالصوت .

أرحو أن أكون هذه الكلمة التي طالت قليلا قد أشرت إلى موضوع دى صلة بفقها اللغة المقارن وعمكاة اللغة العربية في هذا في الحقل الواسع من البحث .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان



مفوقات تعريب التعليم الجامعي للدكتور محمود مختار

مبحث

الأصوات في المؤتمرات
العلمية في كافة أرجاء

الوطن العربي وفي المدونات المحلية
وأجهزة الإعلام منادية بحتمية تعريب
التعليم الجامعي وبخاصة في الكليات العمالية ،
وداعية لتوثيق الترابط بين التعليم الجامعي
بصفة عامة وبين اللغة العربية ولهذا الموضوع
بطبيعة الحال جوابه الحيوية الإيجابية ،
وهذه تناولها الزميل الدكتور محمود حافظ
في محاضراته القيمة كما أن للموضوع سلبياته
أو معوقاته التي تعترض مساره وتماؤه
بالثغرات والعقبات وهذا هو موضوع
كلمتي هذه .

هناك من يرى أن كلا من الهاتين الجامعية
واللغوية تعمل في هذا المجال
مجال تعريب التعليم الجامعي في الكليات
العمالية - بمعزل عن الأخرى ، وهناك من
يذهب إلى أبعد من ذلك ، وأيا كان مقدار
هذه العزلة فإن المأساة تؤرق كل عربي
غيور على مستقبل التعليم الجامعي في الوطن

العربي بل على مكانة الأمة العربية من
ركب الحضارة الحديث .

إن كلا من الجانبين الجامعي واللغوي
يحمل قسطاً من مسئولية تعريب التعليم
الجامعي في الكليات العمالية ، وذلك بحكم
كيانه أولاً ثم قانون إنشائه . ولأنى وقد
مارست الجانبين ، لن إنحار لأحدهما دون
الأخر بل سوف نحاول وضع الحقائق
كما لمستها في كل منهما في عرض موجز
مجرد .

إن مكانة كل من اللغة العربية والتعليم
الجامعي تحتل في كيان الأمة العربية أعلى
المراتب فاللغة العربية التي استمدت قوتها
من القرآن الكريم ليست في حاجة منى
أو من غيرى لإيصاح أهميتها في جميع
جوانب الحياة . وهي اللغة الصالحة لكل
زمان وكل مكان والقادرة على أن تفي
بكل ما يمت لحياة الإنسان . وعلى الجانب

(*) حديث ألقى في مؤتمر الجمع في الدورة الحادية والحسين في ٧ مارس ١٩٨٥

الآن نحن فان العلوم التطبيقيه والتكنولوجيا الحديثة وقد تصدرت كل حواسب الحصار الحديثة وتغلغلت في كل جوانب الحياة فكانتها ليست أيضاً في حاجة منى أو من غيرى لتأكيد أهميتها أو التلليل عليها ، أما والأمر كذلك فأين يا ترى تكس جرثومه العزله أو التباعد في مجال حيوى كتعريب التعليم الجامعى الذى طال أمده واستعصى حله ما يزيد على نصف قرن من الزمان . لبدأ البحث في قانون الجامعة ثم في مجمع اللغة علما نهتدى إلى ضالتنا .

يحدد قانون الجامعة أهدافها بعناصر ثلاثة هي التعليم والبحث العلمى وخدمة المجتمع ويصص صراحة في أول بنوده على أن لغة التعليم في الجامعة هي اللغة العربية ، وهذا أمر طبيعى لا جدال فيه ولكنه ليته وقف عدد ذلك . بل لقد أوردته باستثناء به التدريس بلغة أجنبية تلك هي الجرثومة التى ولدت ونمت وأبدت ما تعايه الجامعة اليوم من مأساة التعليم بغير العربية في كلياتها العملية وإذا سألنا بأن هذا الاستثناء كان له إلهام يبرره عدد إنشاء الجامعة منذ أكثر من خمسين عاماً ، فقد كان من اللازم تحديده وتوقيته واكن فتح باب الاستثناء دون تحديد أو توقيت جعل منه القاعدة وطمس الأصل . فترعرت جرثومه التعليم بلغة أجنبية في هذه الكليات . تم انتقلت من الجامعة الأم إلى كل جامعة أحدثت بعد ذلك

وفد أربى عددها على الستين في الوطن العربى فأصابها جميعاً بالداء الالهم إلا واحده أو اثنين صمدتا للتيار ولكن تجربتهما لم تتكرر بعدها بل لقد حدث العكس ، فقد سرت العدوى إلى جامعة كانت قد بدأت تدريسها في كلياتها العملية الحديثة باللغة العربية بحكم كونها ماراً وأمياً عليها منذ أكثر من ألف عام وهي جامعة الأزهر ، فقد أساقت في تيار الجامعات الأخرى وأقرت استخدام اللغة الأجنبية واستبدلتها بالعربية ، ثم بعدها جامعة الرياض فلاقت المصير نفسه

وبعد أيها السادة ، إلى أنادى بانقاد التعليم الجامعى من جرثومة الاستثناء هذه وهى في نظرى المعوق الأول لتعريب التعليم في الكليات العملية .

لا تنقل بعد ذلك لمعوق آخر . هو عدم وجود الأستاذ الجامعى القادر على أن يحاطب طلبته بلغة الأم المليعة بدلاً من العجمة البعيصة المتفشية اليوم في التعليم الجامعى والتي تجمع بين لغة أجنبية صعبة ركيكة مختلطة بالفاظ متأثرة من عربية عامية دارجة .

وى رأي أن مسئولية إصلاح هذا الوضع يقع على عاتق كل من الجامعات ومجامع اللغة فكما أن من واجب الجامعة أن تحرص على إعداد المدرس فيها إعداداً علمياً جيداً ، عاها أيضاً أن تحرص على إعداده للتدريس

باغة الأم لتزداد قدرته على الإيضاح وتزداد قدرة الطالب على الاستيعاب . أما مسئولي مجامع اللغة فإنها تتناول نشر اللغة العربية العلمية المذمورة كتابة وقراءة وتيسير الاشتقاق والنحت والقياس والمجاز والتركيب فيها ، وعليها أن تكون أرحب صدرآ لاستقبال ألفاظ الحضارة والتكنولوجيا الحديثة والمصطلحات ذات الطابع الدولي وإثراء اللغة العربية بها ثم التوسع في استخدام السوابق واللاحق ، وأخيراً وليس آخراً تطوير الكتابة والطباعة الآلية والإلكترونية باللغة العربية ، التعامل مع الحاسبات وأجهزة المعلومات الميكرو الإلكترونية الحديثة

يمثل هذا أيها السادة تصبح اللغة العربية لغة علمية حضارية حيصة ميسرة لا للتعليم الجامعي فحسب بل لكل مقتضيات الحياة الحديثة .

ونمة معوق ثالث صممه بأنه معوق مقمع ، ذلك هو تلك الكتب الدراسية المترجمة عن لغات الشرق أو العرب والتي غرت سوق الكتاب العلمي . أصفها بأنها معوق مقمع لأن طاهرة البراءة التي تراءى في إيجابياتها تحيى الكثير من سلمياتها . هذه الكتب الدراسية قد كتبت أصلاً لطالب جامعي في مجتمع متقدم علمياً وحضارياً تختلف أساليبه وإمكاناته وبيئة عن طالب في مجتمع نام له ظروفه البيئية والتعايمية وإمكاناته المحدودة وقد استخدم في ترجمته هذه الكتب

مصطلحات علمية عربية من وضع المدح واحتهاده والتي لم يوفق في الكثير منها . واختتمت الكتب فيما بينها في مدلولات هذه المصطلحات ورادت بليلة القارئ في التعرف على المعنى المقصود . ثم إن في غالبية هذه الكتب استسهل المترجم كتابة المعادلات الكمية والمعادلات الرياضية والميريقية باللغة الأجنبية وبالصورة التي وردت في الأصل ، وفصلاً عن هذا الخلط المتشاور بين العربية والأجنبية فإن به إجماع واضحاً يعجز اللغة العربية وفصولها عن كتابة هذه المعادلات ، وهو إتهام باطل من أساسه . كل هذه السلبيات في الكتب الدراسية المترجمة تبدو كثيراً على مع إيجابياتها ، ولهذا لم ترحب بها الجامعات التي تستخدم اللغة العربية في تدريسها وما أندر ها . أما الجامعات التي تستخدم اللغة الأجنبية وهي الدالية فلا حاجة لها بها .

وبعد أيها السادة .

هنا أكتفي بالقاء الضوء على هذه المعوقات الثلاثة التي تعترض مسار تعريب التعليم الجامعي في الكليات العملية وقد أوردتها للتمثيل لا للحصر . أما أمر علاجها فهو في يد الهيأتين الجامعية واللغوية مقتضاتين وحيداً لو انشئت لذلك هيئة قومية موسعة ترعاه بالدراسة المستفيضة والتخطيط السليم وتقيد اللغة العربية العلمية من هذه المعاقاة وتحلها مكانها الواجب في التعليم الجامعي بل وفي الحياة الحضارية الحديثة .

والله تعالى ولي التوفيق ، ، ،

محمود مختار
عضو المجمع

قضية تعريب التعليم العالي والجامعي

في مصر

للكاتب محمود هاشم

شهدت

مصر في ربيع القرن
الأخير وفل ذلك

بسواب عايه واهتماما بتعريب التعليم
العالي والجامعي واحاد الاله العربيه لعه
للعالم والتعايم وذلك من مظاهر اع مستير
يستشرف الآفاق الرحه لهذه الاله ويرى
في قوتها وحيويتها الداهية وثرائها وسمولها
قدرة فائقه على استيعاب التطور المتلاحق
في شتى قطاعات العلم والمعرفه وعلى مواكبه
الإيقاع السريع الذي يشهده في هذا العصر
لحركه العلم والتقدم العالسي كما يهض بالتعايم
الجامعي ومسوى حريجه الآحاد في الموط
والتردى إلى درجه لفتت إليها الأنظار في
كل مكان .

ومبعت الاهتمام كذلك بالتعريب وبالاله
العربيه يأتي من ترات عربى يستمد حلهوره
من تلك الهبة العلميه الإسلاميه التي تألفت
في سماء الأمة العربيه وباعت أوحها في عصر
الحلمه المأمون (٨٧٦ / ٨٣٣ م) حيث أحاد
المسلمون يهاون من موارد العلم ويترحمون
الكتب الإغريقيه والسريانيه والفارسيه وينقلون
إلى اللغة العربيه مختلف الدوائر العاميه وقد
حمل لواء هذه الحركه العلميه العارمه التي

امتدت بعد ذلك بضعه قرون عدد من
العلماء العرب الأعلام قاموا بأروع الإنجازات
العلميه وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات
وأضافوا إلى التراجم الكثير من مستكرااتهم
كان ذلك العصر عصرا ذهبيا بالنسبه
للعربيه لعه للعالم رحب بآلاف المصطلحات
والمقولات والمأثورات ولا رلما نحن المسلمين
بالعلوم حتى اليوم نترع من نعمهم النياض
وأسارهم الرائع كووس العلم والمعرفه بأغه
عربه حزنه معطاءة اتسعت آفاقها ارحمه
لمختلف العلوم والفنون ولست في حاجه
إلى القول إن اللغة العربيه هي الأداة
الطبيعيه للتعايم الجامعي والعالي وذلك
لاعتبارات فويه وعلميه واجتماعيه إذ أن
المكر الأصيل لا يخلو في الألة إلا إذا كانت
تعلم باعها وتكتب وتؤلف باعها وفد
أكدت ذلك كل المؤتمرات والمداولات العلميه
التي توالى عقدها في البلاد العربيه في عام
١٩٦١ وماقاه واتى نظم معطيهها وأتبرف
عليها اتحاد الجامعات العربيه الدراسه ركاب
التعايم الجامعي وأتس من بينها المؤتمر

(*) ألقى الهمت في الحلسه العلنيه (العاشرة) مساء الأربعاء ٧ / ٣ / ١٩٨٥ م

العام الذى عقده الاتحاد فى فبراير عام ١٩٧٣ والإستفتاء الذى اضطلع به المكتب الدائم لتسيق التعريب فى العالم العربى بالمعرب عام ١٩٦٦ وكانت هذه المؤتمرات تستهض المهم بضروره لإسراع الجامعات العربيه بتعريب التعليم فى كلياتها المختلفة واستخدام اللغة العربيه كذلك فى السحت العلمى وفى التقييمات الحديثه كما أن اليونسكو ككر دعوته وتوصيته بحل اللغة العربيه لغة المعايير فى مراحلها المختلفة وفى مقدمتها مرحاه التعليم الجامعى بل إن قانون الجامعات حرص على النص على أن تكون اللغة العربيه لغة التعليم والتدريس وإن كان قد سمح بتأجيل أعمال هذا النص فى بعض الأحوال فلما كان ذلك لأجل موفوت

وقصيه التعريب فى التعليم العالى والجامعى ترتكر على محاور أو اهتمامات ثلاثه هى الأستاذ والكتاب والطالب وسأعرض إلى كل منها وما أصابها جميعاً من تطور فى ربع القرن الأخير فى مصر مع الاستشهاد بكلمة العاوم بجامعة القاهرة التى أعمل بها منذ خمسين عاماً وأود أولاً أن أذكر أن فى مصر الآن اتت عسرة حاديه تصم قرابه نصف المايون من الطلاب يدرسون فى مائة وواحد وسبعين كايه ومجهلاً بالإصافه إلى ستة عشر ميهداً حالياً تابعاً لوراره التريبه والتعليم وتحت إشرافها فى مصر الآن ٢٤٠ مائتان وأربعون مركزاً ومجهلاً للبحث العلمى - وشهد ربع القرن الأخير فى

مصر الجانب الأكبر من هذه الزيادة الهائله فى أعداد الطلاب والكليات والمعاهد وازدادت تبعاً لذلك أعداد أعضاء هيئة التدريس بالتعليم الجامعى والعالى ومن بين هؤلاء الطلاب قرابه مائة وخمسين الفا يدرسون معظم مقرراتهم بالانجه الإنجائيزيه وهم طلاب كليات العاوم والهندسه والطب البشرى وطب الأسنان والعسله والطب البيطرى والمعهد العالى للتدريس ومعهد العلاج الطبيعى ويعوم بالتدريس لهم نحو خمسة عشر الفا من الأساتذه والأساتذه المساعدين والمدرسين والمدرسين المساعدين والمعيدين (٦٣٠٠ من هيئه التدريس و ٨٧٠٠ من المدرسين المساعدين والمعيدين) وذلك بخلاف أعضاء هيئة التدريس بحامه الأهر - وهناك فاه من المقررات فى بعض هذه الكليات تدرس باللغة العربيه كما سيقتصح فيما بعد وحماه القول أن نحو ٣٠٪ (ثلاثين فى المائته) من مجموع طلاب المرحاه الجامعيه فى مصر ونحو ٥٠٪ (خمسين فى المائته) من مجموع أعضاء هيئة التدريس فى هذه المرحاه يدرسون ويدرسون باللغة الإنجائيزيه فى الوقت الحاضر - أردت بذكر هذه الأعداد من أساسه وطلاب أن النصح إلى حجم المسكاه وابعادها فى الحاضر والمستقبل قريبه ويعيده

دور الأستاذ والمعلم فى قضية التعريب :

لست فى حاجة إلى التأكيد أن دور الأستاذ أو المعلم دور رئيسى فى قضية تعريب التعليم العالى والجامعى وأحد أركانه

الركيزة وقد شهد ربع القرن الأخير في مصر نشاطاً ملحوظاً في الدراسات العليا وحصل على درجة الدكتوراه من الجامعات المصرية بصعوبة آلاف أبحاثهم درجاتهم العلمية التدريس بالجامعات أصف إلى ذلك آلاف أخرى عادوا من الخارج بعد أن أتموا دراساتهم العليا بالجامعات الأجنبية بالجلترا وأمريكا وفرنسا وبلاد الكتلة الشرقية وغيرها وتخصص الكثير منهم في العلوم الحديثة والتطبيقية ويقومون بتدريس أغلب هذه العلوم باللغة الإنجليزية في كلياتها وجامعاتها المختلفة على مدى سنوات طوال حتى اليوم وتجذبهم في ذلك المادة العلمية الحاضرة في مراجعها الحديثة وبميل بهم التراجع إلى تكرارها ويخشون استخدام اللغة العربية فيحتاجون إذن إلى بدل جهود مصاعمه في الترجمة والإعداد هم في غنى عنها حين يستخدمون اللغة الأجنبية وياليت اللغة الأجنبية التي يتعلم بها الطلاب لغة سائمة بل هي آحاد في التردى وقد زاد الطين باه تكدر الطلاب بالآلاف مما جعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة وعجز الطلاب عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماماً بهذه اللغة الأجنبية ويخفى أن نطلع على أوراق إجاباتهم بكلمات العلوم والطب التي أعرفهما حق المعرفة لنرى انحدار المستوى اللغوي والعلمي في هذه الأيام والذي باغ درجه من الصعف عند كثير من الطلاب لم يسبق لها مثل ومع ذلك يرى عزوفا عن التدريس باللغة العربية

وعلى الجانب الآخر نرى صوراً مشرقة وضاعة لهر من أعضاء هيئة التدريس بجاهداتنا المصرية خاضوا التجربة - تجربة التدريس باللغة العربية في عزم وإصرار وأبلوا فيها أحسن الملاء ومن بين هؤلاء عالم فاضل هو الأستاذ الدكتور على محمد كامل رئيس قسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس وكان قد أتم دراسته العليا بالجلترا قال وهو يصف التجربة التي حاصها في التدريس باللغة العربية حتى على عقد من الزمان وأنا أراول التدريس بالخط العربي الإنجليزي قبل أن استمع عريتي واستندب إلى نص قانون الجامعة الذي يعتبر العربية لغة التدريس ما لم تكن هالك عقبات في سبيل ذلك وخطوت نحو التعرف الكامل للمحاضرة فلم أحد العقبات التي كان بعض الناس بتصورها فكتر من المصطلحات كان متداولاً وإن احتاج معه إلى من التهذيب وغيرها كانت تحتويه المعاجم وإن اعتراه بعض التشتيت أ.أ. الباقي فقد أفادني بحره التدريس لعشر سنوات خات في الوفوف من معناه إلى درجة تؤدي إلى اختيار النمط العربي الصالح لتأدية، وكان على أن تعود اتباع الأسلوب العلمي الصارم في التعبير حتى أصل إلى أقرب الطرق وأوصحها إلى أدهان الدارسين أنقل إليهم المفاهيم في ترتيب منطقي سلس .

وتحصر في تجربة أخرى تستحق التسجيل
خاضها الدكتور عبد الملك أبو عوف الأستاذ
بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة حين انتدب
لتدريس الكيمياء العضوية بجامعة دمشق
واضططر لتدريسها باللغة العربية لأول مرة
واستطاع أن يفعل ذلك بعد بضعة أسابيع
ثم قارن بين عمله في القاهرة وفي دمشق
في قوله « وها أحب أكرع عايه . هو حسن
المتائج التي أحررها الطلاب بالنسبة لنتائج
أقرانهم طلاب كلية الصيدلة بالقاهرة وصحاب
التي حصل وحسن الاستيعاب الذي توصلوا
إليه إلى أن قال إن تفهم الطلاب لآله
المحاضرة والشرح كان معه من بدل مجهود
بصاعب . يصرف نفسه لفهم اللغة والتعرف
على المعربات الصعبة في اللغة الأجنبيات التي
يدرسها . ويصرف المصعب الآخر
من الجهد لاستيعاب المادة العلمية نفسها
فصلاً عما يعمود ذهن الطالب أحياناً من
غموض في العي أو بعض فيه يخلط معه
بناء المعلومات أو تفهله إليه بعد الصورة
المقيدة من المحاضر .

ويجدر بي في هذا المقام أن أقره جهود
عالم من حبه علمائنا في مصر هو المصنف له
الدكتور محمد ولي الذي أصر على تدريس
علم الحيوان باللغة العربية طوال ربح فون
بكلية العلوم جامعة القاهرة وعمل جاهدًا
مع زملاءه على رأيهم الأستاذ الجليل الدكتور
كامل منصور في تعريب الكثير من المصطلحات

وكنا نحلس إليه وبأخذ عنه ونذكر له
محاضراته التي ألقاها في عام ١٩٣٤ بالجمع
المصري للثقافة العلمية عن « العربية لغة للعلم »
والتي جاءت معبرة عن رغبة حارة
في صدورنا في تعريب التعليم الجامعي
والتي لم ترل متقدده حتى اليوم على الرغم
من العصبية التي تعترض طريق النجاح
ولذلك كانت كلية العلوم من أوائل الكليات
التي عييت بتعريب التعليم وسعدت بعدد
من علمائها وقممها الشاخصة الذين أبلوا في
هذا المجال أحسن الملاء وجهودهم بارزة
شاحصة حتى اليوم أمثال المصنف لم
الدكتور على مصطفى مشرفة عالم الرياضيات
والدكتور أحمد ركني عالم الكيمياء وعصر
مجمع اللغة العربية في مصر والدكتور محمود
توفيق حنناوي عالم السمات والرعاية وعضو
الجمع أيضاً ثم الدكتور كامل منصور عالم
الحيوان أماد الله في عمره

وفي أوائل السبعينات استقر الرأي على
تدريس العلوم الطبيعية وعلوم الحياة باللغة
الإعدادية لطلاب الطب باللغة العربية والفت
لذلك كتب مرحومة في هذه العلوم منها
كتاب علم الحيوان العام وكتاب علم السمات
العام وكتب في الكيمياء والميزيقا تضم آلاف
الصمحات والمصطلحات واستمر التدريس
باللغة العربية على سبيل وكانت النتائج
مدهلة من حيث استيعاب الطلاب للمادة

العلمية وتجهيزها في سهولة ويسر وللأسف الشديد عدل عن هذا التمرار وعاد التدريس باللغة الإنجليزية استجابة لما طالب به كلية الطب وتكرر بنفس القصة بالنسبة لطالب السنتين الأولى والثانية بكلية العلوم في أوائل السبعينيات - ومهد سنوات ثلاث في شهر مايو عام ١٩٨١ وافقت لجنة قطاع الدراسات الطبية التابعة للمحاسب الأعلى للجامعة على السماح باستخدام اللغة العربية في التدريس بكلمات الطب ولكن قامت قومة أساتذة الطب للحيلولة دون تسمية هذه التوصية وسقطت في هذا الاتجاه محاولات أخرى قادها الدكتور محمد سايح أستاذ الطب الشرعي بجامعة القاهرة ومعه نفر من المؤمنين بهذه الرسالة ولكن لم يكتب لهذه الجهود النجاح ، ومرد ذلك إلى مريه يروحها المعرصون أو المتحورون من أن اللغة العربية قد تقصر عن الوفاء بمتطلبات التعمير عن علوم الطب أو عره باللغة العربية وعن ملاحقة التطور العالمي السريع في هذا المجال وفاتهم أن جامعة دمشق تقوم بتدريس الطب باللغة العربية منذ خمسين عاماً حتى اليوم كما فاتهم أن أقاربهم من الأساتذة بالكليات الأخرى ككلية الزراعة وغيرها يدرسون مادتهم العلمية باللغة العربية منذ سبعين طرياً وتخرج على أيديهم المهندسون والعلماء والمحققون

وحملة الهول إنه لا سبيل إلى تعريب التعليم العالي والجامعي ما لم يؤمن بذلك

الأستاذ وعصو هيئة التدريس وما لم تروى في هذه قناعه قوية بأهميه التعريب باعتباره قضية قومية ووسيلة فعالة للارتقاء بمستوى التعليم ودفع حركته خطوات ناعة فسيحة إلى الأمام وأن تتوافر حاب هذه القناعة وهذا الإيمان أحدث المراجع العلمية باللغة العربية وله في ذلك دور كبير ترجمه وتأليماً وتعريباً للمصطلحات مع تأهيه لتدريس بالعربية لتحسن لفته ويستقيم لسانه وقد كتب العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الكريم حايمة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني دراسة قيمة في موضوع تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالعربية وأشار في مجلة المجمع - ما أرى سواب - إذا اجتمعت كل هذه المقومات واقترنت بترار سياسي مارم بتعريب التعليم الجامعي لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية فلا شك أن عصو هيئة التدريس سيمضي في تأدية رسالة التعمير بالجامعة بلسان عربي

الكتاب وفضة التعريب :

إذا كان الأستاذ أو المعام يمثل ركناً رئيساً في قضية تعريب التعليم الجامعي وكذلك الكتاب فهما صنوان في هذه القضية علمية يتوقف النجاح وهما تطلق حركه التعريب خطوات مسيحه إلى الأمام

وفي ربيع القرن الأخير زحزح المكتبة العربية بالآلاف من الكتب العلمية بالكليات الجامعة والمعاهد العليا التي تدرس علومها باللغة العربية ولكن على التقيص من ذلك

ظلت المكتبة العربية حتى اليوم فقيرة في الكتب والمراجع العلمية بالعربية التي يعتد بها مؤلفة أو مترجمة بكليات العلوم والهندسة والطب وفروعها المختلفة، مستثناء بعض المقررات في هذه الكليات إذ لها كتب بالعربية لأنها تدرس هذه اللغة وقلما تجد في مكتبة كلية العلوم بجاهد الماهر متلاً كماً باللغة العربية في الكيمياء أو الفيزياء أو الحيوان أو النبات اللهم إلا بعض كتب أرواحها النسيان في هذه العلوم كما قد ألفها في أوائل الستينيات حين كان المدرس لطلابه أعداداً الطب باللغة العربية واستمر أيضاً بصنع سنوات ثم انفرط عقده وعاد التدريس سيرته الأولى باللغة الإنجليزية — مرد ذلك الذي نشهده من قاه المراجع العلمية العربية بالجامعات وكلياتها العلمية إلى العزوف عن التأليف بالعربية أو ترجمه أمهات الكتب والمراجع العلمية إلى العربية في غيبة الحافظ الذي يدفع إلى ذلك ومرد ذلك أيضاً إلى الأزمة التي تمر بها حركة الترجمة بوجه عام لا في مصر وحدها بل في بلاد أخرى من الوطن العربي وعى عن البيان أن الترجمة ضرورة لتحقيق اتواصل الفكرى الدائم بينا وبين العالم الغربى الذى تتقافر خطواته في معارج الرقى والتقدم كما أن اللغة العربية ترداد غنى وتراء بالترجمة ونوسع آفاقها بالخصيلة الجديدة التي تصاف إلى مدحور تراتها ونصح أقدر على تأديه رسالها في

عصر العلم والتقدم العالمى والتكمولوحتى بفصل عمليه التلاحم التي تصطاع بها الترجمة .

وعن موضوع الترجمة وعصورها الزاهرة لا أريد أن أذهب بكم بعيداً إلى عصر البقطة الإسلامية كما يقول أستاذنا الكبير الدكتور إبراهيم مذكور حين انطاق « حين ابن إسحق بأمر الخليفة المأمون إلى القسطنطينية باحثاً عن الكتب والمراجع وبوجه خاص عن مؤلفات جالينوس ولا أظن أن جالينوس أحيى إلا على يديه وعلى أيدي من عاونوه من مترجمين وتلاميذ وإذا كانت القرون الوسطى المسيحية قد عرفت شيئاً في القرن الثالث عشر الميلادى عن الطب اليونانى إنما عرفتته عن طريق الطب العربى إلى أن قال « إذا رجعت إلى كتاب الفهرست لابن النديم وحدثم طائفة قيمة من تلك الترجمات التي كانت دعامة الحركة الفكرية والعلمية في القرن الثالث الهجرى أو العاشر الميلادى وفي جو هذه الترجمة تخرج أكبر طبيب عربى هو أبو بكر الرازى كل ذلك يؤكد أن علينا أن نستعيد ما أخذ به السابقون من إعداد المراجع وال تراجم والمؤلفات »

كذلك لن أذهب بكم إلى عصر قريب ازدهرت فيه الترجمة في مصر حين قام رابع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٥) والذي اطاق عليه شيخ المترجمين ، عصره قام بتسجيع من محمد على والى مصر بعد عودته من سنة ١٨٠١ مرسا هو وأمرانه مثل

عشرات الكتب والمؤلفات في مختلف
 الفنون والعلوم الحديثه إلى اللغة العربية
 مما كان له أبعد الأثر في النهضة العاميه
 والثقافيه الحديثه في مصر في ذلك العهد
 وما تلاه - كذلك لا أريد أن أذهب بكم إلى
 أيام المقتطف في مصر الذي ظل أكثر من
 خمسين عاماً منذ أواخر القرن التاسع عشر
 (حين بدأ نشاطه عام ١٨٧٦ في بيروت
 ثم انتقل إلى القاهرة في عام ١٨٨٥)
 يحمل بمختلف التراحم والموضوعات العاميه
 والمصطلحات باللغة العربيه - أو أذهب بكم إلى
 أيام زاهرة أيام لجه التأليف والترجمة والنشر
 في مصر والتي كانت تصمم نخبه من أساطين
 العلم والفكر والأدب من بينهم شيخ المجتهدين
 أستاذنا الدكتور مذكور وقد زودت هذه
 اللجه على مدى ثلاثين عاماً ونيف، المكتبه
 العربيه بطائفة من الكتب والمؤلفات القيمه
 التي كانت عوناً كبيراً للتعليم العالي والجامعي
 وللأسف الشديد وتحت ضغط الظروف
 يتوقف نشاطها منذ سنوات وكذلك كان مصير
 مشروع الألف كتاب الذي نهضت به إدارة
 الثقافة بوراره التعام في الستينيات .

ورحم الله أستاذنا المجتهد الدكتور أحمد
 ركني عالم الكيمياء واللغوى الأديب حين بدأ
 دعوتَه المدويه في أوائل الثلاثينيات بكايه
 العامر بجامعة القاهرة بضرورة البدء في ترجمة
 أميات الكتب العامه إلى اللغة العربيه كخطوة
 في تعريب التعليم الجامعي وقد كتب في ذلك

المقالات وألقى المحاضرات ومن "أبع كتاباته
 في مجلة العربى لرأى كيف كانت اللغة العربيه
 بعظمها وغناها طوع قاصه ويراعه يطرق بها
 مختلف الموضوعات العلميه ويصف بها
 المستحدث من علوم العصر في مكنة وافتدار
 وكانت كتاباته العربيه في العام قمة في الأداء
 والاستقصاء - وقد قاد عدد من علمائنا
 الأعلام هذه المسيرة في الدعوة إلى تعريب
 التعليم الجامعي في مصر وأحياء التراث
 العلمى أمثال الدكتور محمد كامل حسين
 والأستاذ مصطفى نظيف والدكتور على
 مصطفى مشربه والدكتور كامل منصور
 والدكتور محمد دوى والدكتور محمد مرسى أحمد
 والدكتور عبد الحليم منتصر وغيرهم وقد
 كتبوا كثيراً وألفوا وترجموا وحققوا كتباً
 رائده من تراثنا العلمى العربى .

وعلى أى حال ففي أواخر الخمسينيات
 شهدت الأوساط الجامعيه حركة طيبة بدأها
 المجلس الأعلى للعلوم عندما وضع برنامجاً
 لترجمة أمهات الكتب والمراجع في العلوم
 الأساسيه كإسهام في تعريب التعليم الجامعي
 ولإيجاد الكتاب العامى العربى الجامعي
 الذى يرجع إليه وتم بالفعل ترجمة ما يقرب
 من ثلاثين كتاباً من هذه الكتب والمراجع
 على يد نفر من العلماء وأساتذة الجامعات
 ذوى الباع الطويل والخبره الواسعة في هذا
 المجال وطبعت هذه الكتب طبعاً أنيقاً جيداً
 وزود الكثير منه بكشافات تضم المصطلحات

العامية الأحمدية ومقاومتها باللغة العربية ومن المحزون حقاً أنه لم يخصص على هذا العمل الجليل والإيجار المرموق بصنع سنوات حين ألقى المحاضرات الأعلى للعلوم حتى أهداه هذه الكتب وموافاً المسائل إذ أن عدم التدريس بالعربية قد رأى الكثير من أخصائى الجهود المصيبة التى بدلت فى سبيل أخاها .

وتدريته أخرى مما دأبه فاهم بها مؤسسه فإذ كان فى مصر دأبها فى الستينات حين أخرجت إلى المكتبة العلميه العربيه العديد من الكتب والمراجع ويخصرنى بها كتاب صحتم فى علم الحشرات من أعظم المراجع فى هذا العلم أنفقت مع بعض الزملاء فى ترجمة إلى اللغة العربيه ومراجعتة قرابه ثلاث سنوات ورودناه بألف وخمسمائه من الأسماء والمصطلحات الأجنبية ومقالاتها بالعربيه ومن الأسف أيضاً به لم يتمتع به ويعيره مما ترجم وعرب الاسماء الأهم فى التعليم الجامعى ويعلم الله كم أنفقنا فيه من جهود وعناء ونصب .

وسط هذه الحسرة على ما فات يقضى على الجانب الآخر ما ينبغى على التماؤل والأمل فقد حمل ربع القرن الأخير وما قبله بتطور ما يحوط بالسنه للكتاب العربى الجامعى وبالسنه لاتخاذ اللغة العربيه لغة للتدريس بالجامعه فى كليات العلوم والهندسه والطب البيطرى وسأذكر أمتاه لبعض المبررات

أو المناهج الدراسية التى تدرس باللغة العربيه فى هذه الكليات الجامعيه فى مصر فى الوقت الحاضر ويمتحن فيها الطلاب بهذه اللغة ولها كتبها ومراجعها باللغة العربيه وهى حركه مساركة برجو لها الاطراد والتمدد لأن ما يدرس من المناهج والمفردات باللغة العربيه فى هذه الكليات لا يزال فلا لاكترا

أولاً . فى كليات العلوم على مستوى الجامعات المصريه تدرس الرياضيات فى السنتين الأولى والثانيه باللغة العربيه .

وفى بعض كليات العلوم (مثل كليه العلوم - جامعه عين شمس) يدرس علم البيئه النباتيه والنبات الزراعى وفسولوجيا النبات والحشرات باللغة العربيه فى السنتين الأولى والثانيه .

وفى كليه العلوم بجامعه القاهرة تدرس العلوم كالمه باللغة العربيه لطلاب السنه الأولى وتشمل علوم الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان والجيولوجيا والرياضيات ولها كتب مؤلفه باللغة العربيه

وفى كليه العلوم بجامعه الأزهر تدرس علوم السنه الإعدادية باللغة العربيه وكذلك علوم الأحده والتطور والبيئه والتصنيف فى السواب الأخرى

ثانياً . فى كليات الهندسة تدرس علوم السنه الإعدادية باللغة العربيه وتشمل

الرياضيات والفيزيكا والميكانيكا والكيمياء
والهندسة الوصفية وغيرها

كما تدرس مقررات أخرى في خواص
المادة والمساحة والحجوم والكيمياء باللغة
العربية في السنتين الأولى والثانية وكأية
الهندسة بجامعة عين شمس ويدرس علم
المساحة بالسنة الثالثة والسكك الحديدية والطرق
وتخطيطها بالسنة الرابعة وغيرها من المقررات
بالكليات بالجامعة العربية أيضا .

ثالثا في كليات الطب البيطري تدرس
علوم الوراثة بالسنة الأولى وترسم الخواص
والاقتصاد الزراعي بالسنة الثانية باللغة
العربية واكل من هذه العلوم الثلاثة كتبها
ومراجعتها باللغة العربية

رابعا في كليات الطب والصيدلة
وطب الأسنان : عروف بين عن المدرسين
والأطباء باللغة العربية حتى الآن ولو أنه
في بعض المواد كالطب النفسي خاصة
عين شمس يحور للطالب أن يحسب باللغة
العامة والرواد والأمراض العصبية
بالغة العربية .

الطلاب الجاسمي والعربي :

كلمه قصيره عن تال العناصر أو
المخاور في قصيدة التعريب وهو الطالب
الجامعي وهو بمثابة التربه التي يتعامل معها
الأستاذ فادا صاحبت وصاحب مكوناتها
آتى التعريب أكله وأنى بأعظم السائح
وأطيب الثمرات .

وفي ربيع الثمن الأخير شهدت الجامعات
المصرية نوا مطردا واردة هائلا في
أعداد الطلاب الملتحقين بها بعد أن ران
كل العقبات التي كانت تحول بين جماهير
الطلاب والتعليم الجامعي فاردحت فاحات
الدرس تختود منهم بلغ الآلاف بدرجه
لم يسبق لها مثيل في السواب الأخيرة
فما جعل مهمل المحاصر في أغلب الأحيان
بالعه الصعوبة في تأديته واحمه التعاملي
على النحو الذي برصمه وأصبح العلافه
بين الأستاذ والطالب صعبه واهبه إن
لم تكن معدومه وفي الوقت نفسه تعدد
على كثير من الطلاب مهم المادة العلمية
التي تلقى عليهم باده أحسنه واستيعابها
وهضمها مما كان له أبعاد الأثر في ضعف
مستوى الطلاب واداءهم وقد تبدى ذلك
في وصوح وحلاء في إجاباتهم في الامتحان
وعبر ذلك من المواقف والمسابقات

وإذا كنا ندعوا لتعريب التعليم الجامعي
وهو أهل طالما انترايت لتحقيقه الرؤوس
وتطاولت الأعاق وهدف فومي اسمي
طالما سعيما إليه -- علما أن يعمل على
رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة
العربية بعد أن هبط لديه ولدى غيره
إلى الحضيض وأصبحنا نجار بالشكوى
لما وصل إليه حال اللغة العربية هذه الأيام
لدى سبانا بعد أن كنا نقرأ كلامه ودمه
لانس المفتح والضراب للسماعوطي ونحن
في أولى مراحل التعليم ويمكن أن يتم ذلك

عن طريق وضع مناهج متطورة وبرامج تعليمية لتدريس اللغة وقواعدها الأساسية إنما الذي يجب أن يتم كذلك بل هو قطب الرحى في هذه العملية هو العناية باللغة العربية والإعداد اللغوى لطلاب التعليم العام بمراحله الابتدائية والإعدادية أو مرحلة التعليم الثانوى وهى المراحل التى تسبق التعليم الجامعى ولذلك بات أمرا بالغ الأهمية أن نعيد النظر بصورة جذرية فى تعليم اللغة العربية فى هذه المراحل وتطوير برامجها ووسائلها التعليمية ليكتمل بذلك الساء اللغوى السليم لجميع الذين يهون الدراسة الثانوية ويلتحقون بعد ذلك بالجامعات بل يذهب البعض وهو فكر شديد إلى ضرورة العناية باللغة العربية فى مراحل الطفولة ليستقيم الانسان مبكرا طبقا وتعبيرا - وبهذا التكامل لا يسهل التعليم الجامعى عن التعليم العام يستقيم الأمر لدى الأساتذة والطلاب على حد سواء وصحح التعليم عربيا فى جميع مراحله

هيئات علمية ولغوية تنهض بحركته فى مصر:

حفن ربيع الفرن الأخير وما قبله بنشاط ملحوظ فى مصر من هيئات علمية ولغوية تعمل جاهدة فى صبر وأناة على اتحاد العربية لغة للعالم وتطبيقاته وفى مقدمه هذه الهيئات مجمع اللغة العربية ولا أحاور الحقيقة إذا قلت إن أعظم إبحار قوى وعربى أخذ بيد اللغة العربية وادطاق بها إلى آفاق

رحمة لتواكب عصر العلم ومقتضيات التطور ويسهم فى حركته التحريك هو إنشاء مجمع اللغة العربية فى مصر وإنشاء أشتائه من المجمع اللغوية فى الوطن العربى - ولعل مايعندنا فى المقام الأول بالنسبة لتعريب الكتاب العلمى الجامعى هو المهمة الكبرى التى يصطلىح بها المجمع ويحميها على كتميه ألا وهى وضع المصطلحات العلميه - وعنى عن التعريف أن لجان المجمع العلميه المتخصصة حين تتصدى لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومسى وأصله اللاتينى أو اليونانى وتبحث عن أفضل المقابلات له باللغة العربية وترجع فى ذلك إلى مختلف المعاجم اللغوية وقد تجد مقابلا أو مأثورا دقيقا غير مطروق فى الكتب القديمة فتأخذ به ليشيع استعماله ويمر المصطلح فى مراحل عدة من الدراسة المتخصصة والتمحيص والمناقشات فى لجان المجمع ومجلسه ومؤتمره كميانه بصقله وصوغه الصياغة المتلى وقد أفر المجمع من المصطلحات العلميه أكثر من ثلاثين ألف مصطلح علمى فيها

فى الكيمياء والصيدله ٤٥٢٢ ، وفى العيزيقا ٣٥١٤ ، وفى الأحياء والزراعة ٥٤١٢ ، وفى الحيولوجيا ٤١٩٦ ، وفى ارياضيات ٨٥٧ وفى النمط ٩٥٤ ، وفى الهندسة والهندرولوجيا ٣١٩٤ وفى الطب ٧٨٢٧

كما أنجز عددا من المعاجم العلمية المتخصصة منها :

معجم الكيمياء والصيدله ، معجم الميريقا
الوويه ، معجم الحيولوجيا ، معجم علوم
الاحياء ، معجم الميريقا الحديثه وذلك
بالإضافة إلى ٢٦ جزءا من مجلة المجمع
حافة بالآلاف من هذه المصطلحات

وتحضرى كامة المعفور له الدكتور
أحمد عمار نائب رئيس المجمع فى معرض
حديثه عن المجمع والمصطلحات - قال
طاب الله ثراه « على مدى خمسين عاما
مضت كان مجمع اللغة العربية فى مصر
مدراسا للمصطلح العلمى تناصرت فيه
جهود اللغويين والعلميين فى العالم العربى
لاقتحام المحالات العامية على اختلافها
حتى طمرت الجهود المجمعيه بالثقة والتقدير
من أهل العربية جميعا واكتسبت ألوف
مصطلحات المجمع الشرعيه اللغوية والشرعية
العلمية على سواء »

واست فى حاجة إلى القول إن هذه
الثروة اللغوية الهائلة من المصطلحات العلمية
تأخذ طريقها رويدا رويدا إلى قاعات
الدرس بالجامعات وإلى كتب المؤلفين
والترجمين الذين يدرسون علومهم باللغة
العربية بالكليات الجامعية وهى باذن الله
المعين الراخر لحركة تعريب التعليم العالى
والجامعى حين يكتمل الشوط الذى بدأناه

وتصبح محاضراتنا بكليات العلوم والهندسة
والطب تلقى بلسان عربى مبين ويقضى
الإنصاف أن ألمح إلى جهود الاتحاد العلمى
المصرى فى ربع القرن الأخير وهو أحد روافد
الاتحاد العلمى العربى الذى توقف نشاطه
مدد سنوات والذى نرجو له أن يعود نشاطا
كما كان له ودى رسالته العامية واللغوية
فى الوطن العربى .

واصل الاتحاد المصرى منذ نشأته عام
١٩٥٦ نشاطه فى اتخاذ اللغة العربية لغة
للعلم وفى سبيل ذلك أبلى بلاء حسنا فى
موسوع المصطلحات العلمية وترجمتها
وإيجاد المقابلات العربية المناسبة لها وقد
أنجز منها بصعة آلاف ونشرها الاتحاد فى
كتبه وقد أشرف على هذا العمل وركاه
بعامه وفصاه عالم ثبت هو المعفور له
الأستاذ مصطفى نظيف رئيس الاتحاد آنذاك
وعضو مجمع اللغة العربية وقد عاونه فى
ذلك استاذ جليل كما معه هو الدكتور
عبد الحليم منتصر الذى دفع بهذه المصطلحات
إلى المؤتمرات العلمية العربية التى كان ينظمها
الاتحاد العلمى العربى وكان آخرها مؤتمر
بغداد عام ١٩٦٦ وجدير بالذكر ان
هذه الجهود التى قام بها الاتحاد استمدت
عونها من مجمع اللغة العربية بالقاهرة
والجامع اللغوية الشقيقة فى الوطن العربى
ومكتب التعريب بالرباط وما انجزته فى
هذا المجال - وانبثقت كذلك من رغبة

حارفة تملح في صدور كثير من العلماء في هذا الاتحاد للتدريس والتأليف بالغة العربية لطلبة الجامعات إيماناً بأن الطالب يستوعب المادة العلمية بالغة قوه بدرجة تنوق كثيراً عما لو تألقها بالغة أحبية وقد قام على ذلك الدليل تلو الدليل

وبحسب في ذلك في هذا المقام أن أذكر أن الجمعيات العلمية في مصر والتي قهر عددها في ربع قرن الأخير حتى بلغ ثلاثاً وتسعين جمعية علمية تقوم بدور بارز في اتحاد اللغة العربية لعنه للعالم فمحصها ينشر دراساته ويبقى محاضراته باللغة العربية كالاتحاد العلمي المصري والجمع المصري للثقافة العلمية والمعرض الآخر الذي ينشر بحوثه بالغة أحبيه يالحق بالبحث ما حصا باللغة العربية كالكاديمية المصرية للعلوم وترخر عضويه هذه الجمعيات بالآلاف من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ومن شباب العلماء

وأود كذلك أن أشير إلى بادرة طيبة بكلية الطب بجامعة الأزهر حيث يقوم بعض اساتذتها بالترجمة والتأليف باللغة العربية في تخصصاتهم أذكر منهم الدكتور محمد عبد العزيز الذي وضع أول كتاب في عام الرمذ وطب العيون باللغة العربية صممه أحباب المحوت والتهنيات في هذا العلم وكذلك الدكتور عبد المنطيف عثمان الذي كتب في العدائيات والأمراض العصبية وآخريين مثل الدكتور عبد الحميد إبراهيم البابا يعاون

كتاباتهم في تخصصات أخرى إسهاماً منهم في تعريف العلوم الطبية والطبيعية بجامعة الأزهر ونرحو محلمين أن تمتد هذه الحركة المباركة لتشمل الجامعات الأخرى في مصر .

بقي أن أشير أيضاً إلى نشاط علمي في هذا المجال يقوم به مند سواب مركز الأهرام للترجمة العلمية ولعنه الوحيد من نوعه في الوقت الحاضر في مصر وهو يعتبر اليوم أنشط هيئة علمية تقوم على ترجمه كتب العلوم وإعداد الماحم والتصدى لأمهمات الكتب والمراجع في الرياضيات والطب والتكنولوجيا وغيرها كما لا يفوتني كذلك أن أبوه بالنشاط الماحوظ في إصدار الماحم العلمية في مصر وفي الوطن العربي وأهميتها بالنسبة لقضية التعريب وتيسير مهمه العلماء والدارسين الذي يضطاعون بمود ربح التعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية - وفي هذا المقام نود أن يستكمل المسره بأصدار معاحم أخرى وافية في المستحدثات من فروع العلم مثل ريادة المصاء والحسابات الألكترونية والتكنولوجيا الحديثة الأخرى ولو أن محاولات تدل في هذا السبيل والأمل فيها كبير

الانفتاح على التطور العلمي العالمي :

نقبت نقطة هامه تستلزم الإيضاح وهي يجب ألا يتبادر إلى الدهن ونحن ندعو لقضيه التعريب وعمل لها لتصبح حقيقة واقعة أننا نريد الانعلاق على انفسنا بل العكس هو الصحيح - وهو الانفتاح على العالم الخارجى

على علمه وفكره وإنجازاته الحديثة في العلم وتطبيقاته ومواكبة تركب التقدم العامي المذهل الذي يشهده في هذا العصر ولا شك أن ذلك يعتمد في المقام الأول على اتقان لغة أجنبية من اللغات الحية كالإنجليزية أو الفرنسية مثلا بطل بها إطلاقات نيرة متمره على منحدرات العلم وآفاقه الرحبة في كل رجا من الأرحاء — علينا الاهتمام بتعليمها في أثناء المرحاه الجامعية بل وفي أثناء مرحاه التعليم العام لأنها أصحها في عصر لا يحور فيه لخريج الجامعة طبيبا كان أم مهندسا أن يقف عند اعته العمومية إذا أراد أن يتابع التقدم العلمى العالمى في محاله وتخصصه — وإذا كان تعلم اللغة الأحمية ضروريا لطالب المرحلة الجامعية ليتسع بها أفقه ويستعين بها على مريد من الدرس والاطلاع الخارجى فانه واجب أساسى وحتمى بالنسبة لطالب الدراسات العليا بالجامعة إذا لا يمكن أن يحرى بحوته أو يشر إبحاراته وهو بمعزل عن مسحات العلم والعلماء في كل مكان ودون أن تقوم قنوات الاتصال منه وبين غيره من العلماء في الخارج ولن يتأتى ذلك دون اتقان لغة أجنبية حديثا وكمانه وذكرنا — ولذلك يبعى أن يكون من بين الأهداف الرئيسيه عند إعداد طلاب الدراسات العليا العمل على اتقانهم واجادتهم للغة أحميه إدهم الصفوة المختاره للبحث العلمى والتميادة العامية ونجدربى في هذه المساسه أن أشير إلى أن برامج الدراسة في كاياب العلوم وبالأخص

في جامعہ القاہرہ تشمل برنامجا لتدريس اللغة الإنجليزية لطلاب السنين الأولى والثانية وبرنامجا لتدريس اللغة الألمانية لطلاب السنتين الثالثة والرابعة وآخر مكتفا لطلاب الدراسات العليا ولكن يلزم لها مع ذلك المزيد من الاهتمام والجدية .

مفردات وتوصيات :

في رسوبنا لمعربب التعايم العالى والجامعى والعمل على تخصصه كاملا بالكاياب التى يحرى فيها التدريس باعه أحميه شهدت المجامع والهيئات العاميه في مصر خلال ربع القرن الأخير وفناه مند الثلاثينات عسرات الأحادىب والمختصرات والدراسات والمؤتمرات والدواب حول هذه القضية كاتب آخرها ندوه آفاهها الاتحاد العلمى المصرى مند عامين عن تعريب لغة العام في التعايم الجامعى رأسها وتحدث فيها سبيح الجمعيع أسادنا المذكور إبراهيم المذكور كما تحدث فيها تجمعه من علماء الطب والعلوم والمهندسه على مدى يومين كاماين وفد حتمات المدوة بالكثير من الآراء والاقتراحات والتوصيات استعين بها فأقول

— إذا نخطونا في سبيل تعريب النعام العالى والجامعى حطرات في ربع القرن الأخير وآل الألوان لأن نكمل السوط ونؤدى الرسالة كاماه .

— أثبتت التجربة أن السبيل الوحيد لتعريب لغة العلم هو المعلم والكتاب ومعلم أى مادة إنما يدرسها على نحو ما تعلمها فلأخذ أنفسنا في كلياتنا العلمية بأن ندرس ونحاضر باللغة العربية إلى جانب الإنجليزية في مرحلة تمهيدية وستتسبى بنا إلى تعريب تام .

— تعريب الكتاب شرط أساسى لهذا التعليم وعليها أن يؤلف وترجم في لغة عربية واضحة سليمة لكي نعد لكل علم مراجعه العربية وواجب جامعاتنا أن تسهم إسهاما كبيرا في التشجيع على التأليف والترجمة كي تعد المكتبة العلمية العربية المتخصصة .

— ليس معنى التعريب أن يهمل اللغات الأجنبية العالمية ومع أخذنا بالتعريب لا بأس من أن يكون بين مواد الامتحان ورقه أو أكثر بلغة أجنبية .^١

— دعوة المجلس الأعلى للجامعات أن يتكفل بمواجهة هذه القضية وفي وسعه أن يخطط لها ويعد عدتها ونود أن نؤكد على النقاط الآتية :^٢

أولا أن قضية التعريب قضية قومية ذات أثر كبير في المهوض بالتعليم العالى والجامعى ورفع مستوى الخريجين وأن في تراء اللغة العربية وسمولها وحيويتها وآفاقها الرحمة قدره فائقة على استيعاب التطور المتلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة وعلى الوفاء بمطالب العلوم الحديثة والتقدم التكنولوجى في هذا العصر .

ثانيا التوسع في تعريب المصطلحات

العلمية ووضع المقابلات العربية المناسبة لها لا سيما في المستحدثات من فروع العلم والتكنولوجيا ومتابعه الجهود الكبيرة التي يقوم بها مجمع اللغة العربية في مصر والجامع العربية الشقيقة الأخرى في هذا المجال مع حفز العلماء والباحثين على استخدام هذه المصطلحات واشاعتها في كتبهم ومؤلفاتهم ودراساتهم الجامعية والدعوة إلى أن يذيل كل كتاب أو مؤلف علمى بقائمة المصطلحات الواردة فيه ومقابلاتها باللغة العربية .

ثالثا . العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربى للتضاء على بلباه قائمه في استعمال المصطلح الواحد بمقابلات عربية مختلفة في البلاد العربية ومنابعة الجهود التي يقوم بها اتحاد الجامعات العربية في هذا المضمار .

رابعا : ضرورة التوسع في وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وقد أسهم مجمع اللغة العربية والجامع العربية الأخرى بمسط كبير في هذا السبيل

خامسا . توحيه عناية خاصة إلى ترجمه مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية مع ضرورة التفكير في إنشاء مركز قومى للترجمة يتولى جمع المعلومات وتبادلها وتنشيط حركة الترجمة والتأليف والنشر ورعايتها .

المختلفة ودعوة الجمعيات العلمية إلى القيام
بهذا الواجب القويم .

هذه اقتراحات وتوصيات حول فضية
التعريب طالما رددتها المؤتمرات والندوات
على مدى سنوات ولا أراني في حاجة
إلى التأكيد على أنه إذا أريد لتوصياتنا
أن ترى النور وتأخذ طريقها نحو التنفيذ
لنستكمل الشروط الذي بدأناه ولاحت تباشيره
فعلى الدواة أن تتبنى قصيه تعريب التعليم
العالي والجامعي بقرار سياسي مازم يوفر
لها كل الإمكانيات التي تكمل لها الحل
والانطلاق باعتبارها قضية قومية وثيقة
الصفاة بكياننا العربي ومستقبل الأجيال
الصاعدة .

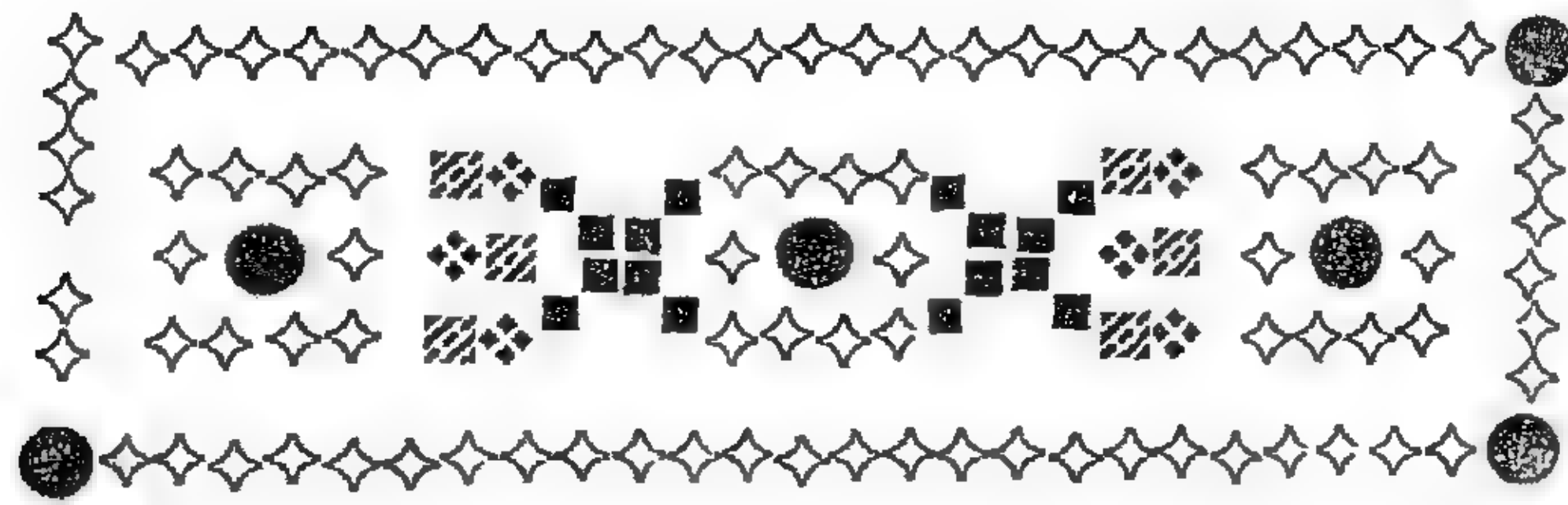
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

محمود حافظ
عضو المجمع

سادساً توجيه عناية خاصة إلى تعليم
اللغات الأجنبية في مراحل التعليم المختلفة :
في مرحاه التعليم العام تم في مرحاه التعليم
الجامعي تم في مرحلة الدراسات العليا
وفي هذه المرحلة الأخيرة يستحق اتقان لغة
لغة اجنبية (الإنجليزية) وإحاديثها حديثنا
وكتابه وفكرا لطلاب هذه المرحلة ووضع
البرامج الكفيلة بذلك لفتح الانفتاح على العالم
الخارجي والاتصال بالتطور العالمي ومجرات
العصر .

سابعاً : تكثيف العناية باللغة العربية في جميع
مراحل التعليم وبصفه خاصة في التعليم الجامعي
وتطوير برامجها وطرق تدريسها مع العمل
على تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالجامعات
والمعاهد العليا لتدريس اللغة العربية

تماماً التأكيد على ضرورة إعداد ملخصات
باللغة العربية لجميع المحووب والدراسات
التي تنشر باللغة الأجنبية في المجالات العاميه



مواكبة لتعليم اللغة العربية للتطور العلمى

للدكتور محمود اسجلى

إنه

لشرف عظيم وسرور
كبير أن أنحدث

أمام هذه الصفوة الكريمة فى مؤتمر مجمع
اللغة العربية الموقر عن « مواكبة التعليم
باللغة العربية للتطور العلمى » . ولقد سبق
لى أن تكلمت قبل ثمانى عشرة سنة أمام
المؤتمر عن « لغة عربية للعلوم » .

١ - معرفة اللغات التى تُستعمل فى
العلوم والتقنيات فى الوقت الحاضر ،
ويبدو أن اللغة الإنكليزية من أهمها ، إذ
يتداولها باحثون ومؤلفون من عدد كبير
من البلاد التى ليست هى اللغة الأم فيها .
كما يُترجم إلى اللغة الإنكليزية كثير
 مما يُنشر فى اللغات الأخرى .

إن أكثر ما يفتلق العاملين فى الشؤون
العلمية باللغة العربية هو مسايرة اللغة فى
الوقت الحاضر للتطور العلمى السريع فى
كثير من فروع المعرفة ، وبخاصة العلوم
الصرفة (البحتة) والعلوم التطبيقية
والطب وما يدعى الآن بالتقنيات Technology

ولابد من القول بأن العلم أصبح عالمياً ،
ويسرت وسائل الاتصالات الحديثة
انتشاره . وأصبحت لغة العلم والتقنيات ،
أو بالأصح مصطلحاتها ، متقاربة أو موحدة
فى كثير من الأقطار المتقدمة فيها ، حيث
أن معظم اللغات الأوربية متشابهة الحروف
والأصول ، ومن السهل على من يتقن
إحداها أن يتعلم ما يكفى لفهم عام للموضوع

ويمكن أن تتحقق تلك المواكبة بأمر
واحد ، أو أكثر ، من الأمور الآتية :

(*) ألقى البحث فى الجلسة الحادية عشرة ١٠ / ٥ / ١٩٨٥ م .

الذى يقرؤه باللغة الأخرى ولكن اللغة العربية مختلفة عنها بأصولها وطريقة كتابتها ، وإذا لم يعرف العربى لغة أوربية فإنه لا يتمكن من قراءة أى شىء فيها .

ولابد من الإشارة إلى أن من الضرورى أن يتقن العلماء والمدرسون فى الجامعات والباحثون لغة أحسبية أو أكثر ، وأن تكون للآخرين القدرة على فهم ما يقرأون فى اختصاصهم . ويشترط عدد من الجامعات العالمية ، التى لغتها هى اللغة الإنكليزية ، معرفة لغة أخرى أو لغتين أخريين (معرفة فهم) عند منح شهادة الدكتوراة . ولكن ذلك ليس معمولاً به فى بلادنا .

٢- الترجمة إلى اللغة العربية . ويأخذ ذلك وقتاً طويلاً ، ويحتاج إلى مترجمين يتقنون اللغة المأخوذ منها ، واللغة التى يترجمون إليها . وأن يكون لديهم معرفة كافية فى الموضوع . ثم إن الترجمة الدقيقة الواضحة هى صنعة أوفن يعتمد على تلك الأمور .

٣- وفى بعض الدول الرئيسية فى العالم مراكز كبيرة لترجمة العلوم ، يقوم بها مترجمون متفرعون للعمل فيها ، وباحثون

أو علميون يتقنون اللغات الأجنبية ، ترسل إليهم المقالات المطلوب ترجمتها ، وربما بلغ عددهم الألوف ، وتتم ترجمة البحوث المهمة خلال أسابيع ، وترسل إلى الباحثين المختصين ، وتأخذ البحوث الأخرى دورها فى الترجمة خلال مدة معقولة لا تتجاوز بضعة أشهر

ولقد زار كاتب هذا البحث أحد هذه المراكز العالمية قبل أربع قرن ، وقيل فى حبه إن الدين يساهمون فى هذه العمالة يعدون عشرات الألوف .

وهناك مؤسسات أخرى تترجم إلى اللغة الإنكليزية من اللغات الأخرى ، وتنشر ذلك فى كتب أو دوريات

إن القيام بعملية مناسبة للترجمة إلى اللغة العربية يحتاج إلى التعاون على مستوى الوطن العربى كله ، ليتم نقل المعرفة إلى اللغة العربية . وأن يكون هناك جهة منظمة تمتاز فروعها وتتصل بأكثر عدد ممكن من الذين بإمكانهم المساهمة فى ذلك .

٣- تصدر بعض الدوريات الطبية بأكثر من لغة واحدة فى الوقت ذاته ، أو فى أوقات

مقاربة . ويمكن الاتفاق مع بعض هذه المؤسسات على أن تكون اللغة العربية إحدى اللغات التي تصدر بها تلك الدوريات (المجلات) ، أو أن تقوم المؤسسة العربية المختصة بالترجمة من مجلات كهذه في الوقت الذي تطبع فيه ، فلا يفوت وقت طويل بين صدورها بلغتها الأصلية وصدورها باللغة العربية .

٤ - نشر البحوث العلمية التي يقوم بها سكان الأقطار العربية باللغة العربية ، ولا مانع من نشرها بلغة أخرى من اللغات العلمية العالمية في الوقت ذاته ، مع الإشارة إلى ذلك . وهذا يستوجب وجود مراكز بحث بإمكانها إنتاج البحوث التي فيها إضافة إلى المعرفة ولا بد من الإشارة بهذه المناسبة إلى أنه لا يجوز التركيز على البحوث التطبيقية وترك البحوث الأصلية ، لأن الإنتاج العلمي المهم ينمو في البيئة التي تبقى على صلة بالبحوث الأصلية .

٥ - إصدار مجلات مراجعات وملاحظات Reviews and Abstracts باللغة العربية ، كما هو موجود في اللغات الأخرى ويكتب المراجعات خبراء بالموضوع يستعرضون

فيها المهم والجديد مما نشر في الزمن القريب .

٦ - إصدار كراسات وكتب تختص بموضوع واحد Monographs باللغة العربية ويحسن أن يكون ذلك على طريق سلسلة متكاملة أو أكثر .

٧ - التأليف باللغة العربية ، ويشمل ذلك تأليف الكتب الدراسية Textbooks أو الكتب المراجع Reference Books ،

ويكون لها رئيس تحرير يخطط لتأليف الكتاب ومادته ، ويضمن حسن التوازن بين أقسامه ، وأن يكون ذلك على مستوى الوطن العربي ، ليتم التداول بسرعة وإعادة الطباعة قبل أن تصبح الكتب قايالة المائدة في بعض فصولها ، بسبب تطور مادة تلك الفصول . كما أن في ذلك فائدة كبيرة لتحقيق الانسجام العلمي بين الأقطار العربية .

* * *

إن التطور العلمي والتقني العالمي السريع ناتج عن بحوث وتجارب علمية

تنشر المعلومات عنها بطرق مختلفة ،
 أهمها الدوريات Periodicals ، وتشمل
 المجلات " ، وبعضها أسبوعي مثل
 Science (العلم) و Nature (الطبيعة)
 في العلوم باللغة الإنكليزية ، « ولانسيت »
 Lancet ، والمجلة الطبية البريطانية ،
 British Medical Journal ومجلة النقابة
 الطبية الأمريكية Journal of the American
 Medical Association وغيرها في الطب باللغة
 الإنكليزية . وقسم من الدوريات شهري ،
 وبعضها يصدر كل شهرين أو كل ثلاثة أشهر
 وقليل منها السنوي ، وبعضها غير منتظم .
 وبعض هذه الدوريات ينشر المقالات الأصيلة
 وغيرها وأخرى تنشر المراجعات والخلاصات ،
 وهناك مجلات تجمع بين هذا وذاك .

ويصدر في العالم ألوف الدوريات الطبية
 والعلمية ، ومن هنا تبرز أهمية مواكبة
 التطور العلمي السريع وضخامة ذلك
 والجهد الذي يجب أن يُبذل باستمرار
 لتحقيق الهدف المقصود .

ولعرفة مدى حجم المادة التي تنشر سنوياً
 بالطب ، رجعنا إلى مصدر مهم يسمى
 « الفهرس الطبي المجمع Cumulated Index

Medicus « يصدره سنوياً معهد الصحة
 الوطني في الولايات المتحدة الأمريكية في
 بيتسدا في ولاية ميريلاند National
 Institute of Health, Bethesda, Maryland,
 U.S.A. ويتضمن عناوين المقالات التي تنشر في
 المجلات الطبية المُفهرسة فيه ، بمختلف
 اللغات وأسماء مؤلفيها ومحل نشرها . يقع
 إصدار سنة ١٩٨٣ في ١٤ مجلداً ، مجموع
 صفحاتها ١٤٨٣٤ صفحة ، في كل صفحة
 ثلاثة أعمدة ، وفي كل عمود ١٠٢ (مائة
 سطر وسطران) ومعدل كلمات لكل سطر
 ثمان كلمات .

أحصيت عدد المجلات التي تفهرس فيه
 فكانت ٢٥٠٥ مجلات ، يُضاف إلى ذلك
 ٢٨٠ مجلة ، يُفهرس منها ما له أهمية طبية ،
 فيكون مجموع المجلات المفهرسة ٢٧٨٥
 مجلة في مختلف أنحاء العالم .

ويتضمن الكتاب كذلك ثبتاً بالمراجعات
 الطبية Bibliography of Medical Reviews
 وقد تضمن إصدار سنة ١٩٨٣ (٧٥٠)
 عنواناً رئيسياً . ويقصد « بالمراجعات »
 المقالات التي تتضمن مسحاً شاملاً جيد
 التوثيق للمنشورات الطبية الحديثة في
 موضوع معين .

ويصدر معهد الصحة الوطنى فى الولايات
المتحدة الأمريكية كتاباً آخر بعنوان
« الفهرس الطبى » Index Medicus

يتضمن كذلك عناوين المقالات الموجودة
فى المجلات الطبية المفهرسة فيه ، وأسماء
مؤلفيها ومحل نشرها ، ويقع إصدار
سنة ١٩٨٣ فى ١٢ مجلداً معدل صفحات
كل منها ١٤٠٠ صفحة من ثلاثة أعمدة .

وليس من المطالب الاطلاع على كل
ما يُنشر فى الطب وفروعه ، ولكن يجب
أن يكون هناك مقدار مناسب من المعرفة
الطبية الحديثة باللغة العربية . ويمكن
الاكتفاء بعدد محدود من الدوريات الرئيسية
واختيار المادة التى تحتاجها المشورات
العربية .

وتنشر كذلك مجلدات سنوية تتضمن
خلاصات للمقالات المنشورة فى الدوريات
فى فروع المعرفة المهمة ، منها الخلاصات
الأحيائية Biological Abstracts والخلاصات
الكيميائية Chemical Abstracts وغيرها .

* * *

وتحتاج مواكبة هذا التطور العلمى
السريع باللغة العربية إلى مصطلحات مقبولة
إلى حد معقول ، وأن يتم اختيارها وإعدادها
بسرعة تساهل سرعة التطور العلمى ،
وحيث أنه توجد مصطلحات سابقة لا يوجد
ما يقابلها فى اللغة العربية ، فلا بد من العمل
بطريقة تناسب الحالة الجديدة ، وأرجو أن
يسمح لى السادة الأساتذة الأفاضل بعرض
الأمر التالية :

١ - تقوم المجمع باختيار المصطلحات
الأساسية فى العلوم والتقنيات ، وتتعاون
فيها بينها تعاوناً وثيقاً ، وتنشأ بقية
المصطلحات التى تعتمد عليها تدريجياً .

إن معظم الكلمات فى العلوم والطب
مستندة إلى أصول محدودة ، فبعد اختيار
هذه الأصول الأساسية أو وضعها ، يتمكن
الباحثون والمؤلفون أنفسهم من السير
فى طريق واضحة بالاعتماد على هذه القاعدة
العريضة الرصينة ، ويقومون بالصياغة
والتركيب والإضافة ، فتتكون حصيلة
كبيرة من المصطلحات تساهل الزيادة
السريعة الكبيرة فى التطور العلمى .

ثم إن تعاون الجامعات والمؤسسات العلمية ومعاهد البحوث والمعنيين بالمصطلحات مع المجامع في هذا الأمر ، يؤدي إلى الإنجاز السريع القويم

٢- أن يكون اختيار المصطلحات نظامياً ، فلا تُترك فجوات كبيرة فيها ، وأن تُدرس الكلمات المتقاربة أو المتقابلة أو المتتابعة في الوقت نفسه

٣- إن قيام جهات عديدة باختيار المصطلحات أدى إلى وجود كلمات مختلفة للمصطلح الأجنبي الواحد في أقطار عربية مختلفة ، وفي بعض الأوقات في القطر الواحد نفسه ، وكذلك بين العلوم المختلفة فقد يوضع للكلمة الأجنبية الواحدة في الرياضيات والفيزياء والهندسة مقابلات عربية مختلفة ، بالرغم من التقارب بين هذه العلوم

إن التنسيق والتعاون بين القائمين بإعداد المصطلحات واختيارها أمر ضروري للتقليل من الاختلافات ، وذلك قبل أن تستقر مصطلحات كل قطر ، فيؤدي ذلك إلى بلبلة كبيرة وصعوبات عملية على مستوى الوطن العربي .

إن دور اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية في تحقيق الانسجام والتوحيد ، دور أساسي وفعال ، والمطلوب من اتحاد المجامع أن يقوم بعقد اجتماعات تناقش فيها الكلمات المختلف عليها ، بعد إعداد علمي مناسب ، فإن الكلمات المتفق عليها من التسميات والمصطلحات تشكل الغالبية العظمى منها .

* * *

ولقد توصلنا إلى تعريف ربما يكون له تأثيره في اختيار المصطلحات ، وهو أن يُعرف اختيار المصطلحات بأنه (صناعة أو فن يعتمد على علوم) ، مثلما عرفت الطب بأنه صناعة أو فن يعتمد على علوم . ولا بدّ من مواجهة الحقيقة القائمة ، وهي إن هناك مدارس مختلفة في اختيار المصطلحات :

(أ) الْمُعْخَمُونَ - الذين لا يريدون الخروج عن المعنى الحرفي ، والصيغ الواردة في المعجمات ، وهذا يؤدي إلى تجميد اللغة ، وهو الأمر الذي تحاشاه الأسبقون في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية . ثم إن كثيراً من الكلمات قد تطور معناها بعد

ظهور الإسلام ، فأصبح لها مدلولات معينة وتم الاشتقاق منها كذلك ، وهذا خير مثال يحب السير على هداية

ثم إن هناك اختلافاً بين المعاجم اللغوية في بعض الأمور الدقيقة^٣ التي لها أهمية خاصة في الاستعمال العلمي والطبي ، وهناك مدلولات مختلفة في المعجم نفسه ، ولاضير في ذلك ، وهو موجود في اللغات الأخرى . ولكن الاختيار الصائب من بين هذه المدلولات وإعطائها صفة الاصطلاح والالتزام بذلك ، يجعل بين أيدينا عدداً كبيراً من المصطلحات المناسبة . [١]

ومثال ذلك ماورد في « سنن الإنسان » في المعاجم اللغوية والكتب الطبية من عدم الانسجام ، ومن أهم ذلك كلمات : الصبي والفتى والشاب ، مما يوجب الاختيار من بين هذه المدلولات . وكذلك ماورد في النوم وأبواؤه ودرجاته .

وتتضمن المعاجم شروحات غير دقيقة لبعض الأسماء ، مثلاً : الأنهر ، وهو الشريان الرئيسي الذي يخرج من البطن الأيسر من القلب ، ومنه يمر الدم إلى الجسد كله ،

ففي القاموس المحيط (الأنهر : الظهر ، وعرق فيه ، ووريد العنق . والأكحل) ، فاستعمال كلمة الأنهر الشريان الرئيسي وإهمال المدلولات الأخرى في الوقت الحاضر هو استعمال صائب . [٢]

ثم إن المعاجم لا تحوى كل اللغة العربية ، وهي تتضمن ما ذكره مؤلفوها فيها ، ولا بد من الاستفادة من كتب العلوم المختصة مثل كتب الطب العربية القديمة ، وكتب الرياضيات والفلك والكتب التي تبحث في الحيوانات والنباتات ، والمؤلفات التي تتضمن المصطلحات والتعريفات ، علاوة على المؤلفات العامة في الحضارة والآداب والتاريخ .

ويتضمن الكلام الاعتيادي في الأقطار العربية كلمات لا يوجد ما يدل على أنها غير عربية ، لكنها ليست موجودة في المعاجم اللغوية وهي تؤدي في الوقت نفسه مدلولاً علمياً دقيقاً . إن من المفيد دراسة هذه الكلمات ، على أن لا تكون أجنبية الأصول . ويظهر أن واضعي

المعاجم أهملوها ، ولكنها بقيت ماثات
السنين مستعملة في أماكن كثيرة ،
فهل يجوز إهمالها ؟

ولا بد كذلك من استعادة الكلمات
العربية التي دخلت اللغات الأجنبية مثل
الفارسية واليونانية واللاتينية أو غيرها
من اللغات. كما أنه لا بد من إعادة النظر
في الكلمات التي اعتبرها بعض المؤلفين
دخيلة في اللغة العربية ، وهي ليست
كذلك ، وإن تحقيقاً دقيقاً ينقص تلك
الادعاءات ، فكثير منها موجود في اللغات
العربية القديمة

(ب) الانطباقيون - وهم الذين يريدون
أن ينطبق اللفظ العربي انطباعاً تاماً
على المصطلح الأجنبي ، وأن يتضمن كل
مدلوله ، وهذا أمر ليس مفروضاً ولا مطلوباً
في المصطلح ، والا صار تسمية ولم يكن
مصطلحاً . ثم هل المصطلح الأجنبي
يؤدي مثل هذا المدلول الشامل

إن الجمع بين المعجمية والانطباقية
يؤدي إلى شلل في نمو المصطلحات

ج - الذين يرون ضرورة الاستمرار
على تطور اللغة وتطبيق ما سبق أن عمله

أئمة اللغة العربية من الاشتقاق والمجاز
وعبر ذلك ، واستعمال عدد كبير من
الصيغ التي يمكن الاستفادة منها . ولقد
نشرنا بحثاً عن صيغ افتعال وانفعال
وتفعّل وفعلّون وصواب القياس عليها ،
وصغنا كثيراً من المصطلحات العلمية
والطبية على هذه الأوزان

ولا بد من القول بأن ما أجاز به بعض
علماء اللغة يكون مقبولاً ، وإن لم يعجزه
آخرون ، فإن الإجماع في بعض أمور
اللغة لم يكن مطلوباً دائماً .

إننا بهذه الطريقة نساير التطور العلمي
ونبتعد عن الكلمات الدخيلة في وقت
واحد .

* * *

ونحتاج إلى خطة مستقرة وواضحة
تتطور مع الوقت والممارسة للوصول إلى
التيحة المتوخاة ، ويشمل ذلك .

(١) قيام مؤسسات تؤدي هذا العمل

ويتعاون بعضها مع بعض على مستوى
الوطن العربي .

(ب) اتصال دائم وسهل ومباشر بين مراكز البحوث ودور الكتب والمراجع العالمية .

(ج) إيجساد مراكز توثيق Documentation Centres دوات مستوى عالٍ تتعاون فيما بينها .

(د) الاستفادة من التقنيات الحديثة مثل الحسّابات Computers ووسائل الاتصال البعيد وما إلى ذلك . وربما كان من المفيد تخصيص وقت معين محدّد أثناء دوام المراكز العلمية لذلك بوساطة الساتل العربي Arabsat .

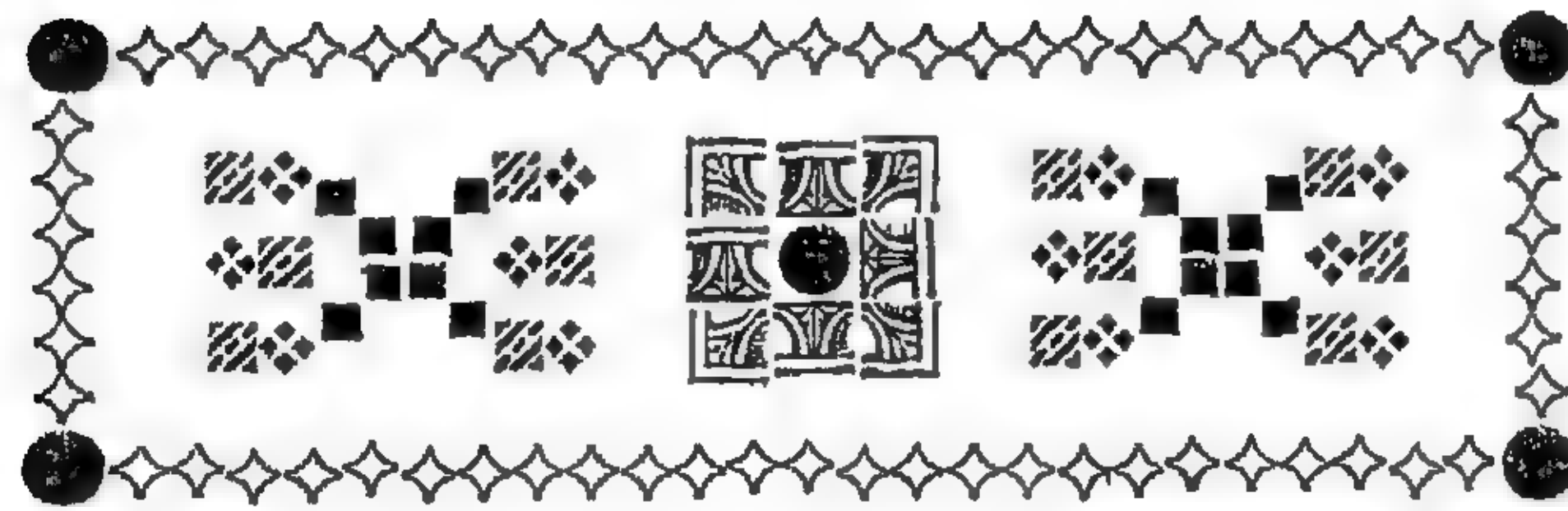
(هـ) إن « تعريب » العلوم والتقنيات يجب أن لا يقف عند حد استعمال اللغة العربية في التعامل معها ، وإنما يجب أن يكون التفكير عربياً ، وهو آتٍ لا ريب فيه إن شاء الله .

والله الموفق إلى ما فيه خير هذه الأمة الكريمة واللغة العظيمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود الجيللي

عضو المجمع المراسل من العراق



لغة العلوم في التدريس الجامعي وهل تصلح العربية أم لا؟ عن التدريس باللفظ لا بالصوت لأننا نريد أن نكون

ألا يوحى موقفنا هذا بالضعف والتخاذل
والشك في قوميتنا العربية؟ وإذن فإن الأجنبي
أولى منا بالشكر في صلاحية مقوماتنا ولا
نتوقع منه أن يتحمس لها دوننا لأن من لم
يؤمن بنفسه لا يؤمن به الناس .

ولقد قرأت في العدد الأخير من مجلة دنيا
العلوم استجواباً أجرتة المحلة مع البروفسور
(واوستر) أستاذ علم البلورات بجامعة كامبردج
ورئيس الاتحاد البريطاني للمشتغلين بالعلوم
وأمين صندوق الاتحاد العالمي للمشتغلين بالعلوم
وذلك بمناسبة زيارته للقاهرة ، جاء فيه عندما
سئل عن رأيه السريع فيما يجب أن يكون عليه
التعليم في البلاد النامية ، فقال على الفور : يجب
أن يكون في التعليم الابتدائي فلسفة البلاد القومية
وأن يكون في التعليم الثانوي لغة عالمية إلى جانب
تدريس اللغة القومية ، مع ضرورة التدريس
على الأعمال اليدوية وقيام التلاميذ بتجارب
عملية بأنفسهم لا أن يقوم المدرس بتجربة

لغة العلوم في التدريس
الجامعي وفيما قلنا من
مراحل الدراسة في العالم العربي يجب أن
تكون هي العربية ، ولا يصح أن تكون غيرها
بحال ولئن كان ما أثار هذا التساؤل من جديد
هو تقرير الخبراء الأجانب الذي أوصى
بإجماع الآراء بضرورة تعليم الطب في جامعة
حلب باللغة الإنكليزية فإن ما وراء هذا الإجماع
من مية مية لعرو عاصمة بني حمدان غروا
فكريا على عرار ماوعاه (دنلوب) من
قل في بلاد الكنانة ، هو مما لا ينبغي أن
يعيب عن الأذهان .

والعريب في أمرنا حسن العرب أن
مقوماتنا الأولى من لغة وتربية وما إلى ذلك
هي التي يجعلها محل استشارة واستشارة أجنبي .
بالخصوص في حين أن الشعوب التي تريد
أن تنبئ كيانها على أساس من ماضيها وحضارتها
وتطلعاتها للمستقبل ، تخطط لمسها وتستعين
بالأحباب على التمهيد .

على أحسن ما يكون الطن بهؤلاء الأحباب

(*) قدم البحث إلى مؤتمر الجميع في دورته الحادية والخمس .

عمامة أمام التلاميذ وهم يتفرجون فقط ، فإذا أردنا أن نحقق لشعب ما تدريبا متينا فحجب أن يبدأ هذا التدريب في كل مكان .

وما قاله هذا العالم الكبير هو الذي نقول رد ، فإن إضافة أجندية أو لغتين إلى اللغة القومية في التعليم الثانوي ، هو مما لا مبدوحة أعنيه لإتاحته فرصة التعليم في الخارج والمتابعة الاطلاع على المجالات العلمية من نظريات وابتكارات سواء كانت هذه اللغة القومية هي العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية أو سواها فالعربية في هذا تتساوى مع غيرها من اللغات في عدم صحة الاستعانة عن اللغات الأخرى ولعل البروفيسور (ووستر) سكت عن التعليم الجامعي . لأن السؤال كان عن التعليم في البلاد الأمية ، والبلاد العربية في هذا الميدان . أعني ميدان التعليم . ليست من البلاد الأمية ، لعمري العربية ، أمه حبه ومطوره وعريمه في المحل العلمي والحصاري وهذا أمر لا يحمله مثل البروفيسور إلا أن دكتور الاستجواب من أولئك الذين يسعون بمركب النقص الذي آتاهما إليه آتاء الإدارة اللغة العربية . سيكون سكوت المحبس عن هذه المهمة والدات من أسارب الحكمة . الخراب .

نعم إن بلادنا العربية بلاد أمية اقتصاديا لأنها علميا بلاد متقدمة ، لأن لها ثقافة رويحة وتشريعية عظيمة ولها أدب عالي سداد ولعبها بالمكابد التي ذكرت . فليس يعضها إلا تكديس عامي تقى سريع التاجي بالركب الطلائعي

التقدمي وتجر نخلها الاقتصادي الذي يلربها في حظيرة الشعوب الأمية ، وربما كان هذا التكوين هو ما يعنيه (ووستر) بالتدريب القوي على ما حاء في آخر كلامه .

ويؤيد هذا أن الحكوم المغربية استقدمت لجنة من خبراء الملك الله لي للإشياء والتعمير بقصد الاستشارة ، وكان من رأسها أن اردوا حيلة التعليم هي مما يستنزف مالية المغرب (نباح ميزانية وراره التربية الوطنية ما يارا من الفربكات يصرف معطها في أحور الأساتذة المرديين فضلا عن كونها السبب في هبوط مستوى التعليم) وأوصى باعتماد لغة البلاد وسماها اللغة الأساسية للتعليم

ولقد يحجب القارئ من إحلاص هذه اللجنة الأحمية وإشارتها الصائبة ، ولكنه إذا تذكر أنها حله مالية لا تمامية وأن ما قام به هو ممارس الأرقام بين الموارد والمصارف : قطاعات المصالح الحكومية ، فلم يكن بهم التمكن لهذه الجهة أو تلك وإعما عرصها اجاد وضع سايم . إذذاك رال عجمه وعرف . ر تلك المصيدة الخالصة .

وعليه فإن ديسا وبين تخطى عتمة التخلف هو نشر التعليم بلغتها القومية ورفع مستوى شعوبها من الأمية العامة التي تمخبط فيها إلى مستوى الشعوب المتعامة المتمرسية بدسائط العلوم ونواميس الطبيعة . أي نقل العلم إلى المجتمع العربي وحمل أفراده يدركون حقائقه ودينياته كما يدركها أي فرد في مجتمع راق من المجتمعات المعاصرة . ولن يكون ذلك

إلا إذا تعلم الشعب العربي بلغته الأم ، وطوع لسانه على التعبير عما يتأهده ويحسه بألفاظ يعرف مساها ومعناها أما أن يتعلم عدد من الأشخاص باعة أجنبية ثم يبيعون هؤلاء الأشخاص إلى عالم العلم وريادة عدد المتعلمين في اللغة التي تعلموها ولا تستفيد شعوبهم كبير فائدة منهم ، لأن التفاهم بينها وبينهم معدوم بسبب اللغة التي هي أكثر حاحر يجمع هذا التفاهم بل يجمع حتى الاتصال . ولعل هذا هو السر في أن النهضة العلمية في بعض الأقطار العربية بدأت منذ حروب ومارال لم تؤث أكلها على المحو الرعوب . ومارال الشعب العربي فيها يعيش بعقائده الرواوسطى

يتشرب بعضهم إلى وحوب ملاحقه ركب المعرفة وضروره الاتصال بأوساط العالم في آخر ما أنتحب من أحل التقدم الإنساني المطرد ، فإلا إن ذلك لا يأتى إلا من تلقى تعاليمه العالي باحدى اللغات الأجنبية الحية ونحن نقول إنه يتأتى لمن أقتس لعه من تلك اللغات ولا يارم أن يلقى تعاليمه العالي بها وقد قلنا بضرورة تلقين لعه أحمديه أو ائتين منذ المرحلة الثانوية للتعاليم ، وإما الذى يامع تأكيده هو أن يكون هذا التلقين فويا ايتقن المتعلم تلك اللغة كما هو الحال عند عربنا من الأمم والشعوب ، فإذا حارب مرتجاه التعاليم العالي وحصل الطالب على الدرجة العلمية المنشوده . باعته الأصايه ، كان عنده من الوسائل العلميه ما يؤهله لمواكبه قذافة السحت العالمى والتقى في العالم بكل نجاح ، إن هو أراد ذلك . وهذا هو ما يبعاه

العالم الفرنسى والألماني وغيرهما من علماء الأمم التي تنف في الصف الأول من حسب التصنيف في التقدم والحضاره ، وكذا علماء غير هذه الأمم ممن يقفون في الصف الثانى وإن كانوا في الطريق وعلى وشك اللحاق بأولئك . فليس منهم من يدرس العلوم في بلاده بغير لغته القومية ، اللهم إلا أن يستحب الأستاذ أحمى تستقدمه بجامعته للإلقاء بعرض الشاصراب في فرع من فروع المعرفه يكون له أصل علم به . أو يذهب في بعته دراسية إلى بلاد أحمى . وحينئذ تكون اللغة الأجنبية التي لقيها في التابوى هي وسيامه في الدراسة وهو بإقامته في ذلك البلد الأحمى ، لابد أن يتقرب في لعمه حتى يتمكن مواصلة تعاليمه بها .

وعلى كل فإن الاطلاع على دينا العالم وما نجد فيها من تحارب وكسوف ، مردن بالهمه والبساط وحب المعرفه أكثر من كل سىء آخر فكم من دارس لهذه اللغة الأجنبية أو تلك قد تمكن منها كل التمكن وصادر أعرف بها من كثير من أهلها . وإذا تكلم بها فانه لا يجزم حرفا ولا بربه من نراتها ولكنه في محال العالم والبحث والاطلاع صبر على اليسار ، قد يعطع ما بينه وبين المحصيل . فله تحرحه ولم تقل منه آمنه سنا بذكر بل هو يسكل نحصا لها بما أنه تمكن لمعارفها وأنها حتى لقد أصبح عشا ثقيلا على شحمه لا يستسيغه ولا ينسجم وإياه .

وبالعكس فإن هناك دارسين مودون من ألبتهم العربيه والاطلاع ونهذبوا في تبة

العلم والمعرفة ولو لم يكونوا على مثل الرسوخ والتطلع في اللغة الأجنبية الذي عند صاحبنا الأول ، فنراهم دائما على اتصال بما جد ويجد في حقل الخبرات الإنسانية والأعمال الفنية المبتكرة ينشئون وينتجون باستمرار ودون انقطاع ، ما يثرون به تراثهم القومي وحياة الفكر في بلادهم . فهؤلاء هم الذين تعول عليهم الأمم والشعوب في تطوير عقليتها وإخصاب ثقافتها ، لأولئك الطميليون الكسالى ، الذين لاعناء فيهم ولا فائدة ترجى منهم .

ونعطي مثالا من معربا العربى الذى يعتمد العرنية فى الدراسات العامه ، فإن عشرات بل مئات من مثقفيه ، قد انقطعت الصلة بينهم وبين الحياة العاميه ، أو على الأقل لا يعرف لهم أثر فى هذه الحياة . وقد مر على تحرح الكثير منهم عشرات السنين وذلك برعم إتقانهم لالع العرسيه إتقان أبحاثها لها والطبيب منهم يعالج المرضى لأن لم يشعل وطيمه حكومية يكون أكثر دخلا من مهنته تاركا ميدان التطبيب للدكتور الأجنبي ، وكذلك المحامى والمهندس وغيرهما لايزيدان على مراولة مهنتهما بصمة عادية ، ولقد عجز كثير منهم حتى عن إعداد أنفسهم للتدريس بالعربية فى المدارس الثانويه لإبحار مشروع تعريب التعليم فأين ما برعمه هذا الذى يقول إن الدراسة اللغة أجنبية تفتح آفاق التعليم والاطلاع ؟

ولنقارن حال هؤلاء بحال طالب مجتهد أكمل دراسته باللغة العربية في بلاده ، ثم ذهب في بعثة دراسية إلى فرنسا وحصل على الدكتوراة في الفلسفة والأدب بتفوق ولما رجع إلى بلاده قام بحركة فكرية وأدبية عظيمة ، درس ، وبحث ، ونقد وألف في أكثر فنون الأدب كتباً قيمة . نقل الكثير منها إلى اللغات الأجنبية وغيرها وما لث أن صار عميد الأدب العربى ورئيس المجمع اللغوى ، والغريب في الأمر أنه ضرير ، فبكم تقاس الدكتور طه حسين من الدارسين باللغة الفرنسية الذين ليس لهم همة وعزيمة ، وإن كانوا في إتقان العرسيه والعلم بها ربما يتوقونه ؟

والعقري الأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد ، إنه لم يكن حتى من الذين درسوا دراسة حامعية باللغة العربية ، ومع ذلك فإنه كان آية في الاطلاع والتفتح على أحدث الأنظار العلمية والفلسفية ، وتغذية الأدب العربى والثقافة الإسلامية بأحسن ما ظهر في عالم الفكر والمعرفة ، حتى أصبح قمة من قمم العلم والأدب . وكانت اللغة الأجنبية التى يتقنها هى الإنجائزية . وإما تعاملها في السنوات الأولى من الدراسة الثانوية :

هذان المثالان وإن يكونا من عالم الأدب ، فإنهما يجران ذيلهما على عالم العلوم ، وقصدت الإتيان بهما للإلماع إلى جبايه أخرى مما تجنيه الدراسة باللغات الأجنبية على الحياة الأدبية في هذا الجناح من الوطن العربى .

إن بلاد المغرب كثيرا ما تشكو من ركود الحركة الفكرية وحمود القرائح وضعف الإنتاج الأدبي وقلة القراء ودور النشر أو انعدامها بالمرّة وتأخر في الطباعة العربية وإن كثيرا من الباحثين يعللون ذلك بمختلف الأسباب ولكنهم قلما ينتبهون إلى السبب الرئيسي في ذلك وهو انتشار الثقافة الأجنبية وغزو الفكر الفرنسي لشباب المغرب واختطاف الصحافة والمجلة والكتاب الفرنسي للقارئ العربي وحلول المكتبات الفرنسية محل المكتبات العربية وعود فائدة ذلك كله إلى الكسائب والناشر الفرنسيين ، ولئن دام هذا ولم يعجل بتلافيه سوف يصح المغرب العربي كالسينغال يفكر باللغة الفرنسية وينتج بها ، ولأمر ما يجد المتعلمين بها هم أكثر المتحمسين ، لازدواحية لغة التعليم والاحتفاظ بتلقين الفرنسية حتى في التعليم الابتدائي كما كان عليه الحال أيام السيطرة الاستعمارية ، لأنهم على ما يظهر ، يريدون أن يجعلوها قنطرة بينهم وبين الشعب يتصلون به عن طريقها ويتفاهمون معه بواسطتها ، فهذا ما فعله التعليم باللغة الأجنبية في وطن عربي كبير في الميدان الاجتماعي والقومي ، ولن يكون أثره في الحال العلمي والتقني بأحسن من ذلك أثرا ولا أقل ضررا .

ويورد أناس مشكلة المصطلح العلمي والاختلاف فيه على قلة ما وصح منه ويجعلون ذلك عثرة في طريق تدريس العلوم

باللغة العربية ، وما كان المصطلح ولن يكون عثرة في هذا السبيل ، وأمره أهون من ذلك ، فأكثر المصطلحات العلمية عالمية مشاعة بين الأمم على اختلاف لغاتها ونحن العرب لا بد أن نأخذ الكثير منها كما هو من غير ترجمة ، ولسنا في ذلك ندعا من الناس بل إن أجدادنا فعلوا ذلك فقالوا الله وسائقنا والماليخوليا والديابيطس وغيرها من مئآت الألفاظ التي لم يغيروها وأبقوها على حالها فصلا عن التي عربوها وأجروها على الموازين العربية . فليسعنا ما وسعهم ، لاسيما والمصطلح ما هو إلا لفظ يحتاج إلى الشرح ولو كان عربيا ، فكيف نقف حذرا في طريق تدريس العلوم بالعربية ؟

ولقد وضح الأفراد والجماعات وأصحاب المعاجم العلمية آلاف المصطلحات التي تسهل مهمة مدرس العلوم ، فما عليه إلا أن يجد في تحصيلها ، وعلى جامعاتنا أن تزود مكنتها بهذه المعاجم ولوائح المصطلحات وتجعلها بمثابة يد الأساتذة والمدرسين والطلبة والباحثين ، ولا تأخذ أحدا من هؤلاء العزة بالإثم فيتروّع عن الاستفادة من جهود العلماء الذين سبقوه في هذا الصدد ويستغني عن التزود بما قدموه من ثمار يانعة طالما تعموا في نطقها . فان العلماء يجب أن يكون خاقهم الإصاف والاعتراف بالجميل لذويه وما نال من نال إلا بالتعظيم والاحترام لأهل الفضل وما حرم من حرم إلا بترك ذلك

وأحسب أن ما يهول به بعضهم من اختلاف
المصطلحات بين البلاد العربية وتعدد الأسماء
التي تسمى واحد إنما هو من سوء التقدير وحب
المتعجب ، وإلا فأية لغة ليس فيها ذلك؟ وإنك
لتجد المؤلف توصح له اللوائح الخاصة
لتقسيم مصطلحاته ومع ذلك ما رأينا أهل
لغة يقيمون مثل هذه الصبغة التي يقيمها كتاب
العربية لتوحيد المصطلحات حتى صار
نهجا متعكبا وقع الكلام على تعريب العلوم
إلا وأثارها هذا الكاتب أو ذاك، ولو على
سبيل التقليد، وهي كانت أخرى بأن تعد
اجتهادات مشكورة تعين على التعريب
ولا قصد عنه، ولا سيما لمن يتشكون من قلة
المصطلحات المتعددة وليست من الكثرة
بالقليل الذي يدعيه المبكرون .

على أن مجمع اللغة العربية الذي أصبح
يمثل البلاد العربية جميعا قد قام بتصميمه
الكثير من هذا الحائط، وخطا خطوات مهمة
في توحيد المصطلحات المتعددة وانتقاء
الأصطلح الواضح والدقيق الدلالة منها ،
وذلك بمشاركة المجمعين السوريين والعراقيين
ونخبة من أهل العلم والمعرفة من بعثة الأقطار
العربية الأخرى ، فمن لم يطاع على مسجراته
في ذلك فليطلبها من أمانته العامة ولا يفتق حائرا
يردد كلاما قديما لم يكن على صواب لما
قيل لأول مرة . فكيف به الآن وقد صار
أسطوانة مملولة ، والظن بل الواجب أن
يستمر الوضع للمصطلحات من أهل العام

وأن نتعدد المصطلحات لذلك ولكن مجمع
اللغة ذا السليقة العربية والحسن اللغوي
المستتر من أبناء العروبة في المشرق والمغرب ،
هما اللذان يختاران أو يقران ما يصلح .
(أما الزيد فيذهب جمعا ، وأما ما ينفع الناس
فيمكن في الأرض) هذا وفي نفس شيء أخاف
إذا أبديته أن أرى بالمبالغة وربما بسوء
الظن ، واكتفى لا بد أن أشير إليه ولو على
سبيل الاحتمال البعيد، وهو أرى وراء
هذه الضجة التي تحدث ، هذه الآلام حول
صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم وعندها
أبدى حمية تحركها وتمسح في نارها وهي
أبدى ليست بطينة ولا تريد الخير للعرب
ولا لأمتهم وإنما أصحابها يرون ويسمعون حيرة
بعض الأقطار الإفريقية والآسيوية وخاصة
الإسلامية منها التي استقامت أحيرا وملكيت
أمر نفسها وهي ليس لها لغة تصلح للحياة
العامة أو لها هذه اللغة وتريد أن تكتبها بحروف
ممن الحروف الأولى لمطبعها وحقها وكثير
من هذه الأقطار تتطاع لغة العربية والحرف
العربي فلصدها عن هذا التطاع ولتشككها في
في قيمة العربية وصلاحية حروفها للكتابة
الصحيحة ، يوعر المعرضون بإثارة هذا
الموضوع في الصحف والمجلات العربية
بالذات وبوحوط بطريق غير مباشر إلى بعض
أولياءهم ومالي لا أقول بتواطؤ مع
بعضهم إلى الجهر بالحكم على العربية وحرفها
بالعجز والقصور عن مسايرة ركب الحضارة

العصرية وعدم الكفاية لما يتطلبه المد الشورى
الذى يكتسح البلاد العربية من تطوّر في
وسائل تحقيق البحث العربى: المادية والمعوية
ومنها أداة التعبير الملائمة للعصر .

إن أوانك الإخوان الأفارقة والآسيويين
إذا سمعوا العرب أنفسهم يرددون هذا الآلام
ويتهمون لغتهم أشنع الاتهام لا بد أن يقرّ في
أنفسهم ما يلقيه إليهم المستعمر الذى حلا عن
أرضهم من الباب وعاد يدخل إليها من
البافنة . لاسيما وهو ما يفتأ يمدّهم بالعون
والخبرة المدحولة . ويقدم إليهم المشروعات
الجاهرة في هذا الطلب وعبره من مطالب
الحياة . ولذلك فإن المتأني والمتنت هم هو
الذى يرحى . مسألة اتحاد العربية لغة رسميه
به واصطلاح الحرف العربى لغتين ، وعبره
يعرم ولا ينتظر ومن ذلك ما حرى أخيرا
لدى بعض الدول في أفريقيا من عقد مؤتمر تحت
رعايه منظمة اليونسكو للبحث في وضع
أحديه لكتابه اعماها وتوحيدها وهكذا
نصيح على أنفسنا وعلى أصدقائنا فرصا
ثمّة لا تعوض جدالنا وتنازعنا في هذه الأمور .
وكان الأحذر بنا أن نعتمد هذه الفرصة لسط
بعودنا الروحي في أقطار العالم . وكما أحرباء
ذلك أن نرفع رأسنا فخرنا للمال من ثقافة عالميه
ولغة حية تعمل أكثر امان العصر تقدما

لكسب ما لها من مقام وحرمة وتأثير في حياه
عدد من الشعوب المنتشرة في أطراف المعموره
ولا يقال إن هذا الكلام عاطفى في محال
عالمى فإن العلم كل العلم أن نهض بلغتنا
ونسرّها على أوسع مدى كما تعمل الأمم
الراقية ولولم يكن في تنبى لغتنا وحرفنا من
طرف أمم اخرى غير عربيه إلا التشيب
ورياده الإيمان للمؤمنين وإقناع الشاكين
المتردددين . لكان ذلك كمايا لحرصا عاها
وعماها على رفع لوانها في كل مكان ، ولقما
تعاون مع هذه الأقطار الراعية في تعلم
العربيه بوضع برامج سهله ومبسره للمهيه
لأسائها . ونسر مجموعه من الكتب المنسده انى
تظهرهم على كبر انشاء العربيه . لجعلهم
يتدفقون الأدب العربى قديمه وحديثه ويتصلون
تدينا وشيتنا بالفكر العربى والترات الإسلامى
حتى يمدحوا . ولو بعد حين . في السبع العربى
وبصيروا من أحاصيص أصدفائه وأقرب الناس
إليه

إن هذا « تكتيك » وليس ساطفه ولكنّه
سطلب من العمل قدر ما عندنا من القبول
« وفل اعملوا وسيرى الله عما كنتم ورسوله
والمؤمنون » صلى الله العظيم

عبد الله كنون
عضو المحمّص من المغرب

ترتيب الحروف الأبجدية بين المشاركة والمغاربية للككتور عبد الهادي التنازي

من

المعلوم أنه كان للمعارفة
والأندلسيين ترتيب
للحروف الهجائية بل والأبجدية غير
ترتيب المشاركة كما لاحظته أكثر من
واحد من أمثال ابن عبد الملك المراكشي
واسن خلدون والقلقشندي

فما يتعلق بالحروف الهجائية نجد أن
المغاربية مع المشاركة يتحدون إلى حرف
الزاي الذي يليه عند المغاربة .

ط - ط - ك - ل - م - ن - ص -
ص - ع - غ - ف - و - س - ش -
ه - و - لا - ي

إما المشاركة يجعلون بعد الزاي :

س - ش - ص - ض - ط - ظ -
ع - غ - ف - ق - ك - ل - م -
ن - ه - و - لا - ي

إن هذا الخلاف بين أهل العالم الإسلامي
في هذا الموضوع إذا ما قارناه بالاتفاق
الشامل بين الشرق والعرب فيما يتعلق
بترتيب حروفهم هو الذي دفعني لهذا
التدخل .

وهكذا فإذا ما قمنا بهذه المقارنة فسنشعر
أن من واجبنا أن نتخذ قراراً - نحن
المجمعين - لتوحيد الترتيب بين أهل المشرق
والمغرب وفي جمع وثائقنا على وتيرة واحدة
عامة شاملة -

وهما يتعلق بترتيب الحروف الأبجدية
نلاحظ أيضاً خلافاً بين المشرق والمغرب .

وإذا ما كان الخلاف في موضوع الحروف
الهجائية أمراً قد يتساهل فيه وإن الخلاف
في ترتيب الحروف الأبجدية يعتبر من
الخطورة بمكان . لأن الحروف تعني
أرقاماً معينة وإذا اختلفت الأرقام فيما
ينبغي أن تتحد فيه فهناك يكون الاضطراب
على أشده .^١

ولكي أوضح فكرتي أذكر أن هناك
سنة حروف من أبجد تختلف قيمتها العددية
بين المشرق والمغرب مما سبب في بعض

(*) قدم البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته الحادية والخمسين .

مقاطع مقدمة ابن خلدون ارتباكاً سواء
في التواريخ أو في بعض القيم

ونقدم هذا الجدول للمزيد من التوضيح،
وهو يتناول الحروف الستة التي يختلف
فيها المعاربة مع المشاركة:

قيمه الحروف حسب الترتيب المعربي

ص	60
ض	90
س	300
ظ	800
ع	900
ش	1000

قيمه الحروف حسب الترتيب المشرقي

ص	90
ض	800
س	60
ظ	900
غ	1000
س	300

لتصور ابن خلدون يتحدث في مقدمته—
وهو يتكلم عن الفترة التي تستمر فيها الملة—
يذكر رقماً يشير إليه بالحروف الأبجدية
حسب الترتيب المعربي، ويقوم بحص
المعاقين^(١) لترتيب الأرقام المقدمة من ابن
خلدون باعتبارها لا تتفق مع التسمية العددية
المعطاه لتملك الحروف وكأن هذا المعاق

لا يعرف أن هناك خلافاً بين وجهة النظر
المغربية ووجهه المشرقية. ولنتصور اليوم
مثلاً أن أحباء المؤرخين المعاصرين يتحدث عن
تاريخ إنشاء مسجد محمد — عام 1830 —
ويريد أن يؤدي ذلك بالحروف الأبجدية
عوض الأرقام فيجب عاينه أن يقول، حسب
الترتيب المشرقي عام (لصغ) التي تكون
عند المعاربة عام 1120، أي ينقص عشر
سنوات وسبع مائة سنة

ولو سمحنا للمعاربة بأداء ذلك بواسطة
أبجديتهم المعروفة لكان عاينا أن نسمع عام:
(شطل) وليس (لصغ)

هذا تدخل في وإن ما ألتزمه من السادة
أعضاء المجتمع هو إصدار توصية بصروره
توحيد ترتيب الحروف الهجائية وكذا
الأبجدية بين سائر البلاد التي تستعمل اللغة
العربية.

ولا بد أن يعلن عن التوصية وهي محددة
العمل ابتداء من تاريخ معين، متلاً: ابتداء
من بداية المحرم 1405 — الذي يوافق اليوم
27 من شتنبر 1984

وهكذا نقوم بإدخال تحسين حاسم
وهام على لغتنا العربية تشترك فيه سائر
الدول العربية وتعمل على نشره وإذاعته
وتعميمه.

عبد الهادي النازي
عضو المجمع المراسل
من المغرب

(١) تراجع مقدمة ابن خلدون طبعه دار الكتاب البيضاء ص 597

في تعريب التعليم العلمى الجاهلى

للكثور اسحاق حسيني

فى نابلس وكاتاهما تاوريتان وأشبأب الثانية
فرعا لتدريب المعلمين فى أواخر أيامها

كاتب لعة التدريس فى المدارس الحكوميه هي
العربيه . أما المدارس الأخرى فكانت
لغة التدريس فيها لغة غريبه .

ولكن الإمبراطور استأوا عن الحكومه
منذ البدايه فى سنة ١٩١٨ أشتأوا (الخامعه
العبريه) فى القدس التى طلت تنمو وتتقدم
حتى شملت جميع الكليات المتخصصة
من طب وصيدلة وهندسه ودراسه وآداب
وعلوم وما إلى ذلك. وشأت إلى جانبها معاهد
ومدارس ابتدائية وثانوية . لغة التدريس فيها
جميعا اللغة العبريه . سواء أكانت جامعيه أم
ثانويه . تم تأسيس بعد ذلك جامعة حيفا
وحامه تل أبيب وجامعه المقب وجامعه
نار ايلا . مصافا إليها عدد من مراكز الأبحاث
العاميه والماريحيه .

لم نعن السلطة فى أثناء الانتداب البريطانى
على فلسطين بالتعليم العالى ، كما هو شأن
السلطة فى مصر وجميع بلاد المغرب العربى
كان التعليم أشبه بهرم عريض القاعدته دقيق
القمة فلم يوجد فى فلسطين سوى معهد
عربى واحد اسمه (الكليه العربيه) فى
القدس ، لتحريج معلمين للصغوف الابتدائية
وفى أواخر عهد الانتداب أصبح التعليم
ثانويا كاملا فى عدد محدود من المدارس
أما سائر المدن الصغيره والنقرى . ووقف
التعليم فيها عند المرحله الابتدائية

ووجدت إلى جانب المدارس الحكوميه
مدارس أهليه معطيهها عربيه . تدرس
بالإنجليزيه أو الفرنسيه تقف كلها إلى حد
الشهاده الثانويه المعروفة « بالمترىك » :

ووجدت مدرستان وطبقتان هما (روصه
المعارف) فى القدس تحت رعايه المجلس
الإسلامى الأعلى . ومدرسه (العجاج)

(*) قدم البحث إلى مؤتمر الجمع فى دورته الحاديه والحسين .

وحدث بعد الاحتلال الإسرائيلي لما
تبقى من فلسطين المعروف بالضفة والقطاع
سنة ١٩٦٧ تطور مدهش في التعليم العالي
لم تعرف البلاد له مثيلا ويرجع ذلك إلى عدة
أسباب :

أولا : غريزة الدفاع عن النفس لإزاء
التحدى السياسى والحصارى الذى لمس
العرب وواجههم في مختلف ميادين الحياة .
ثانيا صعوبة السفر إلى البلاد العربية
والجامعات الغربية وكلفتها العالية .

ثالثا : ازدياد الطلاب على المتعلمين في
دول الخليج العربى والسعودية وليبيا
والرواتب المغرية التى تدفعها .

رابعا : النمو الطبيعى لمعاهد سابقة حاءها
دعم مادي من الخارج .

والجامعتان الرائدتان هما (جامعة النجاح)
في نابلس (وجامعة بير زيت) في بلدة
بير زيت في قصاعرام الله

أسست (النجاح) سنة ١٩١٨ مدرسة
ابتدائية ثم أضحت ثانوية كاماة سنة ١٩٤١ ،
وكلية تضم معهدا للمعلمين سنة ١٩٦٥ ،
وجامعة ذات خمس كليات (آداب وعلوم ،
واقتصاد ، وعلوم إدارية وتربية ، وهندسة)
سنة ١٩٧٧ وعدد طلابها سنة ٨٣/٨٢ :
٢٣٩١ طالبا :

وأسست مدرسة (بير زيت) سنة ١٩٢٤
مدرسة ابتدائية ثم تطورت إلى مدرسة ثانوية
فكلية متوسطة وجامعة ذات أربع كليات
(آداب ، وعلوم ، وتجارة ، وهندسة)
سنة ١٩٧٢ ، وعدد طلابها من التاريخ
نفسه ٢٠٣٧ طالبا .

وتوالى بعد ذلك الجامعات والمعاهد
العالية فأنشأ سنة ١٩٧٣ إخوة دى لاسال
من بيت لحم ، والقاصد الرسول في القدس ،
والسدة البابوية (جامعة بيت لحم) ذات
أربع كليات (آداب وعلوم وإدارة أعمال
وتمريض) مضافا إليها دراسة متوسطة
في الفنادق والإرشاد الصحى ورياض الأطفال
وعدد طلابها من التاريخ نفسه ١٢١٦
طالبا .

وافتمتحت في غزة سنة ١٩٧٨ (جامعة
غزة الإسلامية) امتدادا لمعهد فلسطين الدينى
(الأهر) ذات ست كليات (الشريعة والقانون ،
الدعوة وأصول الدين ، اللغة العربية ،
العربية ، التربية ، التجارة ، العلوم) .
وعدد طلابها في التاريخ نفسه ٢٣٩٧ طالبا .

وتأسست في مدينة الخليل سنة ١٩٨٠
(جامعة الخليل الإسلامية) امتدادا لكلية
الشريعة المؤسسة سنة ١٩٧١ ، ذات كليتين
(كلية الشريعة وكلية الآداب) وتخطط
اليوم لإنشاء كلية ثالثة للزراعة وعدد طلابها
من التاريخ نفسه ١٦٥٠ طالبا .

ومن سنة ١٩٨٣ - ١٩٨٤ انحدت أربع
كليات من ضواحي القدس مكونة (جامعة
القدس) والكليات هي :

أولاً : كلية الدعوة وأصول الدين في بيت
حنينا - من ضواحي القدس - أنشئت سنة
١٩٧٨ وتضم فرعين ، هما : الدعوة وأصول
الدين واللغة العربية .

ثانياً : كلية العلوم والتكنولوجيا في قرية
أبو ديس (قضاء القدس) أنشئت سنة ١٩٨١
امتدادا للمعهد العلمي العربي ، الذي تأسس قبيل
الاحتلال ، ويضم الرياضيات والفيزياء
والكيمياء والعلوم الحياتية ، الحاسب الآلي والكترونية
والتكنولوجيا الكيميائية والطبية والإلكترونية

ثالثاً : الكليات العربية للعلوم الطبية تأسست
سنة ١٩٧٩ وتضم التمريض والطب المخبري
والصحة العامة .

رابعاً . كلية الآداب للبيات في القدس
تأسست سنة ١٩٨٢ امتدادا للمعهد الخدمه
الاجتماعية ومؤسسه دار الطفل العربي التي
قامت سنة ١٩٤٨ لإيواء أطفال مذبحة
دير ياسين وتضم اللغة العربية واللغة الإنجليزية
والخدمه الاجتماعية وتسعى لإنشاء أقسام
أخرى حسب حاجة الملاد .

وعدد طلاب جامعة القدس بكلياتها
الأربع ٩٧٩ طالبا وطالبة .

وتوحد إلى جانب هذه الجامعات ثلاثة
معاهد ، هي . المعهد العلمي الهندسي (البوليتكنيك)
في مدينة الخليل ، تأسس سنة ١٩٧٨ ويشمل
الهندسة المدنية والمعمارية والميكانيكية
والكهربائية ، والمعهد الشرعي في القدس
تأسس سنة ١٩٧٥ فرعا من فروع المعهد
الشرعي في عمان ، والمعهد الشرعي في
قلقيلية بطير المعهد السابق تأسس سنة ١٩٧٨

والتعليم في جميع الجامعات والمعاهد
مشارك الذكور والإناث ما عدا (كلية الآداب
للغات) .

لا شك في أن جميع هذه الكليات
والمعاهد تتجه اتجاهها قوميا لأسباب طبيعية
لا تخفى على أحد (جامعة بير ريت) التي
تميل إلى محاكاة الجامعات العربية أكثر
من غيرها ، بصت في مقدمة دليها العام لسنة
١٩٨٤ على ما يلي : « تهدف الجامعة إلى
تهيئة الطامة ليكونوا مواطنين صالحين فعالين
في المجتمع ، قادرين على تحمل المسئولية
ومواجهة تحديات المستقبل ، ولذلك فإنها
تشجع الطالبة على الإبداع والإتقان في العمل ،
كما أنها تحرص على تنشئة صلتهم بمجتمعهم
وتنمية روح التعاون فيهم ، وتعمل الجامعة
على تنشئة الطلبة في حو من التراث العربي
الوطني » .

ورغم ذلك فإنها تدرس جميع مواد
الدراسة - المساقات - باللغة الإنجليزية
ودائرة اللغة الإنجليزية هي أوسع الدوائر

فيها، إذ تضم ثلاثة وأربعين معلما وربعمهم تقريبا غير عرب . في حين لا يتجاوز عدد المعلمين في دائرة اللغة العربية اثني عشر معلما، وقيل إن أحد أساتذته التاريخ فيها أراد أن يدرس التاريخ بالعربية فلم تستحب الجامعة .

ولا تتمرد جامعة بير زيت بالتدريس اللغة الإنجليزية، فقد أراد أول رئيس لكليه العلوم والتكنولوجيا أبو ديس أن يعرب التعليم فلم يوفق . إذ ما كاد يترك الكايف ويتول رئيس آخر حتى انتهى التعريب وبدأ بالتدريس باللغة الإنجليزية ، ولا أعتقد أن ذلك راجع إلى اتجاه قومي أو غير قومي بل إلى أسباب علمية فنية .

والحق أن لأصار « التعريب » - التعليم باعة عرصة - حججا قوية رغم أن الجامعات العربية ترى أن الجامعات العبرية كانها تدرس بالعبرية لجميع طلابها، سواء أكانوا يهودا أم عربا .

وما الحجج التي يسوقها أنصار التعريب ؟

أولا : إن العلوم تسطور في العرب بسرعة فائقة ولا يمكن للترجمة أن تلاحق بالتطور .
لأسيما في العلوم والتكنولوجيا .

ثانيا : إن جميع المصادر تكاد أن تكون كلها غربية .

ثالثا : إن الأساندة الغربيين الدائرين لا يعرفون العربية

رابعا : إن الطلبة الذين يحصلون على الشهادة الجامعية الأولى - اليسانس - يتمون دراستهم في الجامعات الغربية لفقدان الدراسة العليا في البلاد .

خامسا : إن التعريب وسياء لتحديث العناية العربية في عصر التحدي الداخلي والخارجي .

سادسا : إن معظم الأساتذة تخرجوا في جامعات عربية وألغوا الدرس باللغة العربية ، لا بد من وقت لترويض ألسنتهم على إلقاء المحاضرات بالعربية هذا إن تيسر لهم المصطلحات العربية .

أما أنصار - التعريب - وهم إلى الآن قاه - فيبدون الحجج التالية .

أولا : إن لغة الأم هي اللغة المثلى لاستيعاب المعارف .

ثانيا : إن التعريب قد يؤدي في بعض الحالات على الأقل إلى العربية عن المجتمع ومبدأ التلاحم مع الشعب الذي يعاني من الأمية لغدة وثقافة .

ثالثا : إن التعريب وسياء فعاله لربط الحاضر بالماضي وبعث التراث العلمي الذي بلغ مرتبة عالية في تاريخ العرب .

رابعاً : إن الدراسة الثانوية في معظم المدارس باللغة العربية، والتغريب يحدث انكساراً حاداً في الاتجاه التعليمي .

خامساً . إن اللغة العبرية استطاعت أن تتجاوز تلك العقبات في مرحلة قصيرة وأن تصبح لغة العلم والتعليم الوحيدة رغم ما بينها وبين العربية من فارق إذ بعثت الأولى من رفاد دام قروناً كثيرة، ولم يحدث للعربية مثل هذا الرقاد، فقد كانت لغة العلم شرقاً وعرباً في القرون الوسطى ثم نراحت في بعض العصور فقط .

والحق أن لكل حجة قوية ويبدو أن هناك حلاً وسطاً يرى أن التعريب يمكن أن يمر في ثلاث مراحل الأولى أن تكون اللغة العربية لغة تدريس العلوم الناحولوجيه مادة قصيرة من الزمن ولكن يجب أن يكون تدريس معظم العلوم الإنسانية باللغة العربية

وحدها، وفي المرحلة الثانية يدرس باللغتين أي أن يستعين المعلم بالكتاب العربي والأدوات العربية ويشرح بالعربية، كما هو واقع في اليابان مثلاً، وفي المرحلة الثالثة يكون التدريس بالعربية بعد أن ينوهر الأساتذة الذين درسوا العربية، وألفوا بها ووقفوا على مصطلحات العلوم، أي بعد أن يتكون جيل جديد يقف على قدم المساواة مع الأساتذة والباحثين الغربيين. وهذه المرحلة الثالثة مرحلة طبيعية تشرئب إليها الأعناق وتتواءم مع طموحنا القومي، ونحن على ما يبدو سائرون في هذا الاتجاه بخطى ثابتة وقد فعلت سوريا شوطاً كبيراً في هذا المصير، وتلتها مصر العربية، ومن الواضح أن المصالحه نهضت أن لا يصحح العلم في سبيل اللغة وأن لا تصحح اللغة في سبيل العلم وحاصبه اللغة العربية، لأنها لغة دينا وقومية وتراثنا وأهوى رابطه بنفيت لنا في عصر التحدي الخطير .

استحق موسى الحسيني
عضو المجمع من فلسطين

